مكتبة

مِيَازَاوَا كِنْجِي

宮沢賢治

# عازف التشيللو

## وقصص أخرى

セロ弾きのゴーシュ、その他

أدب ياباني حديث

ترجمة:

أ.د. ماهر الشربيني

المحروسة

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

**عازف التشيللو**

وقصص أخرى

عنوان الكتاب: عازف التشيللو وقصص أخرى
セロ弾きのゴーシュ、その他
المؤلف: مِيَازَاوَا كِنْجِي
宮沢賢治
ترجمة: أ. د. ماهر الشربيني
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٣٢٣٠٤ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولى: 978-977-894-117-3

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة

2025

قصص

مكتبة
t.me/soramnqraa

من روائع أديب العزلة الياباني

# عازف التشيللو

وقصص أخرى

## مِيَازَاوَا كِنْجِي

الترجمة عن اليابانية

**أ.د. ماهر الشربيني**

الطبعة الأولى 2025

مكتبة
t.me/soramnqraa

دار الكتب والوثائق القومية

**بطاقة فهرسة**

**فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية**

مِيَازَاوَا كِنْجِي

عازف التشيللو وقصص أخرى/ مِيَازَاوَا كِنْجِي؛ الترجمة عن اليابانية ماهر الشربيني.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2024

204ص؛ 14.5×21.5 سم

تدمك 978-977-894-117-3

1- القصص اليابانية

2- القصص اليابانيةالقصيرة

أ- الشربيني، ماهر (مترجم)

ب- العنوان

**891.63**

رقم الإيداع 2024/32304

# إهداء المترجم

مكتبة
t.me/soramnqraa

لو بطلنا نحلم نموت.

لو بطلنا نتخيَّل نموت.

لا حياة دون أحلام.

لا حياة دون خيال.

الخيال هو الواحة في صحراء الواقع.

الواقع محبط إذا لم نحلم ونتخيل.

دعوة إلى دخول عالم الأحلام والخيال.

عالم الراحة النفسية والعصبية.

عالم السكينة والهدوء.

علم الأمل والتفاؤل

هيا نستريح قليلاً من عناء الحياة.

أهـدي هـذه المجموعـة القصصيـة الحالمـة لعزيـزي القـارئ العـربي، وإلى مَـن أوحـت لي بترجمتهـا، إنهـا الراحلـة ابنتـي زينـة.

المترجم

ماهر الشربيني

القاهرة المزدحمة، في أكتوبر 2024

# شهر أبريل ورجل الجبل

فتح الرجل الذي يعيش في الجبل عينيه ذهبيَّتَيْ اللون جيدًا، وحنى ظهره وسار ينظر إلى أرنب في غابة شجر السرو الموجودة في جبل "نيشينيه ياما"، ليصطاده.

ولكنه لم يصطَد أرنبًا، بل اصطاد طائرًا برِّيًّا.

فلقد فوجئ الطائر البري بوجود رجل خلفه، فحاول الطيران، لكن الرجل ألقى بنفسه على الطائر وأمسكه بكلتا يديه بقوة، فأصابه بجروح.

احمرَّ وجه الرجل وانفرجت أسارير وجهه وفَرِحَ، ثم لوى الرقبة الضعيفة للطائر وخرج من الغابة.

ثم رمى الطائر على عشب جاف موجود في الناحية الجنوبية حيث ضوء الشمس ساطع، ثم فَرَق بأصابعه شَعرَه الأحمر اللون، ثم ألقى نفسه على الفراش حيث نام على جانبه.

وكان هناك طائر صغير يغرِّد، وكانت زهور أسنان الكلب البنفسجية في أماكن كثيرة بين العشب، وكانت تتمايل في نعومة.

تقلَّب الرجل على ظهره وشاهد السماء الزرقاء، وهبَّت رياح تحمل رائحة جميلة للعشب الجاف، وخلف الرجل كانت هناك سلسلة الجبال، وكانت مغطَّاة بثلوج تُشِعُّ بلون أبيض، وكان الرجل يقول لنفسه:

"الكرامل شيء لذيذ الطعم، الإله يخلق الكرامل ولكنه لا يعطيني منه أبدًا".

وكانت السحب المنتشرة في السماء الزرقاء تتَّجه ناحية الشرق، وبينما كان الرجل يزمجر بصوتٍ يَصِل بعيدًا، قال لنفسه:

"السحب هي أشياء تذهب وتأتي وتختفي وتظهر فجأة مرة أخرى على حسب الرياح".

وحينئذ شعر الرجل بشعور غريب، وكأن رأسه ورجليه أصبحت خفيفة، وأنه طار في الهواء ورأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى، وأنه أصبح مثل السحاب، وأنه يسير حسب الرياح، يطير بنفسه دون مساعدة من أحد، ويطير دون هدف مُحدَّد.

ثم قال لنفسه:

"هنا سبعُ غابات، بينها غابات مليئة بأشجار الصنوبر وأخرى بها رهبان، ولقد اقتربت من المدينة، وإذا لم أتحوَّل وأتَّخذ شكل شيء آخر فسوف يضربونني إلى أن أموت".

ثم تحوَّل الرجل إلى حَطَّاب وسيم، ووصل إلى مدخل المدينة، وكان يشعر بأن رأسه ما زال خفيفًا، وأنه لا يشعر باتِّزان بين جسمه ورأسه، ومع ذلك دخل المدينة.

وكان في مدخل المدينة متجر أسماك، ويوجد جوال قذر فيه سلمون مملَّح، ومنضدة فوقها صفوف من أسماك السردين، وتحت مظلَّةٍ كان مُعلَّقًا خمسة أخطبوطات حُمر وسود مسلوقة، فوقف الرجل وأخذ في النظر إلى الأخطبوطات، ثم قال لنفسه:

"إن الأرجل الحمراء ذات النتوءات تبدو شهية جدًّا".

وقف الرجل وهو يلعَق إصبعه دون أن يعي، وفجأة مرَّ رجل صيني يحمل متاعًا كبيرًا ويرتدي رداءً أصفر قذرًا، وينظر في كل اتجاه دون توقُّف، وفجأة وضع يده على كتف الرجل وقال له:

"هل تحب القماش الصيني؟ هل تحب الأعشاب؟".

فوجئ رجل الجبل بهذا، فصاح بصوتٍ عالٍ:

"لا".

ولكنه انتبه أن السَّمَّاك الذي كان مُمسِكًا مفتاحًا دائريًّا وشَعره مفروق في وسط رأسه، ومرتديًا قبقابًا، وكذلك أهل القرية الذين كانوا يرتدون سترات- قد نظروا ناحيته، فتكلَّم بصوت منخفض، وقال:

"لا، لن أشتري".

فقال الرجل الصيني:

"لن تشتري، ليس المهم أن تشتري، ولكن شاهِدْ البضائع".

ثم أنزل المتاع الذي كان على ظهره في منتصف الطريق، ولكن رجل الجبل كان يشعر بخوف شديد من هذا الرجل الصيني ذي العيون الحمراء مثل السحلية.

وفي لحظة، قام الرجل الصيني بفكِّ الرباط القطني الذي كان يربط به المتاع، ثم فرش مفرشًا وفتح غطاء حقيبة، ثم أخرج زجاجة دواء حمراء صغيرة كانت موضوعة وسط علب ورقية كثيرة فوق قماش.

فقال رجل الجبل لنفسه: "ما هذا! أصابع يد هذا الرجل الصيني رفيعة جدًّا، وأظافره حادَّة جدًّا، شيء مخيف جدًّا".

وفي تلك اللحظة كان الرجل الصيني قد أخرج كوبين صغيرين في حجم الإصبع الخنصر، وأعطى رجل الجبل كوبًا، ثم قال له:

"اشرَبْ هذا الدواء، ليس فيه سُمٌّ، ليس فيه سُمٌّ على الإطلاق، اشرَبْ، سوف أشرب قبلك، لا تَخَف، أنا أشرب بيرة وأشرب شايًا، ولكن لا أشرب سُمًّا، هذا دواء يطيل العمر، اشرب".

ثم شرب الرجل الصيني بمفرده مرَّةً واحدة كوب الدواء.

فنظر رجل الجبل حوله وهو يقول لنفسه:

"هل أشرب ذلك الدواء؟".

فتعجَّب أنهما ليسا في وسط المدينة، بل وجد نفسه فقط مع رجل صيني لون عينيه أحمر، وأنهما يقفان وسط منطقة عشبية واسعة زرقاء اللون مثل السماء، وأنه يقف مواجِهًا لذلك الرجل الصيني وبينهما متاعٌ موضوع على الأرض، وأن له ظلَّين على العشب، وأن الرجل الصيني أشار إليه بأصابعه المدبَّبة مُشجِّعًا إياه على شرب الدواء، حيث قال:

"اشرب، إنه دواء يطيل العمر، اشرَبْ".

فشعر رجل الجبل بالحيرة الشديدة؛ هل هو حقًّا يشرب أم لا، ثم قال لنفسه:

"سوف أشرب ثم أهرب".

ثم شرب الدواء، وإذا بشيء عجيب يحدث؛ تقلَّص جسم رجل الجبل وأصبح مستويًا وصغيرًا، وفي لحظة أصبح مثل الصندوق الصغير ومُلقًى فوق العشب.

فشعر رجل الجبل بالغضب الشديد، وقال:

"لقد تمَّ خداعي، اللعنة، لقد تمَّ خداعي! كنتُ أشك في ذلك الرجل الصيني عندما شاهدت أظافره المدبَّبة جدًّا".

ولقد حاول فعل شيء، لكنه لم يستطع؛ فقد أصبح صغيرًا مثل زجاجة الدواء التي كانت في العلبة، وعلى عكس ذلك، كان الرجل الصيني فرِحًا جدًّا، فكان يقفز فرحًا ويضرب كعبَيْ رجليه بيديه فرحًا، وكان صدى صوت ضربه على كعبيه يصل إلى أماكن بعيدة، ثم أخذ الرجل الصيني رجل الجبل ووضعه في علبة ورقية، ثم أغلق الحقيبة، ولكنَّ الضوء كان يدخل من بين الفتحات الموجودة في الحقيقة إلى داخلها، فقال رجل الجبل لنفسه:

"أخيرًا دخلت السجن، ولكن الشمس تسطع في الخارج".

وحاول رجل الجبل أن يخفِّف على نفسه حزن ما حدث له من خداع ودخوله السجن، ولكن فجأة أصبح السجن مظلِمًا، فقال لنفسه وهو يحاول التماسك:

"لقد وضع المفرش فوق الحقيبة فاختفى الضوء، شيء محزن، من الآن سوف تصبح رحلتي معه مظلمة".

وفجأة كان هناك شخص بجانب رجل الجبل يتكلم ويقول:

"من أين أتى بك الرجل الصيني؟".

في البداية شعر رجل الجبل بالخوف والدهشة، ولكنه قال لنفسه:

"معنى هذا أن ذلك الدواء هو الذي حوَّل الآخرين مثلما حوَّلني".

ثم قال للشخص الذي سأله: "من أمام متجر الأسماك".

فإذا بالرجل الصيني يصرخ من الخارج وهو يعضُّ على أسنانه ويقول: "أصواتكم عالية جدًّا، هدوء!".

وكان رجل الجبل يشعر بالغضب الشديد من الرجل الصيني، فقال له بعصبية شديدة:

"ماذا تقول؟ ماذا تنوي أن تفعل؟ يا حرامي، عندما تدخل المدينة سوف أصرخ وأخبرهم بحقيقتك".

ولكن الرجل الصيني كان صامتًا، وظلَّ صامتًا لمدة، ويبدو أنه كان يضع يديه على صدره ويبكي، وكان يضع متاعه في الغابة ويفكِّر بعمق في أن الجميع يعتقدون ما يعتقده رجل الجبل، وشعر رجل الجبل بالشفقة على الرجل الصيني، وكان على وشك أن يقول له: "إن ما قلته منذ قليل ليس صحيحًا".

ولكن الرجل الصيني قال بصوت أجش وحزين:

"أنت لا تشعر بي أبدًا، أنا لا أستطيع بيع أي شيء، أنا لا أجد طعامًا أتناوله، سوف أموت جوعًا، أنت لا تشعر بي أبدًا".

فشعر رجل الجبل بالشفقة على الرجل الصيني، وقال لنفسه:

"سوف يقوم الرجل الصيني ببيعي بستِّين يِنًّا ثم يذهب بها إلى فندق ويأكل سردينًا وخضروات وحساء".

ثم قال له:

"أيها الرجل الصيني، لا تقلق، عندما تدخل المدينة لن أرفع صوتي ولن أفضح أمرك، لا تقلق".

فشعر الرجل الصيني بالراحة وبدأ يتحرَّك، فحمل أمتعته وبدأ في السير، وبدأت علب الدواء تصطدم ببعضها البعض.

ثم قال رجل الجبل:

"مَن الشخص الذي كلَّمني منذ قليل؟".

فقال له شخص بجواره:

"أنا، لقد قلت منذ قليل إنَّكَ جئتَ من أمام متجر أسماك، فهل تعرف كم ثمن سمكة الباس (الفرخ)، وعشرة زعانف قرش؟".

فقال رجل الجبل:

"لا أعرف، فلم يكن السماك موجودًا حينذاك، ولكن أرجل الأخطبوط كانت جميلة".

فقال الآخر:

"اخطبوط جميل؟ أنا أيضًا أحب الأخطبوط جدًّا".

فقال رجل الجبل:

"ليس هناك شخص يكره الأخطبوط، إذا كان هناك شخص يكره الأخطبوط فهو شخص غير طبيعي".

فقال الآخر:

"هذا صحيح، لايوجد في الدنيا شخص يكره شيئًا لذيذ الطعم مثل الأخطبوط".

فقال رجل الجبل:

"وأنتَ، من أين جاء بك الرجل الصيني؟".

فقال الآخر:

"أنا؟ من شنغهاي".

فقال رجل الجبل:

"إذن أنت صيني، الصينيون يصنعون الدواء ويسيرون يبيعونه ويشربونه ويسقون الآخرين ذلك الدواء، بما في ذلك بقية الصينيين مثلك، إنه شيء محزن".

فقال الآخر:

"هـذا غـير صحيـح، فـإن الذيـن يسـيرون هنـا أشـخاص سـيئون مثـل 'تشـن' الـذي أوقـع بنـا، ولكـن الصينيـين الحقيقيـين نـاس عظـماء، نحـن أحفـاد القديـس كـوشي".

فقال رجل الجبل:

"أنـا لا أفهـم جيـدًا مـا تقـول، ولكـن هـل اسـم الرجـل الموجـود في الخـارج والـذي أوقـع بنـا تشـن؟".

فقال الآخر:

"نعم، الجو حار، أريد أن يكشف غطاء الحقيبة".

فقال رجل الجبل:

"ياتشن، الجو حارٌّ جدًّا، أدخِلْ لنا بعض الهواء".

فقال تشن من الخارج:

"انتظروا قليلًا".

فقال رجل الجبل:

"إذا لم تجعل الهواء يدخل لنا سوف نموت خنقًا، أنت الخاسر".

فقال من الخارج:

"هذا سوف يكون كارثة بالنسبة لي، ولكن اصبروا قليلًا".

فقال رجل الجبل:

"لا نسـتطيع الصـبر، لـن نريـد هـواء لأننـا نحـب ذلـك، ولـن نمـوت خنقًـا لأننـا نريـد ذلـك، ولكـن سـوف نمـوت لأن الجـو جـار جـدًّا وخانـق، ارفَـعْ غطـاء الحقيبـة بسرعـة".

فقال: "انتظروا عشرين دقيقة".

فقال رجل الجبل: "فهمت، ما باليد حيلة، ولكن أسرِعْ في إدخال الهواء".

ثم قال للشخص الآخر: "هل أنت الوحيد الموجود هنا؟".

فقال الآخر: "لا، يوجد الكثير، كلهم يبكون".

فقال رجل الجبل: "إنهم بؤساء، تشن إنسان سيئ، أليست هناك طريقة لنعود إلى ما كنا عليه سابقًا؟".

فقال الآخر:

"ممكن، مفعول الدواء لم يَصِل بعدُ إلى عظامك، يوجد دواء آخر يجعلك ترجع كما كنتَ، إنه بجانبي مباشرةً، موجود في تلك الزجاجة السوداء".

"هذا عظيم، سوف أشربه، ولكن إذا شربتم أنتم الدواء لن تعودوا كما كنتم؟".

فقال الآخر:

"لا، لن نعود، ولكن بعد أن تشرب أنتَ الدواء وتعود كما كنت، تضعنا في الماء وتدعكنا جيدًا، وبعد ذلك إذا شربنا الدواء نعود كما كنا".

فقال رجل الجبل:

"اتفقنا، سوف أجعلكم تعودون كما كنتم، الدواء الذي يجعلني أعود كما كنت هذا، والدواء الذي جعلني أصغر هذا، لقد شربت منه منذ قليل مع تشن، ولكن لماذا لم يصبح هو صغيرًا أيضًا؟".

فقال الآخر

"لأنه شرب من ذلك الدواء، الدواء الذي يجعل الإنسان يعود كما كان".

فقال رجل الجبل:

"لقد فهمت لماذا لم يصغُر مثلي، ولكن ماذا يحدث إذا شرب تشن فقط الدواء الذي يعيد الإنسان كما كان؟ مؤكد سيحدث شيء غريب".

وفي ذلك الوقت سُمع صوت تشن وهو يقول:

"هل تشتري شيئًا صينيًا".

فقال رجل الجبل:

"لقد بدأ تشن ما يقوله دائمًا".

ثم فتح غطاء الحقيبة بسرعة، فدخل الضوء إلى الداخل، فضرب شعاع الشمس عينيه بقوه فآلمه، فنظر ناحية تشن، فشاهد طفلًا ذا شَعرٍ قصير يقف أمامه، وقام تشن بوضع الدواء الذي يعيد الإنسان إلى ما كان عليه بجانب فمه، وأخرج الدواء الآخر وكوبًا وقال:

"اشرَبْ، هذا دواء يطيل العمر- اشرَبْ".

فقال كلُّ مَن في الحقيبة:

"بدأ تشن يقول كلامه المعهود".

"أنا أشرب بيرة، وأشرب شايًا ولا أشرب سُمًّا، اشرَبْ، سوف أشرب".

وفي تلك اللحظة شرب رجل الجبل الدواء الذي يعيد الإنسان إلى ما كان عليه، فكبر جسده وعاد كما كان تمامًا، جسمه كبير وشَعره أحمر، وكان تشن على وشك أن يشرب الدواءين ولكنه فوجئ برجل الجبل يكبر، فسقط منه الدواء الذي يجعل الشخص يصغر فشرب الدواء الذي يجعل الشخص يكبر، فتمدَّد تشن، فأصبح حجم رأسه ضعف ما كان عليه، وارتفعت قامته كثيرًا، ثم صاح وانقضَّ على رجل الجبل ممسكًا به، فارتعب رجل الجبل وحاول الهرب، ولكنه لم يستطع، فلقد أمسك به تشن من الخلف.

صرخ رجل الجبل: "أغيثوني، أغيثوني".

ثم فتح عينيه، فلقد كان كل ذلك حُلمًا.

كانت السحب تلمع والسماء صافية والعشب دافئًا وذا رائحة جميلة، وشرد ذهن رجل الجبل لبرهة ونظر إلى الأجنحة اللامعة للطائر الذي اصطاده، وفكَّر في وضع علب الدواء الذي يُصغِّر الإنسان في الماء ودعكها، وفجأة تثاءب تثاؤبًا كبيرًا، وقال:

"اللعنة! الحلم لم ينتهِ بعدُ، ما زالت له بقية، فليذهب تشن والدواء الذي يُصغِّر الإنسان في داهية".

ثم تثاءب تثاؤبًا آخر.

******

مكتبة
t.me/soramnqraa

# أمير الرياح

"هيَّا أيتها الرياح هُبِّي وزَمجِري

واعصِفي في طريقك بأشجار الرُّمَّان السكري.

واعصِفي أيضًا بالرُّمَّان غير الناضج، ذي الطعم الحاذق.

هُبِّي وزَمجِري، هُبِّي وزَمجِري".

كانت هناك على ضفة النهر، وعند حافة الوادي، مدرسة مربَّعة الشكل، قد يكون لفظ "مدرسة" هذا مُبالَغًا فيه، حيث إن مبناها لم يكن يحوي سوى ثلاث غرف صغيرة لفصول الدراسة، ذات نوافذ زجاجية تُفضي إليها بوابة واحدة فقط، ولم يكن بها ساحة لتجمُّع التلاميذ، ولم تكن هناك غرفة لطاقم التدريس، ولم يكن هناك سوى ملعب صغير للتنس يتمُّ استغلاله في حصص التربية الرياضية.

لم يكن هناك سوى مدرِّس واحد يقوم بالتدريس للتلاميذ كلهم، من الصف الأول وحتى الصف السادس، أمَّا عدد هؤلاء التلاميذ فكان عشرين تلميذًا، بينما لم يكن هناك تلميذ واحد في الصف الثالث.

**اليوم الأول من شهر سبتمبر:**

مرَّت الأيام حتى جاء اليوم الأول من شهر سبتمبر، وكان يومًا صحوًا مشمِسًا، كانت الرياح المنعشة تُصَفِّر وهي تمرُّ فوقنا عبر تلك السماء الزرقاء الصافية المفتوحة، وكانت أشعة الشمس تملأ ملعب التنس.

وكان هناك طفلان من تلاميذ الفصل الأول يلبسان سترتين شتويتين لونهما أسود، وقد جاءا من خلف سياج المدرسة ودخلا إلى ملعب التنس، ولمَّا لم يجِدَا أحدًا من رفاقهما في الملعب صارا يتبادلان الصياح في فرحة وابتهاجٍ، قائلَيْن:

"نحن أول مَن حضر، نحن الفائزان".

ولكن ما إن دخل الاثنان إلى فصلهما الدراسي حتى تبدَّل حالهما في لحظة، فوقفا كلاهما متسمِّرَيْن على عتبة الفصل وقد تملَّكت الدهشة منهما، فصار كلٌّ منهما يحملق في وجه الآخر وسط السكون الذي يخيِّم على الفصل، وبعد ذلك بدأ جسدهما في الارتعاش، وبعد لحظات انفجر أحدهما في البكاء، بينما شرع الثاني في البكاء أيضًا.

ما حدث أنهما فوجئا بتلميذٍ آخر كان قد سبقهما في الحضور، وجلس في مقعد في أول صفٍّ، كان ذلك الطفل ذا شَعر أحمر غريب، وكانا لا يعرفانه، فكانت هذه هي المرة الأولى التي وقعت عيونهما عليه، أضِفْ إلى هذا أنه كان يجلس محتلًّا المقعد الخاص بأحدهما، وينظر في تحدٍ واستفزاز إلى وجهي زميليه الواقفين أمامه.

وفجأة قطع الصمتَ والتَّوتُّرَ صوتُ صراخٍ عالٍ يأتي من ناحية النهر:

"أبدًا أبدًا يا صائد الدبابير".

كان صاحب ذلك الصوت هو زميلهم في الصف "كاسو"، الذي جاء يعدو وهو يحتضن حقيبته ويدخل إلى ملعب التنس، ثم جاء بعده مباشرةً يعدو أيضًا زميلهما "ساطو"، ولما دخل "كاسو" إلى غرفة الفصل وضع يده على كتف الطفل الذي كان على وشك البكاء، وصاح فيه بصوت عالٍ قائلًا:

"ما الذي يُبكيكَ يا زميلي؟ هل تشعر بوعكة ما؟".

وما أن انتهى "كاسو" من جملته هذه، حتى انفجر ذلك الطفل في البكاء. فتجمَّع هؤلاء التلاميذ عند عتبة الفضل وأخذوا يجولون بعيونهم في أرجاء المكان يبحثون عن سبب التوتر الحادث هناك، فلاحظوا وجود تلميذ غريب ذي شعر أحمر يجلس في هدوء مستفز، فأصيب الجميع بنوبة من الذهول والصمت.

وما حدث بعد ذلك أن زميلات الصف من الفتيات الصغيرات أخذن يتوافدن على الفصل، واحدةً تلو الأخرى، وانتقلت إليهنَّ أيضًا عدوى الذهول والصمت، أمَّا ذلك الطفل الغريب ذو الشعر الأحمر فلم تتغيَّر تعبيرات وجهه، وظلَّ محتفظًا ببروده ورباطة جأشه، على الرغم من تجمُّع هذا العدد الكبير من المستنكرين لوجوده بينهم.

وفي آخر الأمر، وصل زميل لهم في الصف السادس الابتدائي اسمه "إتش"، ودخل الفصل وهو يسير بخطوات واسعة وكأنه عامل من عمَّال المناجم، وهو يشير بأصابعه إلى الطفل ذي الشعر الأحمر الجالس هناك ويصيح فيه قائلًا:

"مَن أنت؟".

هنا تشجَّع جميع الأطفال الواقفين هناك وسَرَت همهمة عالية بينهم وهم يشيرون بأصابعهم إلى نفس ذلك المتطفل الغريب، غير أن "إتش" ظلَّ واقفًا لفترةٍ أمام ذلك الطفل ذي الشعر الأحمر، ثم تحرك فجأة نحو نافذة الفصل وهو يحتضن حقيبته بقوة، فتبعه إلى المكان ذاته كل تلاميذ الصف الأول وقد دبَّت فيهم الحيوية، ثم خرج "إتشي" من النافذة، ثم عاد وأطلَّ بوجهه إلى داخل الفصل، وصاح قائلًا:

"مَن هذا بحق السماء الذي دخل الفصل دون إذن الأستاذ؟".

ثم تبعه الطفل "قووإتشي"، والذي كان يقف تحت النافذة، فقال:

"سوف ينهرك الأستاذ بشدة يا هذا".

ثم تبعه "كاسو" زميله، هو الآخر، قائلًا:

"لن نكون مسؤولين عنك عندما يعنِّفكَ الأستاذ".

ثم قال له "إتشيروه":

"اخرُجْ من الفصل بسرعة".

إلا أن ذلك الطفل الغريب ذا الشعر الأحمر ظلَّ جالسًا رابط الجأش يضع يديه على ركبتيه وهو يجول بعينيه في وجوه الآخرين وفي حوائط الفصل دون أن يهتزَّ له طرف، فتعجب الجميعُ من برودة وصفاقة ذلك الطفل الغريب، فلقد كان يضع على كتفيه حرملة غريبة بلونٍ رمادي، وينتعل حذاءً شفَّافًا جميلًا مصنوعًا من الزجاج أو الكريستال، أما عيناه فكانتا سوداوين وجاحظتين ومستديرتين كالتفاح، ولما لم يكن هناك أي ردِّ فِعل من جانبه رغم الهجوم الذي شنَّه عليه كل هؤلاء الأطفال، فقد ارتبك الجميع، بما فيهم كبيرهم "إتشي"، وفجأة قطع الصمتَ صوتُ أحدهم وهو يصيح قائلًا:

"إنه طفل أجنبي، لقد دخل مدرستنا طفل أجنبي".

بعد أن أنهى ذلك الطفل صيحته تلك، صارت هناك همهمة وصخب بين زملائه، إلى أن صاح فيهم "كاسو"، التلميذ بالصف الخامس، قائلًا:

"سوف يدخل الصف الثالث".

فاعتقد بقية التلاميذ الصغار بصحَّة هذا الرأي، لكن زميلهم "إتشي" اكتفى بلَوي رأسه إلى الجانب، دون أن ينطق بكلمة واحدة.

وأما ذلك التلميذ الأجنبي الغريب فقد ظلَّ على حاله يتفحَّص وجوهم بعينيه الجاحظتين، ويجلس هادئًا دون حراك.

والأمر الأغرب من هذا حدث حين ظهر المدرس المشرف على الفصل، فلقد دخل فجأةً من باب الفصل وهو يعلِّق في رقبته كعادته تلك الصافرة، ويرسم على وجهه ابتسامة عريضة، ثم قال بصوته الجهوري:

"صباح الخير عليكم جميعًا... هل كلكم بخير؟".

وبعد أن أنهى جملته وضع الصافرة في فمه، وأطلق بها صفرةً مدوِّية، فخرج الجميع مسرعين إلى ساحة ملعب التنس واصطفُّوا هناك؛ استعدادًا لطابور الصباح، وبعد أن فعلوا ذلك صاح فيهم المدرس قائلًا:

"انتباه".

وهكذا وقف جميع التلاميذ في وضع "انتباه"، ومع هذا فقد كانت كل العيون تتوجَّه نحو نافذة الفصل حيث يجلس داخلها ذلك الطفل الغريب، لقد بدأ المدرس يلحظ وجود أمر غريب بين التلاميذ، فالتفت خلفه يبحث عن ذلك الشيء الذي يشدُّ انتباه التلاميذ، لكنه عاد لينظر إليهم وكأن لسان حاله يقول:

"لا أرى شيئًا غريبًا، فما الذي اعتراكم؟".

وبعد أن انتهى من جملته، صاح فيهم بصوته الجهوري قائلًا:

"لليمين... دُرْ".

وفي هذه الأثناء أيضًا، ظلَّ ذلك التلميذ جالسًا لا يحرِّك ساكنًا، ولكن لم يتوقف عن حملقته في وجوه التلاميذ الواقفين هناك في الفناء، وبعد استدارة طابور التلاميذ لليمين، دخلوا تِباعًا من باب الفصل، بينما كان التلميذ الأجنبي الغريب الأطوار مقطِّب الجبين وهو يحملق في وجوههم، وكان التلاميذ وهم يدخلون غرفة الدراسة يتكلمون ويهمهمون في جلبة واضحة، وكان أكبرهم، وهو "إتشي"، في نهاية الطابور، فقام بتعنيفهم على الفور، فصمتوا جميعًا، ثم بدأ المدرس يصيح فيهم بصوته الجهوري قائلًا:

"أراكم قد استمتعتم تمامًا بإجازتكم، لقد كنتم تمارسون السباحة منذ الصباح الباكر وتصيحون بأصوات عالية فاقت أصوات صياح الصقور، كذلك هناك منكم مَن ذهب لمساعدة إخوته الكبار في تهذيب الحشائش، لقد كانت كلها أنشطة جميلة، لكن للأسف، لقد انتهت الإجازة، وسندخل من الآن في فصل الخريف، الذي يقول عنه الناس إنه أنسب الفصول للدراسة والتحصيل؛ ولهذا فأنا أتعشَّم أن تجتهدوا في الدراسة من اليوم، والآن أريد أن أسألكم عن أجمل ذكريات إجازة الصيف".

وهنا رفع التلميذ "أتسوجيه"، وهو في الصف الرابع الابتدائي، يده قائلًا:

"يا أستاذ".

الأستاذ:

"تفضَّل".

التلميذ:

"مَن هذا الطفل الذي جاء منذ قليل؟".

لقد استغرب الأستاذ من هذا السؤال، فأجاب بعد فترة من الصمت قائلًا:

"الطفل الذي جاء منذ قليل؟".

التلميذ:

"نعم يا أستاذي، ذلك الطفل الغريب ذو الشعر الأحمر".

وبمجرد أن أنهى التلميذ جُملَته عَلَت الهمهمة مرة أخرى بين التلاميذ، فقال أحدهم:

"نعم يا أستاذ، ذلك الطفل الغريب ذو الشعر الأحمر الداكن".

ثم تبعه آخر قائلًا:

"الذي كان يضع الحرملة على كتفيه".

وآخر قال:

"الذي دخل الفصل أوَّلًا قبل أن تأذن لنا بالدخول".

ولما احتار الأستاذ بينهم صاح فيهم قائلًا:

"أريد أن أسمعكم واحدًا واحدًا، هل كان يوجد طفل هنا شَعرُه أحمر؟".

التلميذ:

"نعم يا أستاذي، كان موجودًا هنا".

لكن الأستاذ لم يدرك كلامهم هذا؛ ولذلك استمرَّ في توجيهاته إليهم قائلًا:

"عليكم أن تتسلَّقوا ذلك الجبل القريب وتجولوا بأنظاركم جيِّدًا في المناطق المحيطة به، وأحضِروا معكم غدًا الأدوات التي سوف تساعدكم في عملكم على الجبل".

وما أن انتهى المدرس من الكلام حتى انتفض "إتشي"، أكبر التلاميذ سنًّا، واقفًا، وصاح في رفاقه قائلًا:

"انتبااااه".

وبعد أن وقف التلاميذ، صاح فيهم "إتشي" مرة أخرى قائلًا:

"التحية".

وهنا خفض التلاميذ رؤوسهم تحيةً للأستاذ، وما أن فعلوا ذلك حتى خرج الأستاذ مسرعًا من الفصل مثل الرياح.

وبعد ذلك تبعه جميع الأولاد يركضون بسرعة متوجِّهين إلى الجبل القريب الكثيف الحشائش، كذلك تبعتهم التلميذات دون أن يلحظ الأولاد ذلك، ولكن بعد أن بدأ الجميع في صعود الجبل أصيبوا بالإحباط، فبعد وصولهم لدغل أشجار الكستناء، لم يَعُد يظهر أمامهم ذلك الطفل الغريب ذو الشعر الأحمر، لم يكن هناك إلا أعواد الغاب العشرة التي تعصف بأوراقها الرياحُ كما قال لهم الأستاذ. إلا أن الأطفال الأصغر سنًّا كانوا لا يزالون يشغلون فكرهم بأمر ذلك الطفل الغريب، وهكذا تفرَّق الجميع وعادوا إلى بيوتهم، إلَّا "إتشي" و "كاسو"، اللَّذين لم يستطيعا نسيان ما حدث اليوم.

**اليوم الثاني من شهر سبتمبر:**

ومع حلول صباح اليوم الثاني من سبتمبر، كانت السماء صافية تمامًا مثل اليوم السابق، وكانت أشعَّة الشمس تنعكس متلألئة على صفحة النهر المجاور للمدرسة، وبعد انتهاء حصة بعد الظهر، الساعة الثانية، قام "إتشي" مع التلميذ "قووإتشي" كعادتهما بكنس الفصل، وبعد ذلك قام الاثنان بإغلاق بوابة المدرسة، ومع ذلك كانا لا يزالان مشغولَيْن بأمر ذلك الطفل الغريب الذي شاهداه يوم أمس، وهنا

تشاور الاثنان في أمر الذهاب مرة أخرى حتى مكان أشجار الكستناء في الجبل القريب لاستطلاع الأمر. حمل كلٌّ منهما حقيبته على ظهره، وعبَرَا النهر، وشرَعَا في صعود التل، وما أن تجاوَزَا الدرجات الحجرية الموجودة عند منتصف التل وشرَعَا يتفحَّصان أشجار الكستناء، حتى اكتشفا وجود ذلك الطفل الغريب ذي الشعر الأحمر بشحمه ولحمه أمام أعينهما وليس سرابًا، لقد كانت أوراق أعواد الخيزران الموجود على يسار أشجار الكستناء تهتزُّ مع الرياح، وكانت أشجار الكستناء تلقي بظلالها السوداء على الأعشاب، وكانت تلك الظلال السوداء أيضًا تغطي الحرملة السوداء التي يضعها الطفل الغريب على كتفيه، وهكذا حسم الطفلان أمرهما بعد تردُّد، واندفعا يصعدان التل بسرعة كبيرة مثل الرياح متوجِّهَيْن نحو ذلك الطفل الغريب، لكنه ظلَّ في مكانه رابط الجأش، يحدِّق فيهما بعينيه، لا يتكلم ولا حتى يبتسم، ولم يحاول حتى الهرب منهما، بل كان يُطبِق شفتيه النحيلتين وهو يكتفي بالحملقة في وجهيهما بعينيه الكبيرتين.

لقد وصل الاثنان حتى مكان الطفل ذي الشعر الأحمر ووقفا أمامه، ولكن مِن فرط عدْوِهما السريع كانا يلتقطان أنفاسهما بالكاد، ولم يستطيعا الكلام، وهنا استجمع "قووإيتشي" شجاعته وصاح صيحة قوية وهو يوجِّه فمه للسَّماء، ولم يكن ردُّ فِعل ذلك الطفل الغريب سوى ابتسامة خفيفة وهو يلوي فمه إلى الجانب، وهنا استجمع "إتشيروه" هو الآخر شجاعته وصاح بصوتٍ عالٍ بأنفاسه المتحشرجة قائلًا:

"مَن أنتَ؟ مَن أنتَ؟".

هنا ردَّ عليهما ذلك الطفل الغريب برباطة جأش، وكأنه رجلٌ راشد بالِغٌ، قائلًا:

"أنا اسمي ماتا سوبوروه، أنا أحرِّك الرياح، ومشهور باسم أمير الرياح".

فردَّ عليه "إتشي" صائحًا:

"من أين أنت؟، هل أنت روسي؟".

وهنا طالع ذلك الطفل الغريب السماء بوجهه وأخذ يقهقه ضاحكًا بصوتٍ عالٍ، وكان صوته هذا يشبه صوت صياح الغزال، وبعد ذلك عاد ذلك الطفل إلى صمته فجأةً، ثم قال بصوت هادئ كله ثقة:

"أنا اسمي مطا".

فنظر كلٌّ منهما إلى الآخر، وقالا:

"نعم، أنت مطا أمير الرياح".

ثم مدَّ "مطا" ذراعه النحيل من داخل حرملته وهو يقول بلهجة غاضبة:

"ألم تسمعاني جيدًا؟".

ثم جذب بقوَّةٍ مجموعةً من الحشائش من جذورها وألقاها في وجهيهما. فقال له "إتشي":

"إذا كنتَ أمير الرياح، فهل تنتقل من مكان إلى آخر عن طريق الطيران؟".

فقال "مطا":

"نعم".

ثم نظر إلى السماء وضحك.

ثم قال "قووإتشي":

"هل الطيران أمرٌ شيِّق؟".

فرد عليه "مطا" قائلًا:

"نعم، شيِّق".

فسأله "قووإيتشي" قائلًا:

"ولماذا هربت بالأمس من الفصل؟".

فقال له "مطا":

"لم أهرب، ولكن كان أمس اليوم 210، وكان من المفترض أن أطير أمس مع رفاقي أمراء الرياح إلى الشمال".

فسأله "قووإتشي" قائلًا:

"ولماذا لم تَطِر إلى الشمال؟".

فردَّ عليه "مطا" قائلًا:

"لأن رفاقي لم يحضروا لاصطحابي معهم".

فقال "قووإتشي":

"ومَن هم رفاقك؟ وما اسم عائلاتهم؟".

فردَّ "مطا" بنبرة غاضبة قائلًا:

"أنا ورفاقي نكوِّن عائلة أمراء الرياح، واسم عائلة أمراء الريح 'مطا'، هل فهمتَ؟".

فقال له "قووإتشي" متهكِّمًا:

"حسنًا، اسم عائلتك مطا، أليس كذلك؟".

فقال "مطا":

"نعم، نعم، فأنا أستطيع الذهاب إلى أي مكان".

فعاجله "قووإتشي" قائلًا:

"حسنًا، هل ذهبتَ إلى الصين؟".

فقال "مطا":

"نعم".

ثم قال "قووإيتشي":

"وهل ذهبتَ أيضًا إلى الشمال حيث جبل إيواتيه؟".

فقال "مطا":

"نعم، لقد عُدتُ الآن من هناك، فقد أقمتُ ليلتي الماضية في وادي جبل إيواتيه".

فقال "قووإتشي":

إنني أحسدك، فأنا أيضًا أريد أن أصبح مثلك أميرًا للرياح".

وهنا ظهر على "مطا" السرور"، فاحمرَّ وجهه ولمع وكأنه ثمرة تفاح حمراء طازجة، ثم نهض واقفًا فجأةً، وأخذ يدور حول نفسه عدَّة مرات على كعبَيْ قدميه، وقد ظهر من حرملته الرمادية التي كان يضعها فوق كتفيه ضوء أبيض لامع، وبعد ذلك جلس وبدأ الكلام فقال:

"لقد كانت رحلة ممتعة، هل أحدِّثكم عمَّا حدث هذا الصباح؟".

"لقد كنتَ هنا صباح الأمس، أليس كذلك!".

وهنا سأله "قووإيتشي" قائلًا:

"تركتنا بالأمس لتذهب إلى جبل إيواتيه، إليس كذلك؟".

فقال "مطا":

"نعم، هذا ما حدث".

وبعد أن أنهى "مطا" هذه الجملة لوى شفيته وهو ينظر إلى "قووإيتشي" بنظرة ملؤها الاحتقار، ثم قال:

"حسنًا، أرجو ألَّا تقاطعني في الكلام وأن تلزم الصمت، هل فهمت؟ صباح أمس غادرتُ هذا المكان متَّجهًا إلى الشمال، وخلال الطريق غفوتُ 65 مرَّةً وأنا واقف في الجو".

فقال "قووإيتشي":

"لماذا نمتَ كثيرًا هكذا؟".

فقال "مطا":

"ما باليد حيلة، فنحن نطير هنا وهناك، ولكن إذا كنَّا في الجو، ولم نجد مكانًا نطير إليه؛ ليس أمامنا إلا أن نغفو ونحن وقوف في الجو".

فقال "قووإيتشي":

"ما هذا الذي تقوله! وأنتَ في الجو إذا لم تستطع الطيران فليس مهمًّا أن تقف أو تجلس، ولكن المهم أن تبقى مستيقظًا".

فقال "مطا":

"يا لكَ من ثرثار! حين أقول لك إغفاءة، فلا يعني هذا أنني أغطُّ في النوم، ألَا تفعلون أنتم هذا أيضًا؟ حين نقف نحن أو نجلس فأنتم تقولون إن الرياح تسكن أو تنام، إنني أتعمَّد الخوض في التفاصيل لكي أجعلكم تفهموننا، أنتَ ثرثار، وإذا لم تسمعني وتصمت فسوف أترككم وأذهب إلى حال سبيلي، اسمعني جيدًا، لقد توقَّفتُ وغَفَوتُ في الجو 65 مرَّةً وأنا في طريقي إلى الشمال، وخلال غفوتي فكَّرتُ وضحكت كثيرًا، وما أذكره أنني وصلت الساعة الواحدة منتصف الليل تقريبًا إلى الشمال حيث جبل إيواتيه، وقد خمَّنتُ أن يكون الكوخ الموجود على الجبل خاليًا من أي إنسان، فقُمتُ بالدوران دورة كاملة حول الكوخ ثم حدَّقتُ في الأرض المظلمة تمامًا، وهنا أحسست بأن الأرض تهتزُّ من تحت أقدامي بشدة، وحين شخصتُ ببصري تحت أقدامي، وجدت قاع الوادي السحيق فارغًا تمامًا، وإننا حين نشاهد مكانًا

فارغًا فيجب أن نذهب إليه بسرعة؛ ولهذا فقد أسرعت في النزول إلى قاع الوادي، آه... يا لجمال قاع ذلك الوادي السحيق! لقد دخلتُ هناك إلى ظل ثلاث شجرات ضخمة من أشجار السرو، وقبعت هناك ساكنًا. ومن مكاني هناك صرت أعدُّ النجوم وأقدح زناد فكري بأفكار طريفة، وتخيَّلتُ المشهد الجميل لقاع الوادي مع حلول الصباح، ولم يكن المكان ساكنًا لدرجة كبيرة، ولكن كان يقف شامخًا أمام عينيَّ ذلك الجرف الهاوي والمظلم تمامًا، وطوال الليل كنت أسمع أصوات شظايا الصخور وكتل الرماد البركاني وهي تتفتَّت وتسقط من أعلى ذلك الجرف، وكانت تلك الأصوات على عكس ما توقَّعتُ، فقد كانت أصواتًا جميلة، ومع خيوط الفجر الأولى لهذا الصباح ظهر أمامي ذلك الجرف بلون شديد الاحمرار وكأنه نار مشتعلة، لا... بل كان ذلك من قبل أن يأتي الفجر، فقد لمحتُ من مكاني في قاع الوادي شَرَرًا أحمر مثل ألسنة اللهب يمرُّ من فوقي، لقد كانت أشجار السرو هناك تظهر في وهج الشرر الأحمر وكأنها زهور الصيف البيضاء أو كأنها القناديل الحجرية المضاءة".

وهنا عاد "قووإيتشي" ليقاطعه قائلًا:

"نعم، نعم... لقد قمنا العام الماضي بتعليق تلك القناديل الحجرية على شرفات المنازل وإضاءتها، ولكن حين هبَّت الرياح سقطت على الأرض".

فردَّ عليه "مطا"، وهو ينفث زفرة غضب وضيق، قائلًا:

"نعم، نعم، لقد كانت تلك القناديل جميلة حقًّا، ولهذا السبب قُمتُ بدفع الرياح ناحيتها فسقَطَت تباعًا على الأرض".

فقال "قووإيتشي":

"حقًّا! يا للعجب!".

ثم أطبق شفتيه لا يقول شيئًا، وقد اعترت وجهه علامات الدهشة والتَّعجُّب. أما "مطا" فقد رفع وجهه نحو السماء فجأة وفتح فمه عن آخره وهو يقهقه ضاحِكًا بضحكات هزَّت أرجاء الجبل، وبعد فترةٍ حاول التحامُل على نوبة ضحكة الهستيرية هذه، ثم شرع يمسح دموعه التي سالت من فرط الضحك، وقال:

"حسنًا... لقد تجاوَزتُ في ضحكي وسخريتي... دعني أعتذر لك. في مقابل هذا فإنني أعِدُكَ أن أحضر لك المرة القادمة شيئًا يُضفي السرور عليك! سوف أحضر لك خمس شجرات من الصفصاف... هل يرضيك ذلك؟".

وهنا استطاع "قووإيتشي" أخيرًا أن يكظم غيظه ويهدِّئ من غضبه، فبدأ "مطا" يواصل كلامه قائلًا:

"اسمعني، لقد كان هناك مَن يرتدون ملابس بيضاء ويسيرون فوق الوادي، وفي مقدِّمتهم كان هناك مَن يحمل مِشعَلًا متوهِّجًا، ولقد اجتاحتني رغبة مجنونة في الصعود إلى أعلى الوادي لمراقبة ذلك المشهد، لكنني وجدتني لا أستطيع السير، وبعد مرور فترة من الوقت بدأت الناحية الشرقية من السماء تنير وتضيء قليلًا، وبدأت الطيور في الصفير والصياح، فلقد كان هناك طيور الكروان والسنونو وغيرها من طيور التغريد والصفير، فراوَدَتني رغبة في التحليق في الجوِّ بدلًا من الوقوف فيه، وبعد ذلك شرعت في التحليق والطيران، ثم طِرتُ حتى وصلت إلى موضع ذلك الموكب بملابسه البيضاء، وتابعتهم حيثما ذهبوا، كانوا يتسلَّقون التلال فوق الأشجار التي نبَتَت منها الطحالب، أمَّا تلك الشعلة التي كان يحملها الشخص الذي يقود الطابور فقد بدأت تخفت وتوشك نارها على الانطفاء، وهنا حرَّكتُ حرملتي بقوة فتراقَصَت شعلة اللهب للحظاتٍ ثم انطفأت، لقد تنفستُ الصعداء وارتحت حين انطفأت تلك الشعلة، أما الناحية الشرقية من السماء

فقد اكتست بلون الكهرمان، وظهرت السحب الطافية بها على شكل سِربٍ من السحالي والأبراص، وهنا صاح رجل عجوز يسير في منتصف الطابور قائلًا: 'لقد انطفأت الشعلة أخيرًا'، وفي اللحظة التالية كاد ذلك العجوز يتعثَّر ويسقط على الأرض، فنشبت بطرف قميص الشاب الذي يسير أمامه، فغضب ذلك الشاب الصغير وصاح به قائلًا: 'قلتُ لك ألَّا تشدَّني من قميصي، فأنتَ طول الوقت تستمرُّ في التَّعثُّر والتَّشبُّث بقميصي... ابتعِدْ عني... عليك اللعنة!'، وهنا ضجَّ جميع السائرين بالضحك، وضحكتُ أنا أيضًا، وهكذا وصل الطابور إلى قمة الجبل، فقُمتُ بالدخول إلى فوهة ذلك البركان الذي خمد منذ زمان بعيد وخلدت للنوم، لقد نِمتُ فعلًا باستغراق، ولم أشعر بأي شيء، إلى أن استيقظت على صوت ضجة وجلبة، فإذا بهؤلاء الناس ذوي الملابس البيضاء يقتربون متسلِّقين الجبل، ثم قاموا بعد ذلك برمي حبَّات الأرز على الثلاثة والثلاثين حجرًا الخاصة ببوذا والموجودة على حواف فوهة البركان الخامد، وعلى ما يبدو أنهم كلهم كانوا يتسابقون من أجل الوصول إلى القمة، وفي ذلك التوقيت كانت السحب البيضاء الجميلة تعلو أشجار الأرز الملساء المغطاة بالطحالب الخضراء وسلاسل الجبال التي يشوبها اللون الأزرق البترولي، فكانت كل المنطقة مبتلَّةً بسبب السحب والندى، وبدت وكأنها فرغت من البكاء منذ دقائق، وهناك في أسفل الجبل حيث الوادي العميم كانت توجد حقول الأرز المغمورة بالمياه وتوجد البحيرات المستديرة التي تكوَّنَت فوق فوهات البراكين القديمة، وكانت صفحات المياه هنا وهناك تلمع مع انعكاس أشعَّة الشمس الصافية الجميلة، وكان يحيط هذا وذاك أحراش أشجار المرو، لقد كان المنظر ممتعا حقًّا... لقد كان الجميع يجتهدون في الركض ويتسابقون وهم يلهثون، ولكنهم لم يكونوا قد وصلوا لنهاية القمة، فقد كان لا يزال هناك منحدر آخر غير مرئي لهم، وحين بدأ هؤلاء صعود ذلك المنحدر، عاد ذلك الرجل العجوز ليشدَّ الشَّابَّ

السائر من قميصه، فعاد الشاب يعتريه الغضب مرة أخرى، ومع ذلك فعندما وصل الجميع إلى القمة أخرج ذلك الرجل العجوز زجاجةً من بين طيَّات ملابسه معبَّأةً بالماء، ثم أفرغ بعضًا من هذا الماء في كوب صغير للغاية، ثم قدَّمه لذلك الشاب الذي كان ينتفض غضبًا، وهو يبتسم وينحني أمامه، وهنا تحوَّل غضبُ ذلك الشاب فجأةً إلى ضحك هستيري وهو يعيد الكوب إلى الرجل العجوز بعد أن شرب الماء، ولما كان الوقت قد حان لمغادرتي ذلك المكان والمجيء إلى هنا فقد صرختُ صرخةً عاليةً وقفزت عاليًا من فوق قمة الجبل.

ما رأيكما في هذه الحكاية؟، ألا تعجبكما؟".

فقال "قووإيتشي":

"نعم، أعجبتنا، إنها حكاية شيِّقة".

ثم قال "إتشيروه":

"ياأخ مطا، هل سوف تقيم هنا؟".

فتطلَّع مطا إلى السماء بعينيه، وفكَّر، ثم قال:

"نعم، أعتقد أنني سأظل هنا ستة وخمسين يومًا أخرى، وحتى لو تمشَّيتُ هنا أو هناك فلن أبعد عن هذا المكان كثيرًا. نعم... بعد مرور تسعة أيام أخرى سأكون قد قضيتُ هنا 220 يومًا، وربما في ذلك اليوم قد أرحل حتى أقصى الشمال عند الأخدود البحري توسكا رورا، وإنني سوف أذهب اليوم إلى ذلك المكان لاستطلاع الأمر، إنني أريد أن نصير أصدقاء".

فقال "إتشي" وقد كست وجهه الحُمرَة:

"بل نحن من البداية أصدقاء".

ثم قال "ماتاسايوروه":

"أكيد سوف أقابلكم غدًا في طريق عودتكم من المدرسة، فلتتذكَّروا هذا المكان، فقد تجدونني هنا، يمكنكم أيضًا أن تصطحبوا معكم كل زملائكم، إنني أعرف أمورًا مفيدةً كثيرة... إنني رائع، إليس كذلك؟، حسنًا... عليَّ أن أذهب الآن، وداعًا".

ثم نهض "مطا" وبمجرد أن فرد حرملته حدث صوتٌ مثل الصفير واختفى فجأة من أمام أعينهم، وهكذا هبط كلٌّ من "إتشي" و"قووإيتشي" من على التَّلِّ عائدين إلى منزليهما وهما يُمنِّيان نفسيهما بلقاء "مطا" غدًا.

**اليوم الثالث من شهر سبتمبر:**

كان اليوم التالي هو الثالث من سبتمبر، ومع حلول العصر صاح "إتشي" قائلًا:

"اسمعوني أيها الرفاق، لقد جاء بالأمس مرةً أخرى ذلك الطفل الغريب، مطا، وقد يأتي اليوم أيضًا، مَن يريد أن يستمع لحكايات مطا فليأتِ معنا".

عندما سمع عشرة من التلاميذ الباقين في الفصل هذه الجُملة، أخذوا يتصايحون وقد غمرتهم الفرحة، ثم انطلقوا خلف "إتشي" و"قووإيتشي" مُسرِعين يتسلَّقون التل، كانت السماء صافيةً ومملوءة بضوء أزرق مُبهِر، وسُحُب تسير ببطء وهي تشكِّل دوائر كبيرة، لكن "مطا" لم يكن موجودًا هناك، فصاح الأطفال:

"يا مطا... يا مطا... هيا، انفخ الرياح، واهبط أمامنا".

وبالرغم من صياحهم هذا إلَّا أن "مطا" لم يظهر أمامهم، فاستمروا في صياحهم مُردِّدين نفس الكلام، إلا أن "مطا" لم يظهر أمامهم، ولكنه نفخ حولهم، فتكوَّنَت دوَّامة صغيرة مشبَّعة بالندى تصعد وتهبط،

ولكنهم كانوا مشغولين بالنظر إلى السماء الزرقاء يبحثون عنه، ثم عاد الأطفال يصيحون مرة أخرى ويقولون:

"يا مطا، لماذا لا تأتي إلينا بسرعة؟".

ورغم ذلك لم يظهر أمامهم، ولم يظهر أمامهم في السماء سوى حدَّأة تفرد جناحيها الفضيين اللامعين، وتطير متَّجهةً نحو الشرق، وهي يدخل في حلقها ضوء السماء الزرقاء، ثم عاد الأطفال مرة ثالثة يهتفون:

"هيا يا مطا، نريدك أن تظهر أمامنا بسرعة".

ولكن ما حدث بعد ذلك بلحظات أنهم وجدوه أمامهم فجأة، وهو يقف وسط الحشائش وهو يلهث وقد احمرَّت وجنتاه، منتعِلًا حذاءه الزجاجي، فارِدًا حرملته وهي تلمع بوهج أبيض، فصاح أحدهم قائلًا:

"لماذا تأخَّرتَ علينا؟ لقد انتظرنا طويلًا".

فأخرج "مطا" من تحت حرملته منديلًا بلون أصفر باهت، وبدأ يمسح العرق عن وجهه وهو يقول:

"لقد كنتُ أنتوي أن أحضر إليكم في وقت مبكِّر عن هذا، لكنني كنت أطير على ارتفاع شاهق، فلم أستطع الحضور إليكم فورًا، رغم علمي أنكم تنتظرونني، لقد اخترقت تلك السحابة الكبيرة المستديرة التي ترونها هناك بعيدًا في السماء، ثم مررتُ بعمِّي حيث ألقيت عليه التحية قبل أن أصل إلى هنا، إن عمِّي رجل عظيم، إنه يطير اليوم، ولقد قطع مسافة أكثر من ثلاثين ميلًا".

فسأله أحد الأطفال:

"وإلى أين يذهب عمُّكَ؟".

إنه يطير الآن عاليًا في السماء نحو الشرق في خطٍّ مستقيم، وإن حرملته تجمَّدَت تمامًا من البرد، وتتساقط منها قطعٌ، منها قطعٌ صغيرة من الثلوج، لكنكم لن تستطيعوا رؤيتها من هنا".

فقال له أحد الأطفال:

"وهل جئتَ يا مطا العام الماضي إلى هنا في مثل هذا الوقت؟".

فردَّ عليه:

"نعم، لقد جئتُ العام الماضي، ولكن في وقت مبكِّر عن هذا الوقت، ولقد قضيت هنا وقتًا ممتعًا، فلقد طرتُ من جزيرة كيووشو إلى طوكيو دون توقُّف، وخلال طيراني توقَّفتُ فوق منزل الچنرال كوبو، وكنت أعرفه من قبل، فنظرتُ داخل المنزل وكان هناك بابان مخلوعان من مكانيهما، فقلت لنفسي:

"أكيد أن هذين البابين انخلعا بسبب الرياح".

فقُمتُ بإعادتهما إلى مكانهما، ثم بدأت أركض من هناك إلى حديقة المنزل، فوجدت هناك كثيرًا من أشجار الرمان، ووجدت هناك نجَّارًا شابًّا يُثبِّت شاكوشًا في خصره، وكان يمشي في خُيَلاء يتفقَّد سياج وأسطح المنزل، فلقد قمتُ بتحريك الرياح فسقطت ثمار الرمان الحلو والحاذق تباعًا على أرضية الحديقة، فقلتُ له:

"لقد أسقطنا البابين كنوع من الشقاوة البريئة، ولم نكن نريد إزعاج الچنرال".

فارتعد النجار، وكان منظره وهو مرتعدٌ مُضحِكًا، فضحكت، ثم طِرت في اتجاه العودة، وأثناء طيراني اصطدمت بعامود كهرباء فانقطع أحدُ أسلاكه، وظللتُ أطير طوال الليل حتى وصلت إلى هنا، ولقد مررتُ بهذا المكان الذي نحن فيه عند الفجر، ووقتها قمتُ بالإمساك بواحدة من السحب الطافية في السماء وقُمتُ بخبطها في

نتوءات صخور جبل تاكابورايما، ووصلتُ في مساء ذلك اليوم إلى البحر، والحقيقة أنني من مكاني المرتفع لم أكن أستطيع أن أرى البحر، وكنت أسير على مهل، فقد كانت الشبورة كثيفة للغاية، وكانت أصوات تصادُم الأمواج تصل لمسامعي، فحين يحلُّ اليوم 220 من هذا العام، فسوف أطير إلى مكانٍ بعيد جدًّا، آه! إنني أشتاق لمجيء ذلك اليوم".

وهنا صاح الأطفال جميعًا في صوت واحد قائلين:

"آهٍ.. إننا نحسدكم كثيرًا يا أُمَراء الرياح".

لكن "مطا" حين سمع هذه العبارة اعتراه الغضب فجأةً، فصاح قائلًا:

"إنني لا أحب سلوككم هذا، لماذ تحسدونني؟ إنني أيضًا لديَّ الكثير من الأمور التي أحسدكم عليها. إنني أكره كثيرًا مَن يحسدون غيرهم ويستخفُّون بهم ولا يُفكِّرون إلا في أنفسهم ولا يفكِّرون في شعور الآخرين. إننا نشعر بالخزي إذا قارنَّا أنفسنا بالآخرين... إننا نتحرك كلنا منفصلين عن بعضنا البعض. وكما قلت لكم منذ قليل... فنحن نتدرب على الطيران مرةً أو مرتين في العام، وعندما نطير لا ينظر أحدنا وراءه، ولا يحاول أحدٌ منَّا أن يطير متراصًّا في صفوف مع زملائه، ولذلك لا يهتمُّ أحدنا بما يفعله زملاؤه. ألا ترون أنكم تنظرون دائمًا إلى رفاقكم وتحاولون مقارنة أنفسكم بهم؟ إنني عندما أطير أقابل الصقور التي أحبها والتي التقيت بها مصادفةً هناك من قبل، ورغم أن الصقور شقية وسيئة الخصال إلا أنها في أيام الطقس السيئ تطير في خطوط مستقيمة في السماء؛ ولهذا السبب فأنا معجَب بها وأحبها، إنها تطير بسرعة كبيرة وهي ترفرف بأجنحتها الفضية في زرقة السماء المنيرة وفي ظلال السماء في خطوط مستقيمة وكأنها سهام منطلقة دون توقُّف؛ لهذا السبب فإن هذه الطيور سيئة الخصال، ولا تعطي

انطباعًا حَسَنًا لدى الناس، لكنني منذ قليل حين التقيت بها وألقيت عليها التحية حذَّرتها قائلًا:

'لا تنقروا بمناقيركم كثيرًا في أحجار السماء الزرقاء'.

وهنا ردَّت قائلةً في صَلَفٍ وتبجُّح وغرور: 'إذا حدث ثقب في الصخور الزرقاء، فسيتاح لكَ أنتَ أيضًا أن تنظر إلى العالم الموجود في الناحية الأخرى من خلال ذلك الثَّقب، وعليك أن تشكرنا على هذا'.

وبالرغم من صلفها وغرورها إلا أنني لم أشعر بالاستياء ممَّا قالت".

وهنا ردَّ عليه "إتشيروه" قائلًا:

"يا سيد مطا، إنني لا أحسدك، لقد امتدحتُكَ وحسب، إنني أتعلَّم دائمًا من أستاذي أن الرجل المكتمل الرجولة هو الذي يُسعِده أن ينهي عمله بنجاح، وهو الذي لا يحسد الآخرين حين يكونون أقدر منه، ولهذا فأنا لا أرى داعيًا لغضبك".

هنا انفرجت أسارير "مطا" وضحك، وبعد ذلك نهض واقفًا ثم طرق الأرض بكعبَيْ قدميه ودار دورةً حول نفسه، وهنا صدر بريقٌ لامع من حرملته وأخذت فردتا حذائه الزجاجي اللامع تصطكَّان إحداهما بالأخرى مُحدِثَتَيْن أصواتًا عالية، ثم جلس "مطا" وقال:

"ولهذا السبب فأنا أحبكم أيضًا، ليس أنتم فقط، فأنا أحب جميع الأطفال، إنني دائمًا حين أركض صارِخًا بأعلى صوتي فإن الأطفال فقط هم الذين يتصايحون فَرِحين برؤيتي، وأول أمس حدث نفس الشيء، فبعد الظهر صِرنا نذهب تِباعًا إلى الجبل، وعندما كنت أعبر فوق طريق في الجبل، اصطدمتُ ببعض أشجار الكستناء وسقَطَت بعض ثمارها الخضراء التي لم تصل لمرحلة النضج بعد، وسقَطَت أيضًا أوراق الأشجار، وهنا شاهدتُ أخوين يعبران الطريق الموجود في الجبل دون

أن يرتديَا ما يحميهما من المطر، وكان الأخ الأكبر في حجمكم وسنكم تقريبًا".

ثم استمرَّ "مطا" في الحديث وهو يشير بإصبعه السَّبَّابة الطويلة النحيلة ناحية "إتشيروه" قائلًا:

"أمَّا الأخ الأصغر فكان حجمُه صغيرًا، وكان وجهه أصغر من وجه ذلك الطفل ذي اللون الأحمر، وذلك الطفل الصغير كان جسده ينتفض ويرتعش وقد أصبح لون وجه شاحبًا، وإننا نستطيع في أي وقت أن نجعل الشَّرَر يخرج من عيون البشر، فلقد ذهب أحد رفاقي من قبلي وقام بالعبث معهما، فقام بالضغط على عيون هذين الأخوين من الجانب، فشعرَا بأن الشَّرر يتطاير من أعينهما، لكن الحقيقة أنه أوهمهما بخروج الشر من أعينهما، ولكن فعليًّا لم يكن هناك شَررٌ يتطاير من أعينهما، فلقد تخيَّل الأخ الأصغر الضئيل الحجم أن السماء تحوَّلَت إلى لون بنفسجي يشوبه ضوء أبيض، وأنها تشتعل ويتطاير منها الشرر، وبعد ذلك ظنَّ أن السماء سوف تنطبق على الأرض وتشتعل، وأنه هو وأخوه الأكبر وأمه سوف تتفتَّت أجسادهم وتتناثر حتى الموت، لقد شعرتُ بالشفقة عليه، وبعد ذلك رأيت أخاه الأكبر يقف متسمِّرًا منشنِّجًا وهو يحتضن أخاه الأصغر بقوة، وكان جامِدًا في مكانه مثل الحجر، هل تعلمون ماذا فعل الأخ الأكبر؟ في نفس الوقت الذي كان يحتضن أخاه الأصغر ليحميه من الرياح، التفت ناحيتي وصاح صيحةً عالية، وهنا شعرتُ ببعض الضيق من حركته هذه، فقمت بإثارة موجة كبيرة من الشغب والفوضى، فقمتُ بالنفخ في الحَصَى والزلط الصغير والذي كان في حجم حبَّات الفول، ليصطدم بجسد الأخر الأكبر فيلسعه ويعذِّبه، وهنا بدأ الأخ الأصغر في البكاء بصوتٍ عالٍ، ولكن مع استمرار الأخ الأصغر في البكاء، بدا على الأخ الأكبر أن الخوف قد تملَّك منه، فالتوى فمه إلى الجانب، وهنا شعرت بالشفقة عليه، فنفخت في الرياح فأزالت الحصى والزلط

الذي كان قد أغلق الطريق، وحين أخذتُ في النزول مع الأخوين من على الطريق الجبلي ذهبتُ إلى سهل الحشائش الموجود على جانب المنحدر، حيث كان مليئًا بزهور اللَّيلَك، وأخذت أنفخ في تلك الزهور لكي أوجِّه عبقَها نحوهما".

وهنا توقَّف "مطا" عن الكلام فجأة، وقال:

"ماذا حدث؟، لقد انقشعت السحب هناك فجأة، سوف أذهب هناك، الوداع، حاولوا أن تأتوا غدًا أيضًا، فربما أستطيع مقابلتكم".

وهكذا، وبمجرد أن انفردت حرملة "مطا" أمير الرياح خلف ظهره اختفى عن الأنظار في لحظات، أما الأطفال فقد أخذوا يثرثرون مع بعضهم البعض حول ما رأوه وما سمعوه حينما كانوا يسيرون إلى أسفل التل، وبعد أن وصلوا إلى السفح تفرَّقوا وعاد كل منهم إلى منزله.

**اليوم الرابع من شهر سبتمبر:**

"هل ترغبون أن أُسمِعَكم حكاية الدوامة؟".

هكذا صدرت عن "مطا" هذه الكلمات، بعد أن ظهر على حين فجأة بمجرد أن ظهر الأطفال عند أسفل أشجار الكستناء عند التل، ولكن لأن أحدًا منهم لم يكن يعرف ماذا تعني الدوامة، فاكتفوا بالصمت، وهنا عاد "مطا" ليسألهم وقد بدأ صبره ينفد ويتوتَّر ويقول:

"ألا تريدون أن تستمعوا إلى حكاية الفجوة الدوَّامة؟ إذا كنتم لا تريدون الاستماع فأجيبوا بوضوح، فسوف أترككم وأرحل".

وهنا أسرع "إتشي" بالرَّدِّ دون تفكير، قائلًا:

"أريد أن أستمع للحكاية".

وهنا بدأ "مطا" يكظم غضبه شيئًا فشيئًا، ثم بدأ الكلام بكلمات متقطِّعة، قائلًا:

"إن الدوَّامة شيء ممتع للغاية، حتى البشر من أمثالكم يستطيعون القيام بها، ألم تشاهدوها من قبل في مهرجانات الخريف مثلًا؟ أعتقد أنكم تشاهدون إعلانات في الشوارع عن البهلوان الذي يركب دراجة يدور بها داخل كرة ضخمة من الحديد والأسلاك المتشابكة المفرَّغة، والتي تشبه عُشَّ النحل، أليس كذلك؟ إن ذلك البهلوان يرتفع لأعلى بدراجته داخل الدائرة وهو ممسكٌ بمقبض الدراجة بيدٍ واحدة ويلوِّح للمشاهدين بمنديل باليد الأخرى، ألا تعتقدون أن ذلك العرض سخيف؟ لكن بالنسبة لنا فإن الفجوة الدائرية المتجدِّدة ليست بذلك الحجم الصغير... إنها دائرة كبيرة ومتَّسِعة، ولكنها أحيانًا تتقلَّص وتصل إلى أصغر حجم ممكن لها... أمَّا الدوامة التي تعرفونها أنتم فهي صغيرة جدًّا، وهي التي تُسبِّب أحيانًا جروحًا في أجسامكم عن طريق تفريغ الهواء في الجو".

وهنا صرخ "كاسو" فجأة قائلًا:

"آه... لقد حدث لي نزيف دموي في ساقي بسبب تفريغ الهواء".

وهنا صاح فيه "مطا" متسائلًا:

"لماذا حدث ذلك؟ هل أنت جادٌّ أم أن هذه مزحة؟ هيا دعني أرى ساقك".

كانت تبدو على وجه "مطا" علامات الضيق والحنق وهو يقول هذه الكلمات، أمَّا "كاسو" فقد كشف عن ساقه وقد احمرَّ وجهه تمامًا، وبعد أن تفحَّص "مطا" ساقه بدقة أخذ يهمهم في سريرته وكأنه يقلِّد الطبيب الذي يفحص المريض، ثم قال لـ"كاسو":

"دعني أقيس لك النبض".

هنا مدَّ له "كاسو" ذراعه اليمنى، ولكن من فرط الجدية التي كانت تبدو على وجه "مطا" وهو يمارس دور الطبيب، فقد انفجر "إتشروه" ضاحِكًا، لكن "مطا" تعمَّد أن يتجاهله تمامًا، وبعد أن ظلَّ صامتًا وهو يقيس نبض "كاسو" قال:

"نعم، نعم، قد يحدث مع إنسان مثلك أن تصاب ساقُه لسبب أو آخر بمثل ذلك النزيف، اسمعوا أيها الرفاق، إن جلد هذا الطفل رقيق للغاية، لكن قلبه قوي جدًّا، لدرجة أنه إذا وضع أحدُكم فمَه على ذراعه وشفط، فسوف يحدث نزيفٌ داخل ذراعه، وقد يكون هذا هو ما حدث في ساقه، نعم، نعم، إن ساقه من الممكن أن يحدث بها نزيف مع حدوث تفريغ للهواء في الجو".

وهنا سأله "إتشي":

"اشرح لي بوضوح ما الذي يحدث له؟".

فقال "مطا":

"ما يحدث أن الجلد الرقيق يحدث تحته تهتُّك، فيخرج الدم، أما الهواء فهو يقوم بدور الضغط على الدم لكي لا يتدفق، أما إذا كان الشخص المصاب في وسط دوَّامة، فإن الهواء لا يستطيع الضغط على الدم لكي لا يخرج، ولذلك يندفع الدم للخارج فجأة".

وهنا سأل "إتشي":

"وهل يحدث جرح في الجلد؟".

لكن "مطا" لم يُجب "إتشي"، وبدلًا من ذلك سأل "كاسو" قائلًا:

"إن الجلد لا ينقطع، إن الدم يسيل تحت الجلد فقط، أعتقد أنه لم يشعر بألم... أليس كذلك؟".

فردَّ "كاسو" ضاحكًا وقد احمرَّ وجهه:

"لم أشعر بألم إطلاقًا".

فقال "مطا":

"نعم، ليس من المعقول أن يكون هناك ألم؛ لأن الجلد لم يحدث به قطع، حيث إن ذلك النزيف نتج عن تفريغ الهواء بسبب دوامة صغيرة جدًّا يستطيع واحدٌ منَّا نحن أمراء الرياح أن يعملها بمفرده، وذلك بالدوران والركض بسرعة، فتطير أوراق الشجر وتلتصق بالحرملة فتتكوَّن الدوامة الهوائية، أمَّا الدوامة الكبيرة فلا يستطيع إحداثها أحد بمفرده، إن الفجوة الصغيرة يستطيع القيام بها عشرة من أمراء الرياح مجتمعين، أمَّا الدوامة الكبيرة فيقوم بها تقريبًا ألفٌ من أمراء الرياح، بما فيهم البالغون، ووقت القيام بعمل الدوامة ترتعش الأفواه وتومض بالبريق، ونقوم بتشكيل فريقين، فريق يدور في الاتجاه لأعلى، وفريق آخر يدور في الاتجاه لأسفل، فتتكوَّن دوامة بلونين، أمَّا بخصوص الدوامة الكبيرة جدًّا، فأنا لا أعلم عنها كثيرًا، ولكنها تحدث في اتجاه الجنوب فوق البحر ثم تتَّجه نحو المكان هنا شيئًا فشيئًا، أمَّا نحن فكل ما نفعله هو الدخول فيها ثم نبدأ بالركض، وبعد أن ننتهي من الدوران عشر مرات نصعد هناك إلى أعلى حيث بقية الإخوان ثم نسير معًا ببطء ونحن نضحك، وحين ننجح في الدخول داخل الدوامة الكبيرة نستطيع أن نصل بقفزة واحدة من 'جزيرة كيووشوو' في أقصى شرق اليابان حتى هنا، ولكن ما يحدث في الغالب أننا نصل إلى مكان عالٍ شاهق؛ ولهذا فإن الدوامة الكبيرة لا تجعلنا في أغلب الأحوال نشعر بالمتعة، أما حين يقوم عشرة منَّا بإحداث دوَّامة فنحن نشعر بأكبر متعة، لقد بدأنا بإحداث تلك الدوامات في منطقة 'قووشوو' أول مرة، ووقتها قمتُ بأخذ قسطٍ من الراحة عند سفح جبل 'يتسوجا تاكَيه' في السهول الفسيحة. وكان الجوُّ به غيوم كثيرة، ولكن من العجيب أن السهول الفسيحة الموجودة في أماكن منخفضة كانت مُشمِسَة طوال ذلك اليوم، فصعد من هناك

سِرب من الإخوان إلى أعلى، ولكني ظللتُ متمدِّدًا في مكاني حتى حلَّ المساء، وهنا أخذت أسمع أصواتًا تصعد من كل مكان تقول:

'هيا نقوم بعمل دوامة، يجب علينا القيام بعملها'.

وهنا صاح جميع أمراء الرياح معًا بصوتٍ عالٍ قائلين:

'فلتَقُم بعملها'.

وهنا صِحتُ أنا الآخر قائلًا:

'حسنًا سأذهب معكم'،

ثم بدأت القفز والطيران متوجِّهًا نحو السهل، وهنا حدث ما يحدث دائمًا في مثل هذه الحالات، فأنا لم أستطع الطيران في خطٍّ مستقيم، فكلما أسرعتُ بالطيران أنحرف إلى اليمين، وفي هذه الحالة تتكوَّن الدوامة، بعد ذلك يبدو أن الإخوان صاروا جميعًا يركضون خلفي، وكنت وقتها أركض أسرعَ من القطار، ولمحتُ تحتي هناك نهر 'فوجي كاوا' يمتدُّ في شكل شريط طويل، لكني ما لبثت بعد ذلك أن ارتفعتُ طائرًا لأعلى، ثم صِرتُ أسير على مهل، ثم انتقلت الدوامة إلى الناحية الأخرى، فدخل الجميع واحدًا بعد الآخر إلى داخل الدوامة، ثم تحرَّكنا جميعًا محدِثين صخبًا هائلًا إلى أن وصلنا إلى 'طوكيو'، وبعد ذلك أذكر أننا اتَّجهنا نحو البحر، وقمنا هناك بعمل زوبعة كبيرة، لم أكن قد ذهبت من قبل إلى البحر، وكنت قبل ذلك قد قمت بعمل زوبعة فوق مستنقع صغير، وكان ذلك قبل الحركة الثورية التي قمتم بها أيُّها البشر، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر، وكان ذلك عند مستنقع اسمه 'چين جونوما' بالقرب من منقطة 'هيزومية'، وبالقرب من الأحراش المتاخمة لذلك المستنقع قُمتُ مع أربعة من رفاقي بعمل دوامة، ولمَّا كنا ندور دورات سريعة عنيفة فقد كادت الأشجار أن تنكسر، وكانت الأمطار تهطل بغزارة في ذلك المكان، وهنا، وحين كان واحد من رفاقي يمرُّ بذلك المستنقع، شَفطَ المياه شفطًا

بسبب تفريغ الهواء الذي حدث أثناء مروره، وفي ذلك الوقت كنَّا نحن جميعًا قد اخترقنا سحابة سوداء كبيرة ونحن نواصل الركض والدوران، ورأيت من تحتنا كتلة الماء الكبيرة تتَّجه إلى أعلى نحونا، فصرخ الجميع قائلين:

'آه... نرى تنينًا هناك يطير نحونا'.

والحقيقة أنك إذا نظرت من أسفل فسوف تجد كتلة الماء هذه تندفع متلألئةً بضوء أبيض، ثم تدخل في سحابة سوداء، وقد تكون تلك الكتلة قد ظهرت وكأنها ذيل تنِّين ضخم، ووقتها كان رفاقي قد توقَّفوا عن الدوران، وبعد ذلك تحوَّلَت كتلة الماء لتسقط دفعةً واحدة في اتجاه المدينة وكنت وقتها قد توقَّفتُ عن الدوران ثم هبطتُ إلى ارتفاع قريب من الأرض وصرتُ أجول بعيني تحتي، فشاهدتُ أسماك القرموط والشبوط وقد تناثَرَت هنا وهناك فوق الطرقات وأسطح البيوت، ووجدت الناس وقد خرجوا إلى الشوارع وهم ينظرون إلينا وينحنون شكرًا، وبما أننا لم نكن مجموعة من وحوش التنين، شعرنا بالسعادة لانحنائهم لنا شكرًا، ونظرنا إلى بعضنا البعض مبتسمين، ثم قمنا بعد ذلك بالتحرك رويدًا رويدًا نحو الشمال، إن الدوامة فجوة ممتعة حقًّا، وهناك أيضًا ما يُسمَّى بـ'الدوامة العكسية'، إنها تأتي هابطةً من ارتفاع شاهق لتنزل إلى المكان الذي يدور به الإخوان في الاتجاه العكسي، وهي لا تحدث فجأة، ففي الشتاء نذهب عادة إلى منطقة سيبيريا ونقوم بإثارة تلك الزوابع فتصفو السماء، وكثيرًا ما تشعرون بآلام في حلوقكم في الشتاء، لكننا لسنا المتسبِّبين في ذلك، وفي شهرَيْ مايو ويونيو عادة ما نقوم بعمل دوامات كبيرة فوق سهول يووسقوه في الصين، وفي نفس الوقت نقوم بعمل دوامات كبيرة أخرى فوق الأخدود البحري تاسكارورا في الشمال، وحين تصطدم تلك الدوامات ببعضها البعض، يبدأ موسم المطر في اليابان، ولكن لأن المكان الذي تعيشون به يا أطفال يقع على أطراف الشمال الغربي،

لا تصل إليكم أمطار موسم المطر، آه... لقد شعرت بدوارٍ بسبب كثرة كلامي عن الدوامات، سوف أترككم الآن، لن أذهب إلى أي مكان، ولكني سوف أنام بعض الوقت".

وهكذا بمجرد أن لمعت حرملة "مطا" حتى اختفى عن أنظار الأطفال، فاندهشوا جميعًا من المفاجأة، وأخذوا يلتقطون أنفاسهم، وهكذا أخذ الأطفال يتبادلون الحديث حول ما شاهدوه وما سمعوه وهم ينحدرون إلى أسفل التَّلِّ متَّجهين إلى منازلهم.

**اليوم الخامس من شهر سبتمبر:**

عندما كان جميع الأطفال يصعدون الطريق المنحدر متَّجِهين نحو أعلى التل، فاجأهم "مطا" أمير الرياح بظهوره أمامهم وهو يقول:

"لقد ذهبتُ عدة مرات إلى شنغهاي؛ ولهذا فأنا أعرفها جيدًا".

وفي هذه اللحظة فرد حرملته مُطلِقًا منها شعاعًا برتقالي اللون وآخر أزرق اللون أغرق بهما الأعشاب حوله، ثم فرد أصابعه عن آخرها أمام وجوههم، ثم بدأ يتحدث قائلًا:

"إن جميع رفاقي يتمنون المرور بطوكيو وشنغهاي، أتعرفون لماذا؟".

ثم صار يجول بعينيه السوداوين في وجوه الأطفال يحدِّق فيها وكأنه يتحداهم أن يعرفوا الإجابة، ولكن لم يكن أحد من الأطفال حتى "إتشيروه" نفسه يعرف لماذا طوكيو وشنغهاي، فقد صار الأطفال ينظرون إلى بعضهم البعض لفترة من الوقت حائرين صامتين، وهنا أطلق "مطا" ضحكته العالية المعهودة وهو يقول:

"نعم، إن رفاقي يتمنون المرور بطوكيو وشنغهاي، أتعرفون لماذا؟ لأن طوكيو يوجد بها المركز الرئيسي لهيئة الأرصاد الجوية، وكذلك لأن شنغهاي يوجد بها مركز الأرصاد الجوية للصين، وفي كلا المركزين يوجد عدد لا بأس به من العظماء والنابغين، الحقيقة أن الجميع

حين يُحلِّقون فوق مراكز هيئة الأرصاد الجوية هذه يفضِّلون الطيران بسرعة، أتعرفون لماذا؟ نعم... لأن عدَّاد قياس سرعة الرياح يدور بسرعة إذ طِرنا بسرعة، ويسجِّل السرعة على الأجهزة، ثم يتمُّ نقل السرعة كآخر الأخبار في الصحف. إن أي أمير من أمراء الرياح بالطبع يريد تسجيل رقم جيد لسرعة الرياح؛ ولهذا السبب فجميعنا نحاول بقدر الإمكان الإسراع بالتحليق على مراكز الأرصاد الجوية، ومع هذا فليس من اللائق أن يسرع أمير الرياح عند الاقتراب من مراكز الأرصاد الجوية، وأعتقد أن الأمر أيضًا متشابه بالنسبة لكم، حيث إنه من غير المقبول أن تجتهدوا في المذاكرة فقط قبل الامتحانات؛ ولهذا السبب فحتى إذ كنَّا نريد الطيران بسرعة، فنتعمَّد عدم الطيران بسرعة، وفي مقابل هذا، فنحن حقًّا نطير مقامِرين بحياتنا ونحن نعبر مراكز الأرصاد الجوية، نشعر بالسرور، ثم إننا نحرِّك الرياح بشدة في عدادات قياس الرياح لدرجة أن توشك على الانفجار، ثم نغادر المكان، وبذلك نشعر بالسعادة تملأ صدورَنا كثيرًا، ففي شهر يونيه من العام الماضي كنت بالمصادفة في شنغهاي، وفي الليل كنت أطير من اليابسة إلى النهر، وفي النهار كنت أطير من البحر إلى اليابسة كل صباح العاشرة تقريبًا، لكن دائمًا في ذلك الوقت كنت أعبر على مبنى مركز هيئة الأرصاد الجوية هناك، فألمح فوق سطح المبنى إلى جوار أجهزة وعدَّادات رصد سرعة الرياح أحد أساتذة العلوم الصينيين وبرفقته أحد المساعدين، وعادة ما كان يقف ذلك الأستاذ صامتًا، أمَّا ذلك المساعد الذي كان طفلًا، فقد كان دائمًا يتحدث عن شيء ما، وكان رأس ذلك الطفل حليقًا تمامًا ولامعًا، وكان الرداء الذي يلبسه هو ذلك الرداء الصيني المعهود ذو الأكمام الفضفاضة الواسعة، وكان ينتعل حذاء، وكان يبدو لطيفًا وديعًا للغاية، وأثناء مروري لأول مرة فوقهما سمعت ذلك الطفل يقول:

'لا شكَّ يا سيدي أن هذا إعصار، إنها رياح شديدة للغاية'.

وهنا ضحك الأستاذ الصيني، وهو ينفث السيجارة، وقال:

'ولكن المنازل لا تتطاير'.

فقال المساعدُ الطفلُ وقد مطَّ شفتيه إلى الأمام:

'ألا ترى يا سيدي تلك الرايات المثلَّثة هناك وهي ترفرف بقوة؟'.

هنا قهقه الأستاذ ضاحكًا، وهبط من فوق المنصة التي كان يقف فوقها، دون أن يصافح الطفل الحليق الرأس، وغادر سطح المبنى، أمَّا الطفل فقد سار خلفه مطأطئ الرأس، شابِكًا ذراعيه أمام صدره، أمَّا أنا فقد سجَّلتُ سرعة رياح تبلغ مترين ونصف، ثم ضحكتُ وتركت المكان، وفي حوالي التاسعة صباحًا من اليوم التالي، استيقظت وفتحت عينيَّ وأنا فوق البحر وسط شبورة الصباح، وبعد ذلك أخذت الشبورة تنقشع شيئًا فشيئًا، فأصبَحَت السماء صافية، وسطَعَت الشمس وكأنها وردة ذهبية اللون، فوجب علينا أن نطير نحو اليابسة، أما أنا فقد توجَّهتُ رويدًا رويدًا نحو الشاطئ، فلمحتُ هناك سِربًا من طيور النورس البيضاء تحلِّق على شكل زهرة من زهور اللوتس تطفو فوق الأمواج، وقد كنتُ أطير فوق عدد كبير من السفن المتهالكة ذات الأشرعة الصفراء والسفن البخارية المدهونة بالطِّلاء الأبيض، وحين وصلتُ إلى نفس مكان مبنى هيئة الأرصاد الجوية الذي مررتُ به يوم أمس، شاهدتُ عن بُعدٍ عدَّادَ قياس سرعة الرياح وهو يدور بسرعة كبيرة، فوجدتُ قلبي يرقص ويقفز من الفرحة، فلقد زادت سرعة طيراني وأنا أمرُّ فوق ذلك الجهاز، حيث إن الجهاز سجَّل سرعة خمسة أمتار في الثانية الواحدة، وحين نظرتُ إلى أسفل وجدت نفس ذلك الأستاذ وذلك الطفل المساعد يكرِّر نفس كلام الأمس، حيث قال الطفل:

'إن هذه الرياح هي بالتأكيد إعصار'.

لكن الأستاذ ضحك نفس ضحكته السابقة ثم قال غير عابئ بكلام الطفل:

'ألا ترى أن قراميد الأسطح المنزلقة للبيوت وكذلك الأحجار لم تتحرك من أماكنها؟'.

وبعد أن أنهى الأستاذ جُملته هذه نزل من فوق المنصة، لكن الطفل المساعد ظل مُصِرًّا على رأيه وقال:

'ألا ترى يا سيدي أغصان الأشجار وهي تهتز بشدة؟'.

لكن الأستاذ كان لا يعيره أي اهتمام، أما أنا فقد تجاوزتُ مبنى هيئة الأرصاد الجوية وابتعدتُ كثيرًا ولم أعلم ما دار بينهما من حديث بعد ذلك، وأثناء ذلك اليوم ظللتُ أطير في اتجاه الغرب حيث طرتُ فوق منطقة مليئة بأبراج مصنوعة من الخزف، فاهتزَّت بسبب مروري فوقها، ثم عُدتُ أدراجي إلى البحر حين اكتمال البدر، حيث كانت تلك الليلة هي ليلة السابع عشر من الشهر القمري.

وقد حدث نفس الشيء أيضًا في اليوم التالي، فقد انطلقتُ نحو اليابسة أطير بسرعة كبيرة، ومررتُ فوق مبنى هيئة الأرصاد الجوية، كان يقف هناك فوق سطح المبنى ذلك البروفيسور مع مساعده الطفل الحليق الرأس وهنا عاد الطفل يكرِّر جُملته المعهودة ثم يضيف قائلًا:

'إن هذا هو إعصار حقيقي ولا شك'.

لكن الأستاذ كعادته صار يستخفُّ بما يقوله مساعده، فظهر على وجه المساعد التَّذمُّر والاستياء، وشبك ذراعيه أمام صدره، أما الأستاذ فقد ردَّ عليه قائلًا:

'ألا ترى أن الأشجار ثابتة في أماكنها ولم تقتلعها الرياح من جذورها؟'.

لكن الطفل المساعد، الذي احمرَّ وجهه تمامًا من فرط الغيظ، ردَّ على الأستاذ قائلًا:

'ألا ترى الأشجار تهتزُّ بشدة؟'.

أمَّا أنا فقد تجاوزتُ المبنى مُسرِعًا ولم أنظر خلفي، فلم أعرف ما الذي دار بينهما بعد ذلك، لكن عدَّاد قياس سرعة الرياح سجَّل ثمانية أمتار في الثانية، ولم يكن من المفروض أن أتوقَّف طويلًا فوق مبنى هيئة الأرصاد الجوية هذا، وفي اليوم التالي كنت قد عدت إلى البحر، وبحلول الساعة الثامنة تلبَّدَت السماء بالغيوم، وكانت الأمواج عالية، وكنت في ذلك الوقت طائرًا بالفعل أفرد ذراعيَّ وأصيح صيحةً عالية وأحلِّق فوق مبنى هيئة الأرصاد الجوية، وكالعادة كان نفس الشخصين يقفان هناك فوق سطح المبنى، ولما كان الطفل الحليق الرأس يقف في مكان مرتفع من مكان الأستاذ فكان في مهبِّ الرياح يرتعد من البرد وهو يتشبَّث بسور المنصة، وبدأت الأمطار أيضًا في التساقط شيئًا فشيئًا، وبينما يبدو على ذلك الطفل الرعب والشعور بالبرد إلا أنه قال للأستاذ:

'هذه عاصفة حقيقية، فهناك صوت ضجَّة عالية يصدر من الأحراش هناك، ألا تسمع صوت الأفرع وهي تتكسَّر؟'.

لكن الأستاذ ظلَّ على هدوئه كعادته واكتفى بالميل بجسمه قليلًا للأمام، وهو يرفع ذراعه فوق عينيه يتقي المطر، وهو يَشخَص ببصره نحو البحر، ثم قال:

'حقًّا، ولكن ما زال الوقت مبكِّرًا لكي نسمِّي هذه الرياح عاصفة، هيا بنا ننزل من هنا'.

لقد كنت أسمع تلك الكلمات بشكل متقطع وأغادر ذلك المكان، وبعد ذلك صرتُ أطير مُحلِّقًا دون توقُّف، حتى وصلت إلى الأحراش، فوجدت الأشجار من تحتي تهتزُّ بقوة كما لو كان الجنون قد أصابها.

وحين وصلتُ إلى التلال وجدتُ الحشائش والزهور وقد تقطَّعَت وتبعثَرَت بسبب اصطدام الرياح الشديد بها، وحتى مساء ذلك اليوم كنت قد ابتعدتُ عن "شنغهاي" إلى الجنوب الغربي بمسافة ثمانين ميلًا تقريبًا، حيث وصلتُ إلى داخل الجبال، ولأني شعرت ببعض الإرهاق فقد تركتُ رفاقي وأخذت قسطًا من الراحة، لكن رفاقي أيقظوني لننطلق مرةً أخرى ذلك المساء، وفي ذلك المساء طِرنا بسرعة شديدة في الفضاء متجهين إلى جبل في جنوب غرب شنغهاي، وكنت قد شعرت ببعض التعب، فافترقت عن رفاقي وخَلَدتُ إلى الراحة قليلًا، وفي ذلك المساء طِرنا من شنغهاي إلى الشمال حيث عبرنا البحر وطِرنا في خط مستقيم إلى هنا، فوجدنا المنطقة هنا ذات ضغط منخفض، ولقد تقرَّر أن أذهب إلى منطقة شنغهاي مع رفاقي، فظللت ذلك المساء أحلم بالذهاب إلى شنغهاي، وفي اليوم التالي تحقَّقَت أمنيتي وذهبت إلى شنغهاي، ومرَرتُ مرة أخرى فوق نفس المبنى، فنفثت من مكان بعيد دفعة من الهواء جعلت مؤشِّر عداد سرعة الرياح يلفُّ ويدور بسرعة كبيرة لا تستطيع معها العين متابعته.

وقد لمحت هنالك مرة أخرى ذلك الأستاذ الصيني وهو يلبس ذلك البالطو الأصفر وذلك المساعد الطفل وهو يلبس حرملة سوداء تغطيه من الرأس، وهما يقفان فوق ذلك البرج فوق سطح المبنى ويراقبان السماء بتركيز شديد، فأصدرتُ صفيرًا شديدًا من فمي، ثم طِرتُ بسرعة شديدة مثل البرق، ثم صرخت بصوت عالٍ وأنا أمرُّ فوقها قائلًا:

'اليوم سوف تهبُّ عاصفة، إنها عاصفة بحق، وإلى اللقاء في يوم آخر'.

ولم أتبيَّن ما تمتم به ذلك الطفل الحليق الرأس بعد ذلك، وما استطعتُ أن ألمحه، هو فمه الصغير الذي التوى للجانب، ولقد تذكرتُ أنني كنت في ذلك الوقت أعبر الفضاء بسرعة دون توقُّف فوق البحر الواسع متَّجِهًا إلى هنا، ولكن في طريقي إلى هنا أخذت أخفض من سرعتي، وأخيرًا مَرَرتُ فوق هذا المكان في اليوم الخامس، وفي اليوم السابق له مررتُ أيضًا فوق مبنى هيئة الأرصاد الجوية المؤقَّت بمنطقة ميزوساوا في محافظة إيواتية، وذلك المرصد هو الثاني المفضَّل لي أنا ورفاقي للمرور فوقه داخل اليابان بعد مرصد طوكيو، وإذا سألتموني عن السبب سأقول لكم لأن تسجيلات أجهزة هذا المرصد يتمُّ إرسالها إلى البلاد الأجنبية وليس اليابان فقط، ويوم أن مررنا فوق هذا المرصد كان ذلك اليوم صحوًا، ولقد تذكَّرتُ أن اليابان كانت في ذلك اليوم على وشك الدخول في موسم الأمطار، وعندما وصلت إلى ذلك المرصد أخذتُ قسطًا من النوم، بل كانت غفوةً، وأثناء ذلك وصل إلى آذاني صوتٌ خافت لشخص يقول:

'حسنًا... لا داعي للقلق فقد جفَّت الأرض'.

وحين شخصتُ ببصري لمحتُ الأستاذ الياباني 'كيمورا' مع مساعده، الذي يعمل بمركز الأرصاد، وهما يحملان مضارب الراكيت في يديهما ويقفان هناك فوق سطح المبنى، إن الأستاذ 'كيمورا' هذا نحيف القوام، ولا يكفُّ عن الالتفات هنا وهناك، ولكني أحب ذلك الرجل، أضِف إلى هذا أن الرجل ماهر في لعبة التنس بشكل ملحوظ، لقد ظللت لفترة ما أراقبهما حيث لاحظت أن مساعده ذلك لا يستطيع مجاراته في ضرب الكرة، فقد كان يتصبَّب عَرَقًا وهو يترنَّح، وهو يكاد لا يستطيع الوقوف على قدميه، ولما شعرت بالشفقة على ذلك المساعد صرتُ أركِّز على الكرة التي تطير بين المضربين حتى قُستُ باستغلال لحظة قيام الأستاذ بضرب ضربة البداية، فقفزتُ نحوه ونفخت الهواء نفخة قوية، فانحرفت الكرة عن مسارها إلى الخارج، وبعد

ذلك مباشرةً قام الأستاذ بضرب الكرة مرةً أخرى، فوقفتُ في نقطة تقع في منتصف مسار تلك الكرة المندفعة، ونفخت فيها، فطارت بعيدًا في الفضاء، وهنا صاح الأستاذ قائلًا:

'إنني لا أصدق ما أراه'.

لقد أحسستُ في هذه اللحظة أنني تجاوَزتُ في تدخُّلي في اللعب بدرجة جعلت الأستاذ يخرج عن شعوره ويقول هذا الكلام، فأسرعتُ بمغادرة مكان مبنى الأرصاد الجوية، وفي اليوم التالي جئتُ إلى هنا، بالمناسبة.. يجب عليَّ أن أغادر هذا المكان بعد قليل لأذهب إلى ذلك المرصد، فدعوني أودِّعكم اليوم.. باي باي".

وفي لمح البصر اختفى "مطا" عن عيون الأطفال، فشعر الأطفال بالضيق، لأن "مطا" ظلَّ يتحدث وحده ثم تركهم فجأة دون أن يستأذن منهم، واضطروا إلى مغادرة المكان والعودة إلى منازلهم.

**اليوم السادس من سبتمبر:**

أول أمس بدأت السماء تتلبَّد تدريجيًّا بالغيوم، وأخيرًا سقطت قطرات المطر في هدوء على ثمار الأعشاب وعلى الأشجار الخضراء كما يحدث في موسم الشتاء، ووسط هذه الأمطار صار الأطفال يقطعون طريقهم نحو المدرسة وهم يفردون مظلاتهم أو يضعون فوق رؤوسهم قبَّعات واسعة مصنوعة من القش، بينما صارت قطرات المطر المتجمِّعة فوق تلك القبعات تتساقط متتابعة، وبين وقت وآخر كانت زخَّات المطر تتوقَّف وتتحوَّل السحب إلى اللون الأبيض، لكنَّ أحدًا من التلاميذ لم يوجِّه أنظاره من خلال نافذة الفصل نحو أشجار الكستناء الموجودة فوق التل البعيد، وفي ذلك الوقت صار الأطفال لا يشعرون بالاستغراب من شكل "مطا"، كما كانوا يشعرون في بداية لقائهم به، ووصل بهم الأمر إلى حدِّ أنهم صاروا يعتادون رؤيته، لدرجة أنهم اعتبروه صديقًا

لهم جاء إليهم فجأة من طوكيو إلى مدرستهم الريفية الصغيرة، وبعد الظُّهر بقليل انتهت الحصص، وكانت الأمطار قد توقَّفَت، وصَفَت السماء، وكانت حشرات زيز الحصاد الصغيرة الحديثة الولادة قد بدأت في عمل الأزيرز، مُعلِنةً انتهاء موسم الأمطار وبداية موسم الصيف الحار، ومع هذا فلم يبادر أحد من التلاميذ بدعوة رفاقه للذهاب كالعادة إلى مكان أشجار الكستناء، حتى "إنشيروه" و "قووإتشي"، خرجا من بوابة المدرسة وعلى الفور ودَّعا بعضهما البعض وافترق كلٌّ منهما عائدًا إلى منزله، وكان منزل "قووإتشي" يقع بمحاذاة النهر على بُعد حوالي كيلو متر ونصف من المدرسة في منطقة مرتفعة نوعًا ما، لقد كان هناك طفلان آخران في الصف الأول الابتدائي يأتيان كل صباح معه من نفس اتجاه منزله، ولكن لأن "قووإتشي" كان قد غادر المدرسة مبكِّرًا في ذلك اليوم، فقد قطع الطريق وحده عائدًا إلى منزله وهو يحمل حقيبته ومظلته سائرًا بمحاذاة النهر في اتجاه المنبع، وكان الطريق يقطع منتصف جبل ذي جرف شاهق، وكان الطريق ملتويًا مع التواء تضاريس الجبل، حيث تكثر به المنحنيات، وكان السائر على هذا الطريق يشاهد الوديان العميقة على جانبي الطريق في بعض الأماكن، وفي بعض الأماكن الأخرى كانت هناك عيون ماء طبيعية يتدفق منها ماء الجبل، وكانت رمال الطريق ناصعة البياض، والأرض منبسطة، ولهذا السبب فإن "قووإيتشي" في ذلك اليوم أيضًا كان قد خلع قبقابه الخشبي وحمله مع مظلته وسار حافيًا، وبعد أن مرَّ "قووإيتشي" بمنعطفين على ذلك الطريق الجبلي الملتوي، لم تعُد المدرسة تظهر خلفه، ولم يعُد هناك أمامه أو خلفه أي شخص على الطريق، ولم يعُد يشقُّ السكونَ المطبِقَ سوى صوت المياه العكِرة التي تسقط من فوق الجرف، فتصطدم بالصخور، وهنا شعر "قووإيتشي" بوحدة شديدة، فبدأ يسلِّي وحدته بالصفير بفمه ويسرع الخطو أكثر، لكنه حين أشرف على منعطفٍ جديدٍ وجد مجموعة من أشجار البلوط والهليون

الضخمة قد مالت بجذوعها على جانب الطريق، بحيث صارت تعوق حركة المرور، وهنا، وبحركة تلقائيَّة، بدأ "قووإيتشي" يعبر تحتها خافِضًا رأسه، ولكن في هذه اللحظة اهتزَّت شجرة من تلك الأشجار فجأة، فسقط مرة واحدة عدد كبير من حبَّات المطر التي كانت متراكمةً منذ ليلة الأمس فوق أوراق تلك الشجر عليه، فأغرقته من كتفيه حتى ظهره، فلقد كانت زخَّة الحبَّات شديدةً لدرجة أن يتبلَّل بكثرة، ولكن كان ما فعله "قووإيتشي" أنه نظر إلى أعلى حيث فرع الشجرة الذي أفرغ فوقه حبات المطر المتراكمة، ثم رسم ابتسامة عريضة على وجهه الذي كسته الحُمرةُ بفعل الغضب، ثم مضى يكمل طريقه نحو منزله، لكنه ما أن سار في النفق التالي الذي كوَّنته أغصان الأشجار الضخمة بشكل طبيعي حتى فاجأته الأشجار بزخَّةٍ مفاجئة أخرى من مياه الأمطار المتراكمة فوق أوراقها، وهكذا صار "قووإيتشي" مبتلًّا تمامًا من شعر رأسه حتى أخمص قدميه. لقد أصيب بالدهشة والفزع لحظة نزول تلك الزَّخَّة المفاجئة فوق رأسه مرة أخرى، لكنه عاد إلى تماسُكه بسرعة وواصل السير وهو يُصفر بفمه، لكنه وصل مرة أخرى بعد دقائق قليلة إلى مكان في الطريق تُظلِّله أغصان الأشجار الضخمة، وكانت الأغصان هذه المرة أطول وأغلظ بكثير من التي مرَّ تحتها منذ قليل، ولهذا فقبل أن يمرَّ تحتها أخذ يطالعها بتوتُّر مَشوب بالحذر، لقد كان يبدو أن أوراق الشجر بهذه الأغصان مُحمَّلة بكميات كبيرة من مياه المطر، وكانت المياه تبدو على وشك السقوط بين لحظة وأخرى مع أقل اهتزازٍ يصيبها، وإلى جانب هذا فإنه كان يتوقع أن ما حدث في المرتين السابقتين، بالتأكيد سوف يحدث له، ولهذا فقد وقف مترددًا لبعض الوقت، لكنه عاد ليحاول إقناع نفسه بأن الأمر لن يتكرر للمرة الثالثة على عكس المثل الشعبي الياباني المعروف والذي يقول: "ما حدث مرتين يحدث للمرة الثالثة"، فاستجمع شجاعته وبدأ يتقدَّم نحو نفق الأشجار وهو يشعر برعشة خوف، لكنه بمجرد أن

دخل تحت كتلة الأغصان المتشابكة سقطت عليه زخَّةٌ كثيفة من حبَّات المطر المتراكمة فوق أوراق الشجر، وهنا رفع وجهه يحملق في تلك الأغصان وقد التوى فمه وصار على وشك الانفجار في البكاء، لكن لأنه لم يكن باليد حيلة أمام ما حدث له، فقد بدأ يعاود السير مرة أخرى وجسده يرتعش من شدَّة البَلَل والشعور بالبرد، وهنا فوجئ "قووإيتشي" بزخَّةٍ أخرى إضافية تهاجمه من أعلى، وهنا شعر "قووإيتشي" وكأنَّ شخصًا ما يتعمَّد المزاح الثقيل معه ويختبئ هناك فوق الأشجار، فرفع وجهه إلى أعلى وصاح وقد ملأ الغيظ صوته قائلًا:

"مَن هناك؟ مَن هناك؟".

ظلَّ على وضعه هذا لبعض الوقت وهو يكرِّر نفس الجملة وهو ينظر شزرًا إلى أغصان الأشجار، إلا أنه لم يكن يسمع هناك سوى صوت صدى هدير الغدير الذي يأتي مِن أسفل الجرف، وهنا قرَّر "قووإيتشي" أن يحتمي من الزَّخَّات المفاجئة، ففرد مظلته ورفعها إلى أعلى، ثم وضع فردتي قبقابه على الأرض وانتعلهما، لكن ما حدث في تلك اللحظة هو أنه هبَّت على حين فجأة رياح قوية اصطدمت بمظلته المفتوحة وكادت تقذفه بعيدًا وهو ممسك بها، لقد صار "قووإيتشي" يحاول جاهِدًا القبض بيده على مقبض المظلة كي لا تطير بعيدًا، لكنَّ ساقيه صارتا تترنَّحان تحته من فرط شدة العاصفة المفاجئة، وفي نهاية الأمر انكسرت أعواد المظلة وأصبحت مثل الثمرة المحطَّمة لعش الغراب، وهنا استسلم "قووإيتشي" أخيرًا للبكاء، لكن في نفس اللحظة التي انفجر فيها في البكاء، فاجأه من الاتجاه الآخر من الطريق صوت ضحكات هيستيرية عالية، فتملكت المفاجأة من "قووإيتشي"، فوجَّه نظره على الفور بطريقة تلقائية نحو مصدر صوت تلك الضحكات، فوجد هناك "مطا" أمير الرياح بشحمه ولحمه، كانت حرملته الزجاجية مبتلَّةً تمامًا بقطرات المطر، وكان شَعر رأسه أيضًا مبتلًّا فربطه في حزمة واحدة على شكل ذيل حصان، أمَّا وجهه

المحمرُّ فكان منفرج الأسارير لا يتوقف عن الضحك، لكن رد فعل "قووإيتشي" كان عنيفًا غير متوقَّعٍ، فقد صرخ في "مطا" صرخة غضب عالية هزَّت أرجاء المكان وقال:

"ما الذي فعلته بحق السماء؟ ولماذا كسرتَ مظلتي".

ومع هذا فقد تحوَّلَت ضحكات "مطا" إلى نبرة تشوبها السخرية، حتى إنه أخذ يتقلَّب على أرضية الطريق وهو لا يكاد يكبح جماح ضحكاته الساخرة، ولمَّا لم يستطع "قووإيتشي" كبح جماح غضبه وغيظه، فقد قذف بكل قوة مظلته المحطَّمة ناحية "مطا" يبغي إصابته بها، ثم اندفع ناحيته يريد العراك معه وهو لا يزال يبكي، لكن في لمح البصر قفز "مطا" عاليًا بعد أن فرد حرملته الزجاجية واختفى تمامًا عن عيون "قووإيتشي"، وهنا عاد "قووإيتشي" للبكاء مغتاظًا وهو يطالع السماء، وبعد أن ظلَّ يبكي منكبًّا من فرط الحرقة والغيظ استسلم أخيرًا للأمر الواقع، فترك المظلة المحطَّمة ملقاةً على الطريق وبدأ يكمل مشواره للعودة إلى المنزل، وعندما وصل المنزل، فوجئ بالمظلة التي تركها منذ قليل مفرودةً جافة وسليمة وموضوعة في شرفة المنزل، كما فوجئ باسمه مكتوبًا عليها بالكامل، وهو "تيرواي قووإيتشي"، كما أن المظلة كانت قد أعيدت حياكتها بخيوط جديدة بدلًا من التي تقطَّعَت، ومن فرط الإرهاق والذهول جلس "قووإيتشي" بجانب مظلَّته المفرودة، وبعد فترة من الوقت ضحك.

**اليوم السابع من شهر سبتمبر:**

وفي اليوم التالي توقَّفَت الأمطار تمامًا، ولأن ذلك اليوم كان يوم الأحد الذي هو يوم الإجازة الأسبوعية، فلم يذهب أحد من التلاميذ إلى المدرسة، إلا أن "قووإيتشي" وحده هو الذي فكَّر في الذهاب إلى المدرسة ذلك اليوم، لا لشيء إلا لمحاولة تعكير مزاج "مطا" بالتفكير

في مقلب كبير له ردًّا على المقلب السخيف الذي ضايقه به "مطا" أمس، ولكن لأن "قووإيتشي" كان يشعر بالخوف من الذهاب وحده لمقابلة "مطا" فقد اصطحب معه "إتشي"، وذهب في الثامنة صباحًا إلى منطقة أشجار الكستناء فوق التل، على أمل أن يجد "مطا" هناك، وبعد أن وصلا إلى هناك ظلَّا ينتظرانه، وبعد أن انتظرا ساعةً كاملة ظهر "مطا" في تمام الساعة التاسعة صباحًا، من جانب التل، وهو يفرد حرملته الرمادية إلى الخلف، ويسير نحوهما شابكًا ذراعيه أمام صدره، بتعبيرات وجهٍ جادة وصارمة وكأنه يفكر فيما سوف يقوله لهما لتبرير ما فعله بالأمس في حقِّ "قووإيتشي"، ومع ظهور "مطا" المفاجئ ارتبك "قووإيتشي" وهو يفكر في كيفية بدء الحوار مع "مطا"، أمَّا "مطا" فكان يبدو عليه أنه كان يتوقَّع مجيء هذين الطفلين لمقابلته، لكنه تعمَّد المرور أمامهما متصنِّعًا الاستغراق في التفكير دون أن ينتبه لوجودهما هناك، لكن "قووإيتشي" صاح فيه بصوت عالٍ قائلًا:

"يا مطا، نحن هنا".

وهنا التفت "مطا" إليهما بعد أن هزَّته تلك الصيحة القوية، ثم تصنَّع التفاجؤ بوجودهما وقال:

"ماذا؟، صباح الخير، ها أنتما قد جئتما قبلي إلى هنا هذا الصباح؟ ما الذي جعلكما تحضران مبكِّرًا هكذا؟".

ثم استرسل، فقال:

"آه، لقد تذكَّرتُ أن اليوم هو يوم الأحد، لقد كان يوم 31 من شهر أغسطس يوم أحد، واليوم يكون اليوم السابع من هذا الشهر، إذن اليوم يوم الإجازة الأسبوعية".

فقال "إتشيروووه":

"نعم هذا صحيح".

ولكن "قووإيتشي"، الذي كان يقف بجواره، كان ينتفض غضبًا لأنه لاحظ أن "مطا" يحاول تغيير مسار الحديث ليصبَّ في إطار يوم الأحد ويهرب من النقاش فيما حدث بالأمس، وبعد صمتٍ قصير عاد "قووإيتشي" ليصيح غاضبًا في وجه "مطا" ويقول له:

"أنت يا مطا، إن عدم وجودك أنت وأمثالك في الدنيا خير للجميع".

فضحك "مطا" ضحكة خبيثة وقال:

"يا قووإيتشي، صباح الخير، لقد أخطأتُ في حقِّكَ بالأمس، وأستميحك عذرًا".

ولقد كان "قووإيتشي" يجهِّز كلامًا يوجِّهه إلى "مطا" ولكن لأن الغضب كان يتملَّك منه فلم يستطع ترتيب الكلام، فعاد يصرخ مرة أخرى بنفس الكلمات قائلًا:

"آه... يا لحسرتي ويا لغيظي!... اللعنة عليك يا مطا، إننا لا نحتاج لوجودك في هذه الدنيا، إننا لا نحتاج لوجودك في هذه الدنيا".

فقال "مطا":

"لقد أخطأت في حقِّكَ فعلاً بالأمس... لقد كان مزاجي سيِّئًا أمس بسبب شدة الأمطار".

كان "مطا" يقول ذلك في انكسارٍ لكي يستدِرَّ عطف "قووإيتشي"، حتى إنه تعمَّد إظهار شروعه في البكاء، ومع ذلك فإنه لم يستطع امتصاص غضب "قووإيتشي"، وهكذا عاد "قووإيتشي" يكرِّر نفس جُملَته للمرة الثالثة قائلًا:

"عليك اللعنة... آاه... ليتك تختفي من هذه الدنيا... آاه!".

وهنا بدت مظاهر السرور على وجه "ماتاسابوروة"، وظهرت على وجهه نفس الابتسامة الماكرة المستفزَّة، وسأل "قووإيتشي":

"حسنًا... اذكر لي سببًا واحدًا واضحًا لرغبتك في أن أختفي أنا ورفاقي من هذه الدنيا؟".

وهنا أحسَّ "قووإيتشي" بأن هذا السؤال الموجَّه إليه يشبه أسئلة الامتحانات السخيفة، ووجد نفسه مُجبَرًا على التفكير في الإجابة، وبعد فترة من التفكير أجابه قائلًا:

"إنكم تسخرون من البشر، ولا تفكِّرون سوى في العبث معهم، ما الذي جعلك تحطِّم مظلتي؟".

فتقدَّم "مطا" نحوه خطوة أخرى وسأله في تحدٍّ قائلًا:

"وماذا أيضًا؟".

فردَّ عليه "قووإيتشي" قائلًا:

"تحطِّمون الأشجار وتقلبونها".

لكن "مطا" عاد ليسأله نفس السؤال المستفزِّ قائلًا:

"وماذا أيضًا؟".

فقال "قووإيتشي":

"ثم تقلبون أعواد الأرز في الطين".

فقال "مطا":

"وماذا أيضًا؟".

فقال "قووإيتشي":

"ثم تحطِّمون المنازل".

فقال "مطا":

"وماذا أيضًا؟".

فقال "قووإيتشي":

"ثم تطيِّرون الرمال".

فقال "مطا":

"هاتِ كلَّ ما عندك".

فقال "قووإيتشي":

"ثم تُطيِّرون القبَّعات".

فقال "مطا":

"ثم ماذا؟ ثم ماذا؟ هل هذا هو كل شيء لديك؟".

فقال "قووإيتشي":

"ثم تقتلعون أعمدة الإنارة وتُسقطِونها على الأرض".

فقال "مطا":

"وماذا أيضًا؟".

فقال "قووإيتشي":

"ثم تطيِّرون الأبراج الخشبية".

فقال "مطا":

"هاهاها، إن الأبراج الخشبية هي جزء من البيوت، حسنًا: هل لديكَ شيء آخر تقوله؟".

وهنا تلعثم "قووإيتشي" وصار يهذي قائلًا:

"وبعد ذلك...".

لقد ظلَّ "قووإيتشي" يفكر فيما يقوله بعد ذلك، لكنه توقَّف عن الكلام، وهنا رفع "مطا" يده وأشار في اتجاه "قووإيتشي" بحركة مستفزة وهو يقول:

"وماذا بعد؟ هل هناك شيء آخر؟".

هنا احمرَّ وجه "قووإيتشي" غيظًا، وبعد تفكير اندفع يصرخ قائلًا:

"ثم إنكم تكسرون طواحين الهواء".

وبمجرد أن انتهى "قووإيتشي" من جملته هذه قفز "مطا" عاليًا في الهواء وهو ينفجر ضاحكًا دون توقف، ثم هزَّ حرملته بقوةٍ مُحدِثًا دفعات قوية من الرياح، ثم قال في لهجة صارمة:

"حسنًا... لقد ذكرتُ أمر طواحين الهواء، أرجو ألَّا تعتبروني شرِّيرًا بسبب طواحين الهواء، ولكن فكِّرا معي جيدًا... ألا ترى أننا كثيرًا ما ندفع الرياح لندير طواحين الهواء لكي تستفيدوا منها؟ وإذا كنت لا تُصدِّقني فاسأل الآخرين، إنكم تتَّصِفون بالأنانية! إنكم تبالغون كثيرًا في صَبِّ اللعنات علينا حين نقوم أحيانًا ببعض الشقاوة والحركات الصبيانية، لكنكم لا تنظرون إلى الفوائد التي نقدِّمها لكم، لقد كنتَ غريبًا في ذِكرِكَ لأمثلة عديدة وأنت تنتقد تصرُّفاتنا، ولكن ها أنت تتعلثم في الكلام ولا تجد ما تقوله.. ثم تذهب بذكائك في نهاية الأمر لتذكر لي أمر طواحين الهواء؟ يا لك من تافِهٍ سطحي!".

بعد أن أنهى "مطا" جملته هذه، عاد لينفجر ضاحكًا لدرجة أن دموعه خرجت من عينيه، أما "قووإيتشي" الذي كان مستمرًّا في غضبه بسبب شقاوة "مطا" فقد صار ينسى غضبه هذا شيئًا فشيئًا، وفجأة بدأ هو الآخر يقهقه ضاحِكًا مع "مطا"، وهكذا بدأ "مطا" يحكي للطفلين سبب سعادته قائلًا:

"إن أكثر المقالب الشقية التي أقوم بها أنا ورفاقي داخل اليابان هي عملية العصف بأعواد الأرز، وقديمًا كان الناس يخشوننا في فترة

محدَّدة من العام بين اليوم المائتين وعشرة واليوم المائتين وعشرين، والسبب في ذلك أن حدوث العواصف في هذا التوقيت يؤدي إلى تَطايُر زهيرات سنابل الأرز مع الرياح، فلا تنبت سنابل الأرز، ولكن أرجو أن تفهموا أننا لم نكن حقًّا نتعمَّد أن نفعل ذلك، لقد كنَّا نقوم بإحداث العواصف لأن هذا الأمر كان لا بُدَّ لنا من القيام به، وأعتقد أنه بعد مرور ثلاثة أو أربعة أيام من الآن سوف يحدث نفس الشيء، لكن الآن تطوَّرَت تقنيات الزراعة، ولذلك تلاحظون عند مشاهدة حقول الأرز القريبة من بيوتكم أن زهيرات سنابل الأرز لا تنبت مع حلول اليوم المائتين وعشرة من السنة، بل على العكس سوف تجدون حبَّات الأرز الطرية قد بدأت في الظهور دون المرور بمرحله التزهير، بل إنكم قد تلاحظون وجود بعض حبات الأرز التي أصبحت صُلبةً بالفعل في نفس التوقيت حيث تنمو بشكل سريع، فحتى لو مررنا برياحنا على تلك الزراعات، وحتى لو تسبَّبنا في التواء السنابل، فإن ذلك لم يؤثر في انخفاض كمية المحصول؛ ولهذا ففي النهاية لن تحدث أية أضرار تُذكَر، أضِفْ إلى هذا أمرًا آخر، وهو يخصُّ دفع الأشجار وإسقاطها على الأرض، على فكرة... إننا حين نُحدِث العواصف فإننا لا نحطم سوى عدد قليل من البيوت، أمَّا بالنسبة للاصطدام بالأشجار، فليس هذا نوعٌ من الشقاوة، فما عليكم فعلهُ هو وضع الأشجارِ بشكل لا يسهلُ معه التواؤها بسبب اصطدام العواصف بها، إن الأشجار ذات الأوراق الكبيرة الواسعة قوية ومتينة، فحتى لو اصطدمنا بمثل هذه الأشجار فهي لن تلتوي ولن تنكسر، كما أن التواء الأشجار في الغابات، يعني أن هناك مشكلة ومسؤولية تقع على قاطعي أشجار تلك الغابات، فعند القيام بتقطيع أشجار الغابات يجب أن يفكِّر قاطِعو تلك الأشجار بدقَّةٍ في مواعيد هبوب العواصف عليها على مدار العام، وأن يبدؤوا في تقطيع الأشجار الموجودة في داخل الغابات لا الموجودة على أطرافها، حيث إن الأشجار الموجودة على أطراف الغابات تكون

قويَّـةً صُلبـةً مقارنـةً بالأشـجار الموجـودة في داخـل الغابـات، فالأشـجار الموجـودة في داخـل الغابـات تكـون شـاهقة الطـول، إلا أن بنيانهـا ضعيـف؛ ولذلـك فـإذا قـام قاطعـو الأشـجار بتقطيـع الأشـجار الموجـودة عنـد أطـراف الغابـات فسـوف يتـم تعريـة تلـك الأشـجار الضعيفـة لتكـون بـلا حمايـة مـن العواصـف، ولهـذا فقبـل أن تنتقدونـا عـلى إسـقاط الأشـجار، يجـب أن تفكِّـروا جيـدًا في كيفيـة حمايـة الأشـجار، ثـم إننـا نقـوم بإحـداث عواصـف تثـير أمـواج البحـر ورذاذه نحـو السـواحل، ولكـن عليكـم أن تعلمـوا أن هنـاك ثمـارًا تذبـل عندمـا يتطايـر عليهـا الـرذاذ، هنـاك ثمـار لا تذبـل عندمـا يتطايـر عليهـا الـرذاذ، خُـذْ عنـدك مثـالًا عـلى هـذا التفـاح والكمـثرى والخيـار، فهـي تذبـل عـلى الفـور تأثُّـرًا بـرذاذ أمـواج البحـر، أمـا نباتـات الأرز والفجـل الكبـير والنعنـاع فهـي قويـة التَّحمُّـل لـرذاذ البحـر".

وهنـا توقَّـف "مطـا" عـن الـكلام، وحينهـا كان يبـدو عـلى "قووإيتـشي" أن ثـورة غضبـه قـد هـدأت، فعقَّـب قائـلًا:

"سامحني يا مطا... فقد غضبتُ بشكلٍ مبالَغ فيه".

وهنا شعر "مطا" بالسرور والارتياح، ثم قال:

"شـكرًا... شـكرًا... إنَّـكَ حقًّـا طفـل فطـري المشـاعر؛ ولذلـك فأنـا أحبـك، ولأني أحبـك فقـد قُمـتُ بعمـل تلـك الشـقاوة معـك بالأمـس، إنـني أحـب الشـقاوة وعمـل المقالـب، لكنـي أقـوم بعمـل أشـياء كثـيرة مفيـدة جـدًّا للآخريـن، فمَثَـلًا: ألسـتُ أنـا ورفاقـي الذيـن نقـوم بنقـل زهـور أشـجار الصنوبـر والصفصـاف وكذلـك رحيـق الزهـور للمسـاهمة في عمليـة التلقيـح، كـما أننـا أيضًـا نقـوم بنقـل رحيـق زهـور الأرز، كـما أننـا حـين نمـرُّ عـلى الحشـائش والأشـجار فإنهـا تـزداد قـوةً ومتانـة، وكـما نحمـل هـواءً ضـارًّا بعيـدًا، فإننـا ننقـل أيضًـا هـواءً نافعًـا، فمثـلًا: ننقـل الهـواء اللملـوث مـن منطقـة "أساكوسـا" في طوكيـو إلى ناحيـة المحيـط الهـادئ، وبـدلًا منـه نحمـل ذلـك الهـواء الصحـي مـن جبـال الألـب اليابانيـة الشـاهقة إلى نفس

منطقة 'أسا كوسا'، فإذا لم أكن موجودًا أنا ورفاقي، فتخيَّل مدى تفشِّي الأمراض وازدياد نسبة الرطوبة في الجو، وبالمناسبة... هل جئتم اليوم خصِّيصًا لمقابلتي؟ اليوم يجب أن أغادر هذا المكان الساعة العاشرة والنصف، أي بعد قليل من الآن، من أجل القيام بالتدريب مع رفاقي؛ ولهذا، للأسف، يجب أن أترككم، فأرجو أن تأتوا غدًا أيضًا إلى هذا المكان، وداعًا".

وهكذا، بمجرد أن انتهى "مطا" من كلامه اختفى من أمامهما، وبعد أن صاح الاثنان بصوت واحد قائلين: "وداعًا يا مطا" انطلقا منحدَرْين عبر التل متوجِّهَيْن نحو فناء المدرسة الخالي تمامًا، وأخذا يلهوان على المتوازيين، ثم عادا إلى منزليهما.

**اليوم الثامن من شهر سبتمبر:**

كان طقس اليوم التالي جميلًا للغاية، حيث كانت السحب الخفيفة العائمة في الارتفاعات الشاهقة في السماء تبدو في أشكالها مثل نسيجٍ مصنوع من الثلوج الخفيفة أو ريش الطاووس، وتحت تلك السحب كانت أسراب الحدَّآت تطير في دوائر واسعة، تلمع أجنحتها تحت أشعة الشمس باللون الذهبي، وهنا أخذ الأطفال يصيحون بأصواتهم العالية في اتجاه السماء قائلين:

"مرحَى مرحَى أيتها الحدَّأة".

وبينما كانوا في طريقهم يصعدون التل نحو دغل أشجار الكستناء المعتاد، كان "مطا" قد وصل إلى نفس المكان بحذائه الزجاجي اللامع، ووقف هناك وعلى وجهه علامات الجدية والاقتضاب مثل أول أمس، ثم بادر الجميعَ قائلًا:

"إنني أشعر بالملل؛ فأنا لم أذهب إلى أي مكان منذ الصباح، لقد حلَّقتُ فوق مدرستكم مرتين أو ثلاث مرات ثم توجَّهتُ مُنحدِرًا نحو قاع الوادي، إن هذا المكان رائع للغاية، لكني بدأت أشعر بالملل منه".

قال "مطا" ذلك وجلس فوق الحشائش فارِدًا ساقيه، وهنا بادره "إتشي" قائلًا:

"يا سيد مطا، ألا تُحدِّثنا اليوم عن القطب الشمالي والقطب الجنوبي؟".

ولقد اعتاد "إتشي" أن يستدرج "مطا" إلى الحديث، لكن "مطا" ضحك بنبرة ساخرة ثم أجاب قائلًا:

"ماذا تريد أن تسمع عن القطب الشمالي والقطب الجنوبي؟، إنها مناطق باردة".

لكن "قووإيتشي"، الذي شعر بنبرة السخرية تلك من "مطا"، عاد ليشعر بالاستفزاز، فصاح غاضبًا:

"حقًّا؟ هل القطب الشمالي بارد؟".

وهنا استشاط "مطا" غضبًا وهو يصيح قائلًا:

"ماذا؟ أتسخر مني أيها الطفل الصغير؟ لن أسمح لك بذلك، إذا كنتَ تريد السخرية مني، فعليك أن تسألني سؤالًا ذكيًّا لا أستطيع إجابته، لا أن تسألني عمَّا إذا كان القطب الشمالي باردًا حقًّا؟ يا لك من ريفي ساذج!".

هنا غضب "قووإيتشي" غضبًا حقيقيًّا، فصاح قائلًا:

"ماذا تقول؟ وهل أنتَ من أبناء العاصمة طوكيو؟ إنك تقطع البلاد طولًا وعَرضًا طوال السنة، تتسكَّع هنا وهناك دون أن تستقرَّ في مكان مُعيَّن، وتتسلى بعمل المقالب على الناس".

لكن الشيء العجيب أن "مطا" لم يغضب من ذلك الكلام، بل إنه عاد ليضحك بصوتٍ عالٍ قائلًا:

"بالطبع، إنني لست من أبناء العاصمة طوكيو، إنني أقضي العام كله مسافرًا هنا وهناك، والسفر أفضل عندي من الإقامة في طوكيو، والسفر لا يعني التَّسكُّع، فعندما أنوي إثارة الرياح والعواصف فإنني أقوم بالتنفيذ فورًا دون تردُّد، إنني أستطيع القيام بدورة غلاف جوي من خطِّ الاستواء حتى القطب الشمالي، فتلك الأماكن أكثر متعةً بكثير من العاصمة طوكيو".

ورغم أن "قووإيتشي" كان ينتفض غضبًا ملوِّحًا بقبضته، إلَّا أن "مطا" كان على العكس، في أفضل حالاته المزاجية، وهنا عاد "إتشي" يعيد نفس جملته قائلًا:

"حسنًا، ألا تحدثنا عن القطب الشمالي؟".

وهنا عاد "مطا" يضحك ضحكة أكثر سخرية واستخفافًا، وقال:

"إن الحديث عن دورة الغلاف الجوي شيِّق حقًّا، لكنه صعب الفهم على أطفال صغار في سنِّكم".

ثم أشار إلى طفل صغير في الصف الأول الابتدائي وسأله:

"هل تستطيع أن تفهم ذلك الكلام؟".

هنا احمرَّ وجه الطفل، وصاح قائلًا:

"نعم أستطيع أن أفهم".

مكتبة
t.me/soramnqraa

وهنا رد "مطا" قائلًا:

"حقًّا، هل ستفهمون كلامي؟ حسنًا، أنا أحبُّ الحديث عن دورة الغلاف الجوي، لقد قُمتُ بإحداث تلك الدورة مرتين؛ المرة الأولى لم أكمل فيها مَهمَّتي وغادرت الجو هابطًا، لكن رفاقي حين يقومون

بعمل هذه الدورة خمس مرات، فيحدث تأثير واضح، وإن عملها يحتاج أن نكون مجتمِعين، ولكن النجاح في عمل هذه الدورة ليس بالأمر اليسير، أذكر مرةً من المرات حين حلَّقنا منطلقين من مجموعة جزر 'جيلبرت' ونجحنا يومها في عمل تلك الدورة، لكن المرة التي حلَّقنا فيها في جزيرة 'بورنيه' أخفقنا في عمل الدورة، ومع ذلك فقد شعرنا بالمتعة.

لقد كانت هناك جزيرة صغيرة من مجموعة جزر 'جيلبرت' لا أذكر اسمها، بها كنيسة ذات جدران بيضاء، ولقد ذهبت إلى مكان قريب من تلك الجزيرة، إن الذهاب إلى تلك الجزيرة لم يكن سهلًا كما تتصوَّرون، فأنتم -بني البشر- تقولون إن حزام منطقة الاستواء خالٍ من الرياح؛ ولهذا السبب فأنا ورفاقي لا نمرُّ من هناك إلا نادرًا، ومع هذا فلو حلَّقنا من بداية الحزام الخالي من الرياح فلن نُحلِّق إلى ارتفاعات شاهقة، وإذا لم نذهب إلى ارتفاعات شاهقة فإننا لا نستطيع الذهاب إلى أماكن بعيدة مثل القطب الشمالي؛ ولذلك فإن جميع رفاقي يفضِّلون الذهاب إلى قلب ذلك الحزام الخالي من الرياح بقدر الإمكان، أمَّا أنا فإنني أظلُّ مُترقِّبًا لاقتناص فرصة خللٍ ما، فأطير من البحر إلى هناك أثناء فترة الظهر، وأعود من البحر إلى هناك أثناء الليل وقبل طلوع الفجر، وهكذا أعاود الكَرَّة مرات ومرات ذهابًا وإيابًا مع مرور الأيام حتى أصل في النهاية إلى مكان خطِّ الاستواء، وهذا هو ما حدث، فحين نظرنا من أعلى وجدنا عند خطِّ الاستواء لافتةً إرشاديَّة بيضاء اللون، وأعتقد أنكم لن تستطيعوا ملاحظتها يا أطفال، إلا إذا كنتم تطيرون مثلنا، لقد وجدنا العبارة الإرشادية التالية مكتوبة على تلك اللافتة:

'خط انطلاق المتطوِّعين لعمل دورة الغلاف الجوي'.

من هذه النقطة حتى القطب الشمالي 8900 ميل، وحتى القطب الجنوبي 8700 ميل، لقد وقفتُ عند هذه اللافتة وظللتُ أنتظر لفترة من الوقت، وقد لاحظت أثناء ذلك أن ثمار جوز الهند هناك قاتمةَ اللون خضراء، مائلةً إلى اللون الأسود، أمَّا اللون الأبيض لجدران الكنيسة فكان مُبهِرًا للغاية، لدرجة جعلتني لا أستطيع النظر إليها سوى ثوانٍ معدودة، وهكذا، ومع اقتراب وقت الظهر كانت درجة حرارة البحر قد أخذت في الارتفاع، وأحسستُ بأن البحر المفتوح أمامي على البعد ثقيلٌ في قوامه مثل النفط، ومع هذا فكان البحر بين الحين والآخر يدفع بعض الأمواج الصغيرة ذات الزَّبَد الأبيض، وكأن البحر يقدِّم اعتذاره لي.

وعندما تخطَّت الساعة الثانية ظُهرًا، سمعتُ صوت نواقيس تدقُّ بصوت مكتوم، ومع صدى هذا الصوت المكتوم، فوجئتُ بنخيل جوز الهند وأشجار التوت، تفرد سيقانها وأوراقها إلى نهايتها وكأنها تدخل في نومة القيلولة، أمَّا الأسماك الحمراء في البحر فقد أخذت تطفو برؤوسها على صفحة البحر وكأنها تحاول استنشاق الهواء بعد أن أصيبت بالاختناق، وتتوقَّف ثابتةً في أماكنها وكأنها تدخل في سُباتٍ عميق وتغوص في الأحلام، وكان يبدو أن تلك المجموعات من الأسماك الحمراء تغوص في أحلامها وهي تطالع السماء الزرقاء المفتوحة، ثم بدأت تقوم ببطء وهي تكرِّر حركة الغوص ثم الطفو وتحاول استنشاق الهواء، إن الأسماك مخلوقات متبجِّحة، تقفز وكأنها تحاول أن تطير مثلنا، لكن الحقيقة في ذلك التوقيت أننا نحن الذين كنَّا نطير متَّجِهين نحو السماء الشاهقة المفتوحة وليست الأسماك، أعتقد أنني لو عُدتُ مرة أخرى وتوقَّفتُ هناك وسط تلك المشاهد لأحسست بحتمية مغادرة المكان والصعود هناك إلى السماء، فلا ألمس براعم أشجار الجوز، ولا أزعج تلك الأسماك التي تغطُّ في النوم وتغوص في أحلامها، في بداية الأمر انطلقتُ بسرعة كبيرة نسبيًّا متوجِّهًا

نحو ارتفاع شاهق في السماء الزرقاء المفتوحة، فظهر البحر بعيدًا تحتي، مثل لوحٍ مسطَّح أزرق اللون، أما أعمدة زَبَد الأمواج البيضاء فكانت تتلألأ تحت أشعَّة الشمس صغيرة دقيقة مثل دُميةٍ صغيرة، أما الجزيرة التي كنتُ عندها منذ قليل فصارت تبدو في ناظري مثل قطعة حجر خضراء صغيرة، وفي هذه اللحظة كنت أنا ورفاقي قد وصلنا إلى ارتفاع شاهق فيه هواء بارد ومنعش، فأخذت معهم شهيقًا عميقًا، أما حرملتي الزجاجية فكانت تتراكم عليها الغيوم، ثم تعود فتنقشع، وحدث هذا عدَّة مرات متتالية، ولكن مع مرور الوقت صِرنا نشعر ببرودة شديدة انتفَضَت معها أجسامنا من الارتعاش، وهنا قمنا جميعًا بتشبيك أيادينا مع بعضنا البعض في دائرة كبيرة، ثم واصلنا التحليق إلى ارتفاعات أعلى حتى وصلنا إلى ارتفاع لا يمكننا تجاوزه، إن برودة تلك البقعة لم تكن تختلف عن برودة الفضاء الكائن أعلى منطقة القطب الشمالي، وفي ذلك التوقيت يكون لزامًا علينا أن ننطلق محلِّقين نحو منطقة القطب الشمالي بأي شكل من الأشكال، وهنا سمعنا صوتًا يأتينا من الخلف ويقول:

'آه.. لقد حان الوقت لإثارة الرياح، إن القطب الجنوبي يَبعُد عن هنا 8700 ميل، إنها مسافة طويلة، لقد التفتنا إلى الخلف وأدركنا أن هذه هي لحظة الفراق، فالبعض سوف يذهب إلى القطب الجنوبي، والبعض سوف يذهب إلى القطب الشمالي، واتجهتُ مع بعض الإخوان إلى القطب الشمالي، وكانت لحظات الافتراق والوداع لحظات قصيرة جدًّا، ثم انفصلت مع فريقي عن الفريق الآخر، وانطلقنا بسرعة نحو القطب الشمالي، لقد كنا ننطلق مثل السهام دون توقُّفٍ، لدرجة أن حلوقنا قد أصابها الجفاف، ولم نستطع التقاط أنفاسنا، ومع هذا فلم نشعر بالتعب أبدًا، وإنما كان كل همِّنا هو الاستمرار في الطيران دون توقُّفٍ باتجاه القطب الشمالي، وخلال طيراننا لم نكن نستطيع أن نميِّز جيدًا ما يوجد أسفلنا، إذا كانت سُحبًا بيضاء أو بحورًا أو يابسة، كنَّا

نواصل الطيران نهارًا وفوقنا الشمس، أمَّا في الليل فكنا نطير وفوقنا النجوم، لقد كنا حقًّا نطير دون أن نأخذ قسطًا من الراحة، ولكن مع استمرار الطيران والتحليق ونحن نمسك بأيدينا بعضنا البعض شعرت أن المسافات بيننا أخذت تضيق شيئًا فشيئًا، وكنت أنا أطير في المقدِّمة حين بدأتُ أشعر أنني أصطدم بحرملة أخٍ، كما أن ذراعي المفرودة الممسك بذراع أخٍ آخر أخذ ينثني شيئًا فشيئًا وتقصر المسافة بيني وبينه، فشعرت بالإرهاق، حتى إنني بدأت أحسُّ أن يدي على وشك أن تفلت من يد أخي، ومع هذا، فلأننا جميعًا كنَّا مُصمِّمين على مواصلة التحليق حتى القطب الشمالي؛ فكنَّا نحرص على ألَّا تنفلت الأيادي من بعضها البعض، ولكن مع مرور الوقت وحين حلَّ الإرهاق ببعضنا فقد بدأت الأيادي في الانفلات من بعضها البعض تباعًا، وفي اللحظة التالية سمعتُ صوتًا يأتي من أسفل من أخٍ يقول:

'لا أستطيع المواصلة، معذرة، سوف أنفصل عنكم، وداعًا'.

وبعد مرور يومين من التحليق كان عددنا قد انخفض إلى النصف، وما حدث بعد ذلك هو أن انضمَّ إلينا عدد جديد من الإخوان ليحلَّ محلَّ مَن فارَقونا، فبدؤوا يشبكون أيديهم بأيدينا، وواصلنا الطيران باتجاه الشمال ونحن ننظر إلى بعضنا البعض، كان الأخ العجوز الذي جاء منذ قليل وأمسك بيدي بعد أن أدَّى التحية قد حلَّق 16 مرة حول الكرة الأرضية كلها، إن القدرة على الطيران المتواصل تحتاج إلى رباطة الجأش وقوة التَّحمُّل؛ ولهذا فقد شعرت بالقلق على ذلك الأخ العجوز، فناديته وأنا أسفله أسأله قائلًا: 'أيها الشيخ، هل أنت على ما يرام؟'.

ففوجئتُ بذلك العجوز يدوس على زرٍّ خلف ظهره ليفرد حرملته الواسعة التي تبلغ حجمها أربعة أضعاف حرملتي الزجاجية، ثم أجابني قائلًا:

'لا تقلق. أخبِرْني يا أخي الصغير، أنتَ مُكلَّفٌ المرَّةَ القادمة بالطيران في اتجاه طرف منطقة تاسكارورا، أعتقد أنني سأصل إلى نفس المنطقة صباح بعد الغد، دعنا نلتقي في مكانٍ ما مرَّةً أخرى بعد عودتنا من هناك. وبالمناسبة، لا تدفع الرياح بشدَّةٍ أكثر من اللازم'.

لكن بمجرد أن بدأت في الإجابة عليه مؤكِّدًا أنني لن أفعل ذلك، ابتعد عني ذلك الأخ العجوز كثيرًا بحرملته المفرودة الواسعة، وهو يكتفي بعمل إيماءة خفيفة برأسه مصدِّقًا على كلامي، إنه أخ عظيم، لكننا عندما انطلقنا لم نكن نحلِّق ببطء، ولأن جميع الإخوان كانوا صغار السِّنِّ فكان علينا فقط أن نُسرِع ونواصل التحليق دون توقُّف، وأثناء تحليقنا صاح واحد من إخواننا فجأة قائلًا:

'انظُروا تحتكم، إنها جُزُر هاواي، لقد نظرنا تحتنا لكننا لم نتوقَّف لأننا نسابق الوقت، وأثناء تحليقنا صادفتنا كتلةٌ من الشبورة، وكان بداخلها بعض التَّجمُّعات الثلجية الصغيرة المتناثرة، ولو كنتم قد رأيتموها أنتم أيها الأطفال لظننتم أنها كراتٌ من الزجاج المحشوة بالماء، لكنها لم تكن كذلك، وإذا نظرتم إليها بالميكروسكوب فسوف تلحظون كم هي شفَّافة صافية وكم تحوي في داخلها من شظايا دقيقة من الثلج، لقد ظللنا عدة أيام متواصلة في رحلتنا هذه، وصادفنا في هذه الرحلة أشياء جميلة للغاية، وفي نفس الوقت سيطر علينا شعور شديد بالوحدة في بعض الأحيان، إن السحاب إذا رأيتموه عن قرب فسوف تدركون مدى جماله'".

وهنا قاطعه "قووإيتشي" يسأله قائلًا:

"وهل رأيتم أثناء ذهابكم إلى القطب الشمالي سحابًا لونه أحمر؟".

فردَّ عليه "ماتاسابوروة" قائلًا:

"لا ليس لونه أحمر، إن السحاب الأحمر صادفناه في طريق العودة حين نتوجَّه ناحية القطب الشمالي أو الجنوبي بارتفاعات شاهقة، فإن السحاب الذي نشاهده ليس له لون أحمر، لكنه جميل، وأحيانًا يبدو جميلًا بلون قوس قزح خفيف. نعم، هناك ألوان متعددة. على أية حال فقد واصلنا التحليق دون توقُّفٍ إلى أن جاء الوقت الذي بدأنا نشعر فيه أننا صِرنا نطير بارتفاعٍ منخفض ملحوظ، أما الليل في تلك المنطقة التي مررنا بها فقد صار قصيرًا جدًّا، ولم تكن ظُلمَتُه مُعتِمةً كما تعوَّدتم، وفجأة انتبهنا لنجد أنفسنا قد دخلنا بالفعل في منطقة القطب الشمالي، ومن مكاننا فوق السحب كان البحر من تحتنا يبدو أزرقَ غامقًا يوحي بمدى برودته، ولم تكن به سفينة واحدة، وبعد ذلك بدقائق بدأنا نشاهد جبال الثلج الطافية، ومع شمس الصباح كانت حوافُ تلك الجبال تعكس أشعة الشمس بضوء أبيض مبهر يخطف الأبصار، وكانت الشواطئ المتاخمة للبحر تبدو مكسوَّةً باللون الأبيض، وكل تلك الأجزاء البيضاء هي كتل من الجليد الصلب، أما هناك على البعد فكان يظهر ما يُشبه الدخان الأبيض المشوب بلونٍ رمادي يتصاعد إلى السماء، إنها شبورة الثلج، ومن خلال تلك الشبورة كانت تبرز أطراف الصخور السوداء وكأنها سفن سوداء تبدأ الإبحار مع ضوء الصباح، وهنا صِرتُ مع رفاقي نتساءل عن هذا المكان، فصاح واحد من الإخوان قائلًا:

'إنها جرينلاند'.

وهنا ظهر أخٌ ضخم الحجم نوعًا ما، يشرح لنا ما يتعلَّق بذلك المكان، وقال في نبرة متغطرسة متعالية:

'هذه هي المرة الثالثة له التي آتي فيها إلى هذا المكان، واسمه خليج چيكي، أعتقد أنكم تعرفونه، إنه خليج تمَّ إطلاق اسم نبيل

مـن النبـلاء الإنجليـز عليـه، وهـو السـيد أركيـب الدچيـكي، انظـروا إلى هـذا النهـر المتجمِّـد، إنـه يدخـل في البحـر، إن هـذا النهـر المتجمـد مـع ضغـط الجليـد عليـه يتمـدَّد شـيئًا فشـيئًا حتـى تنفصـل أجـزاء عنـه وتصبـح جبـالًا مـن الجليـد، هـل تسـألونني عـن ذلـك الاتجـاه؟ إنـه الاتجـاه المـؤدِّي إلى إنجلـترا، ولأن هـذا المـكان يُعتـبَر سـقف الكـرة الأرضيـة؛ فـأيُّ مـكان تريـدون الذهـاب إليـه سـتجدونه قريبًـا، أمَّـا إذا أخطـأتَ الاتجـاه فسـوف تهبـط في مـكان بعيـدٍ جـدًّا عـن الـذي كنـت تقصـده'.

ولقـد كان ذلـك الرفيـق الضخـم الحجـم يتكلـم في صلافـة وغطرسـة. كان معظمنـا قـد قـرَّر الطـواف حـول القطـب الشـمالي دورة واحـدة ثـم الانطـلاق نحـو جهـة الـشرق، ولكـن الوقـت الـذي كنَّـا نشـعر فيـه بالرعـب في رحلـة دائـرة الغـلاف الجـوي هـذه، هـو وقـت الـدوران حـول القطـب الشـمال للذهـاب إلى الـشرق، حيـث يحـدث أثنـاء ذلـك دائـرة واسـعة نطلـق عليهـا الدوامـة المتطرِّفـة، فلـو دخلنـا إلى داخـل تلـك الدوامـة، لا نسـتطيع الخـروج منهـا، حتـى الجبـان منَّـا، رغـم حرصـه الشـديد عـلى تجنُّبهـا، فقـد يدخلهـا، وفي مركـز تلـك الدائـرة يقـف الچـنرال هيلـمان ذو الصيـت الذائـع، وهـو ليـس بـشرًا، إنـه واحـد مـن إخواننـا، إن الچـنرال هيلـمان يقـف شـامخًا منتصبًـا بينـما يشـبك ذراعيـه أمـام صـدره ويحـدِّق بنظارتـه الحـادة في كل الاتجاهـات، وبفراسـته يتبـيَّن الجبـانَ منَّـا بمجـرد النظـر في عينيـه، وفي اللحظـة التاليـة قـد يصيـح قائـلًا: 'يـا هـذا، يـا ذا الشـعر الأحمـر، ادخـل إلى الدائـرة'، وإذا قـال لي مثـل هـذه الجملـة فليـس أمامـي سـوى أن أطيعـه وأدخـل إلى تلـك الدوامـة، فأظـل أدور داخلهـا إلى مـا لا نهايـة؛ ولهـذا فنحـن نشـعر بالتَّوتُّـر حقًّـا إذا تفحَّـص وجوهنـا، لكـن الشـجعان منَّـا لا يهتمُّـون بذلـك، إننـا أثنـاء التحليـق في الفضاء الفسـيح إذا سـحب أحدنـا يـده مـن يـد أخيـه بعـد أن يتملَّكـه الإرهـاق، أو إذا شـعر أحدُنـا باليـأس وأقلـع عـن مواصلتـه التحليـق، أو خـرج عـن الصفـوف التـي نشـكِّلها؛ فهـو يجـد نفسـه في نهايـة الأمـر مدفوعًـا للدخـول إلى تلـك

الدوامة، وهكذا نستمر في الدوران ثم نهبط إلى أسفل حتى نصير قريبين للغاية من سطح البحر، وهنا فعلى مَن يَصِلون إلى الجبال الجليدية المنتشرة هنا وهناك، عليهم أخذُ قِسطٍ من الراحة لبضعة أيام، حيث إن العقبات الموجودة في طريق العودة عددها أضعاف العقبات التي كانت موجودة في طريق المجيء إلى هذا المكان، وعلى هؤلاء أن يحسموا أمرهم ليتوقَّعوا حتمية مواجهة تلك العقبات والصعاب؛ ولهذا فالكثيرون منَّا يبطئون من سرعتهم أثناء التحليق لتكرار الوقوع في خطأ الاحتكاك بمياه البحر، وهنا يحرص أكثرنا غباءً حرصًا شديدًا على نفسه، كما يفعل أكثرُنا ذكاءً، فسوف نجد لافتة من لافتات إرشاد الطريق هنا وهناك مكتوب عليها عبارة 'باقٍ 8600 ميل على خطِّ الاستواء'؛ ولهذا السبب فنحن جميعًا نأخذ في ذلك المكان قسطًا من الراحة يطول لخمسة أو ستة أيام، إن ذلك المكان ممتع حقًّا، فسوف تجد هناك الدببة البيضاء وسوف تجد حيوانات الفقمة الضخمة الحجم، إن حيوان الفقمة هذا غريب الطباع، فهو يظل واقفًا عند حافة الجرف الجليدي وهو شارد ينظر بعيون زائغة إلى البحر الواسع، لكنه بعد ذلك يرفع يديه الأماميتين ويضعهما فوق رأسه ثم يقفز إلى البحر مُحدِثًا صوتًا مكتومًا حين ارتطامه بالماء، وحينها سوف تلمح شعر جسده وقد صار مثل عددٍ لا حصر له من الإبر الفضية، ثم يغطس ويطفو عدة مرات متتابعة متظاهِرًا بالشروع في الغرق، إنه بهذا الشكل يمارس نوعًا من اللهو، لكنه في لحظةٍ ما وبحركة سريعة يقتنص سمكة كبيرة، آه يا له من حيوان خبيث ماكر! وبعد أن ينتهي من صيد الأسماك يصعد مرةً أخرى في خُيَلاء وغطرسة ليقف على حافة الجرف الجليدي، إن الأسماك مخلوقات غبية حقًّا، فأنت تستطيع الاحتيال عليها، وذلك بتصنُّع اللهو، أما الدب الأبيض فهو حيوان ذكي إلى حدٍّ كبير، والشيء المشوق الآخر في منطقة القطب الشمالي هو الأضواء الملوَّنة التي تظهر في

سماء الليل، إنها تظهر مع بريق مُشِعٍّ يكاد يُصدِر صوتًا مع كل وهجة ضوء، أضواء وألوان جميلة مثل البنفسجي والأخضر وغيره من الألوان، إننا نمسك أيادينا ببعضها البعض وندور في حلقة كبيرة تحت تلك الأضواء الملوَّنة الجميلة ونحن نغني، وأخيرًا يأتي الوقت لكي نغادر المكان عائدين، فنحن نبدأ الطيران والتحليق عابرين البحار، آه... لقد حان وقت التَّدرُّب على الطيران، سوف أعود إليكم غدًا لمواصلة الحديث.. باي باي".

وهكذا اختفى "مطا" في غمضة عين، فانسحب الأطفال يغادرون التل.

**اليوم التاسع من شهر سبتمبر:**

قال "ماتاسبوره":

"إن القطب الشمالي ممتع، ولكنه ليس بالمكان الذي نستطيع البقاء فيه فترة طويلة، إنني إذا نسيتُ نفسي وصرت أتسكَّع هنا وهناك فسوف يلحظني الچنرال هيلمان ويفاجئني بالنداء، قائلًا: 'يا هذا، يا ذا الشَّعر الأحمر، أسرِعْ بالدخول إلى الدوامة'، ولهذا فمهما كنت مستمتعًا بالبقاء هناك فعندما أشعر بزوال التعب، فإنني أبدأ في مغادرة المكان، وفي طريق العودة نصير أحرارًا، فليس علينا أن نلتزم بتشبيك الأيادي، بل إن كل واحد هنا يختار إخوته الذين يرتاح إليهم ويسرع معهم في مغادرة المكان، وأنا قطعت الطريق فوق البحر من منطقة بيرينج حتى جزيرة هوكايدو شمال اليابان، محلِّقًا فوق المحيط الهادي، ورغم أنني كنت أطير على ارتفاعات شاهقة إلا أنني كنت بين وقت وآخر أصطدم ببعض الإخوان الذين جاؤوا يطيرون في اتجاه عكسي من ناحية الجنوب، ولحظة الاصطدام تنشأ مساحات من الشبورة أو تسقط كميات من المطر، وإذا كان الاصطدام قويًّا فأحيانا يضطر بعضنا إلى العودة للخلف مرة أخرى أو السقوط في الدائرة

الدَّوَّامة؛ ولذلك فالثبات في نفس المكان والتَّشبُّث به يستهلك مجهودًا ضخمًا وطاقة كبيرة، وهو أمر يجعلنا نشعر بتوتر شديد، إننا أيضًا نتعارك كثيرًا، لكننا في نفس الوقت لا نقوم بتصرفات شيمتها الغدر، لقد كنت أطير مع اثنين من رفاقي من ناحية الشمال، وتوجَّهنا قليلًا إلى الغرب، ثم انحرفنا جنوبًا، ثم واصلنا الطيران بسرعة، وفي أثناء ذلك لمحنا مجموعة من الرفاق يصل عددهم لعشرة أفراد يتَّجِهون نحونا من الاتجاه المعاكس، ومرة أخرى لمحنا واحدًا فقط، لكن الغلبة ليست بالعدد، بل بالقوة، لقد سألنا واحدة من تلك المجموعات عن الوجهة التي يقصدونها وهم لا زالوا على مسافة بعيدةً عنَّا، فأجابوا أنهم يتَّجِهون نحو ألاسكا، فقلنا لهم:

'لا تمزحوا معنا، فهذا الاتجاه لا يؤدِّي إلى ألاسكا، فنحن قد جئنا من هناك'.

لكنهم ردُّوا علينا بأنهم تلقَّوا أمرًا بالذهاب إلى هناك، وطلبوا منَّا إفساح الطريق لهم للمرور، فشعرنا بالضيق من قولهم هذا، إننا مَن يعمل دورة الغلاف الجوي، فيجب على مَن يقوم بذلك أن ينظر إلى علامات الطريق الإرشادية، إن أي أحدٍ مهما كان إذا قيل له تعبير دورة الغلاف الجوي، فغالبًا ما سوف يشعر بالارتياح ويصفو لون وجهه ويحدِّق في مثل تلك العلامة الإرشادية مُدقِّقًا، أحيانًا نُؤمَر بترك الرفاق الآخرين يشقُّون طريقهم لعمل دورة الغلاف الجوي، لكن، للأسف، يوجد بين الإخوان -وخاصة المسِنِّين العجائز منهم- مَن يتَّصِف بخصال سيئة، فمنهم مثَّلا مَن يقول حين نعترضه:

'عمَّ تتحدث أيها الأحمق؟ ما دورة الغلاف الجوي التي تتحدَّث عنها؟ توقَّفْ عن التفاهات والسخف وابتعد عن طريقي'.

هنا، وفي مثل هذه الحالة فإن واحدًا من أُمَراء الرياح من أمثالي لا يعجبه مثل هذا السلوك، خصوصًا إذا ردَّ عليَّ واحد من المُسِنِّين بمثل هذا الصوت العالي المتعجرف، ففي مثل هذه الحالة أقول لأمثاله:

لا، لـن أفسـح الطريـق، بـل إننـي -حسـب اللوائـح- سـوف أدخـل معـك في مبـاراة الملاكمـة، إن مثـل هـذا النـزال بالطبـع يخـرج منـه مُنتصرٌ ومهـزوم، ولأننـي أكـره الجـبن والغـدر؛ فـإذا حـدث وراوغنـي أحـدٌ مـا واسـتغلَّ انشـغالي عـن ملاحظتـه لبضـع ثـوانٍ فهـرب منـي وواصـل انطلاقة فإننـي لا ألحقـه، ولا أسـعى في سـبيل الإمسـاك بـه، وإنمـا أصيـح فيـه وهـو يعطينـي ظهـره هاربًـا قائـلًا:

لـن يطـول الوقـت حتـى يمسـك بـك الجـنرال هيلـمان، إننـي أشـعر بالسـرور والارتيـاح في تلـك الأيـام الهادئـة الطقـس حيـث أطـير مـع رفاقـي بسرعـة محـدودة فـوق صفحـة البحـر متَّجِهًـا نحـو الجنـوب الغـربي، ومثـل هـذه الأيـام الهادئـة تجدهـا بمعـدل ثلاثـة أيـام كل عـشرة أيـام. وهكـذا، وبهـذه الحسـبة وصلـت بعـد مـرور شـهر مـن انطلاقـي مـن القطـب الشـمالي إلى مضيـق تسـوغارو، وعنـد بـزوغ الفجـر وجـدتُ مجموعـةً مـن السـحب المنخفضـة الارتفـاع تجثـم عـلى أحـد الجبـال المثبَّتـة عليهـا قاعدة مدفـع سـاحلي أمـام سـاحل ميناء هاقوداتيـه، فتقدمـتُ طائرًا أدفـع أمامي هـذه السـحب، فرأيـت تحتـي أسرابًـا مـن العصافـير تطـير في حلقـات فـوق بعضهـا البعـض، تحلِّـق فـوق صفحـة البحـر المتوهِّجـة بالبيـاض وهـي تكاد تلامسـها وتـدور وتـدور فـوق صفحـة البحـر، ورأيـت تحتـي هنـاك أيضًـا أسرابًـا مـن طيـور النـورس ورأيـت سُـفُنًا تمـر بالمضيـق، وقـد لمحـت سـفينة بضائـع ضخمـة محمَّلـة ببضائـع كثـيرة وكان اسـمها مكتوبًـا عـلى جانبهـا بوضـوح وهـو: إيـتروف مـارو، وكذلـك لمحـتُ عبـارةً مدهونـة بالطـلاء الأبيـض، وأذكـر أننـي وقتهـا أيضًـا التقيـتُ بالسـيد إيطـوه مـن جامعـة هوكايـدو، وإننـي أعرفـه لأنـه يعمـل أيضًـا بهيئـة الأرصـاد الجويـة، وبعـد ذلـك طِـرتُ في خـطٍّ مسـتقيم جنوبًـا إلى شـبه الجزيـرة الكوريـة، آه... لقـد شـعرت بوحـدة شـديدة أثنـاء التحليـق، لأننـي كنـتُ أحلِّـق وحـدي، وكانـت السـحب تبـدو جميلـة للغايـة، ولم يكـن هنـاك مـا يعيـق طـيراني، لكننـي كنـتُ حقًّـا أشـعر بالوحـدة، وبعـد وصـولي لشـبه الجزيـرة الكوريـة

أكملتُ تحليقي باتجاه الشرق مدفوعًا بالرياح الغربية، لقد تجوَّلتُ كثيرًا على ارتفاع منخفض فوق البحر، وأذكر أنني حلَّقتُ فوق إحدى السفن التجارية الكبيرة واقتربت من واحد من طاقم البحارة كان ينفث ذلك الدخان البنفسجي من السيجار الذي كان يدخِّنه، فهمست في أذنه قائلًا:

'أتوقع أن طفلك الوليد هناك في الوطن الآن يستطيع السير على قدميه'.

'نعم إننا حين نجول بين السفن العابرة في البحر نلاطف البحارة بعبارات مثل هذه، ولقد نظرتُ بعد ذلك لأعلى أطالع السماء البعيدة، فلمحتُ هناك تلك السحب الباردة المحمَّلة بالثلوج تسير مع الرياح، وأدركتُ أن عددًا من المتطوِّعين الجُدُد من الإخوان يقومون بعمل دورة غلاف جوي جديدة، آه... باقٍ من الزمن عشرون يومًا على موعد انتهاء تدريبي وتخريجي، إنني حين أدرك هذا الأمر يراودني شعور بالسعادة لا أستطيع وصفه'".

وهنا قال "قووإيتشي" مُعقِّبًا:

"إن هذا التوقيت يواكب موعد امتحاناتنا".

فردَّ عليه "مطا":

"نعم، لكن إنهاء الدورة التدريبية الحالية أصعب بمراحل من امتحاناتكم تلك، إذا كان الأمر يخصُّ امتحاناتكم فيكفيكم لكي تجتازوها أن تذهبوا إلى مدرستكم بانتظام، حتى لو ذهبتم ولعبتم فسوف تنجحون".

لقد قال "مطا" هذه الجملة وهو يلوي طرف فمه كعادته حين يريد استفزاز شخص ما يتوقَّع استثارة غضبه، ثم ضحك، وهنا ردَّ عليه "قووإتشي" قائلًا:

"إنني أواظب على الحضور إلى المدرسة".

فقال "مطا" باستخفاف:

"حقًّا؟ أعتقد أنكم كلكم تفعلون نفس الشيء، حسنًا، إنني مشغول اليوم، وحان الوقت للذهاب، باي... باي".

وهكذا اختفى "مطا" فجأةً من أمام أعينهم، وهنا تفرَّق الجميع وشقُّوا طريقهم يهبطون التل.

**اليوم العاشر من شهر سبتمبر:**

"هيَّا أيَّتها الرياح، هُبِّي وزَمْجِري

واعصِفي في طريقك بأشجار الرُّمَّان المسكَّر.

واعصِفي أيضًا بالرُّمَّان غير الناضج، ذي الطعم الحاذق.

هُبِّي وزَمْجِري، هُبِّي وزَمْجِري".

وهكذا رأى "إتشي" في حلمه "مطا" وهو يغنِّي أغنيته المعهودة التي سمعها منه في بداية تعرُّفهما، لقد انزعج "إتشي" وانتفض من فِراشه وأخذ يجول بعينيه في الغرفة المظلمة حوله، فاكتشف فعلًا أن هناك عاصفة قوية تهبُّ خارج المنزل، وسمع صوت الرياح وهي تصفر بقوة وهي تخترق أشجار الغابات الكثيفة خلف المنزل وكأنها كلاب وذئاب تعوي، ومع ظهور الخيوط الأولى للفجر، بدأت تنعكس تلك الأضواء الضعيفة المعتمة من خلال المصابيح الورقية الملوَّنة المتراصَّة فوق الأرفف، ليسري ذلك الضوء خلال جنبات المنزل كله، لقد استيقظ "إتشي" ونهض مُسرِعًا يربط روبه الخفيف بالنطاق القماشي، ثم انتعل قبقابه وخرج من باب البيت ليمرَّ من أمام باب الإسطبل الملحق بالبيت، ولمَّا فتح البوابة الخارجية للبيت وخرج منها يطلُّ برأسه إذا بحَبَّات الأمطار الباردة تصطدم بوجهه بسبب الرياح القوية، وفي اللحظة التالية سمع خلفه من ناحية الإسطبل

صوتَ باب يوصَد بقوة، وبعد حدوث ذلك الصوت مباشرةً أخذت الخيول تنفر بأنفها، لقد شعر "إيشيروه" أن الرياح قد ملأت صدره، فأخرج زفرةً عميقةً، ثم خرج إلى قارعة الطريق، وكان ضوء الصباح قد أنار الأنحاء بشكلٍ كافٍ، وكانت أرضية الطريق مبتلَّة، وقد شاهد في اللحظة التالية مشهدًا غريبًا غير معتاد، حيث كان صفٌّ أشجار الكستناء الممتدِّ أمام منزله يبدو وكأنه قد تحوَّل إلى لون أبيض باهت، وأخذت تلك الأشجار تهتزُّ بشدَّةٍ وتصطدم ببعضها البعض بسبب الرياح الشديدة والمطر الغزير وكأنها تستسلم للأمطار لكي تغسل حتى يذهب لونها تمامًا، لقد كانت أوراق الأشجار الخضراء هي الأخرى تتناثر في الهواء مع دفع الرياح لها بينما تناثَرَت ثمار الكستناء الذابلة المسودَّة هنا وهناك على قارعة الطريق، وفي السماء كانت الغيوم الكثيفة المتداخلة تلمع بلونٍ فضِّيٍّ بينما تجرفها الرياح نحو الشمال، أما الغابات البعيدة، فكانت أشجارها تتمايل بشدَّةٍ، مُصدِرةً ضجَّةً عالية مع عصف الرياح بها وكأنها بحرٌ واسع تتخبَّط أمواجه بعضها ببعض، ولقد كان "إتشي" يحاول الثبات واقفًا بأقدامه في مكانه وهو يقاوم الرياح الشديدة التي كادت تقذف به، فكان ثوب نومه الطويل على وشك أن ينجرف مع الرياح، وكانت الأمطار الشديدة الباردة تضرب وجهه ويديه بكل قوة، إلَّا أن إتشي" كان يركِّز انتباهه في الاستماع لتلك الأصوات وتأمُّل السماء، ولقد كان "إتشي" يقف في مكانه وهو يشعر بالوحدة، حيث إنه كان يتساءل عمَّا إذا كان "مطا" أمير الرياح قد رحل عنه وعن زملائه من التلاميذ إلى غير رجعة، أم أنه لا زال على عهده معهم بأنه سوف يأتي من وقتٍ لآخر في أوقات الصباح الباكر ليوقظهم ببعض زوابعه المعهودة؟ ولكن مع تركيز "إتشي" في الاستماع إلى أصوات هذه الرياح العابرة المزمجرة ورؤيته لها شعر بضربات قلبه وهي تتسارع، وحتى الأمس كانت الرياح ساكنةً هادئةً تحت السماء الصافية لتلك التلال والسهول

الخضراء، ولكن ها هي ذي مع فجر هذا اليوم تثور دفعةً واحدة وتتوجه نحو منطقة بحر "تاسكارورا" عند الطرف الشمالي، وحين طرأ لـ"إتشي" هذا الخاطر أحسَّ بأن وجهه قد علته السخونة وكساه اللون الأحمر، وأخذت أنفاسه تتسارع، حتى إنه صار يشعر أنه يكاد أن يطير مع هذه الرياح، فنفخ صدره إلى الأمام وفرد ذراعيه عن آخرها وصار يصرخ ملء حنجرته قائلًا:

"هيَّا أيَّتها الرِّياح، هُبِّي وزَمْجِري

واعصِفي في طريقك بأشجار الرُّمَّان المسكَّر.

واعصِفي أيضًا بالرُّمَّان غير الناضج، ذي الطَّعم الحاذق.

هُبِّي وزَمْجِري، هُبِّي وزَمْجِري"

لقد كان صدى صرخات "إتشي" يتقطَّع في الهواء مع شدَّة الرياح التي تحملها بعيدًا، ولكن بعد لحظات صارت تأتي من الخلف أصوات صرخات من بعيد تحملها الرياح، أصوات متقطِّعة تقول:

"هيَّا أيَّتها الرِّياح، هُبِّي وزَمْجِري

واعصِفي في طُرُقِكِ بأشجار الرُّمَّان المسكَّر.

واعصِفي أيضًا بالرُّمَّان غير الناضج، ذي الطَّعم الحاذق.

هُبِّي وزَمْجِري، هُبِّي وزَمْجِري".

لقد التفت "إتشي" ناحية دغل أشجار الكستناء حيث جاء ذلك الصوت من هناك، وفي اللحظة التالية مرق فوق رأسه جسمٌ ما مُحدِثًا تفريغًا هوائيًّا مع صيحةٍ تقول:

"وداعًا يا إتشي".

ولكن مع اللحظة التالية كان ذلك الصوت قد ذهب بعيدًا عند سور الشجيرات المحيط بذلك المنزل، وهنا صرخ "إتشي" بأعلى صوت قائلًا:

"وداعًا يا مطا".

فشاهد بريق حرملة "مطا" الزجاجية بعيدًا خلف سور الشجيرات، كذلك بين لحظة وأخرى كان يظهر وجهه الأحمر وكذلك شَعره الأحمر المنكوش بفعل الرياح، ولكن بعد لحظات اختفى "مطا" تمامًا وسط الغيوم الكثيفة التي أخذت تتكوَّن بكثرة، لكن "إتشي"، لسببٍ ما، ظلَّ واقفًا هناك يتلقَّى الرياح بصدره وهو يفرد ذراعيه باتجاه الغيوم، ثم جاءه صوتٌ من خلفه يقول: مكتبة سُر مَن قرأ

"آهٍ.. يا لها من رياح شديدة! سوف تصيبنا هذه المرة بأضرار شديدة. هيَّا، ادخُل يا إتشي إلى المنزل، فسوف تصاب بالبلل".

التفت "إتشي" خلفه فوجد جده يقف وهو يُطالِع السماء بعينيه، وهكذا عاد "إتشي" لغرفته، وبدَّل ملابسه، ثم انطلق إلى المدرسة، وكان يسير مسرعًا في الطريق يريد الوصول بأسرع وقت ممكن، مدفوعًا بالرغبة في إبلاغ زملائه عن تفاصيل لحظات الوداع مع "مطا" أمير الرياح.

******

# مطعم الطلبات الكثيرة

شابَّان رقيقان يرتديان ملابس مثل ملابس الجنود الإنجليز بالضبط، ويحملان بندقيتين تلمعان، ويصطحبان كلبين مثل الدِّبَبة البيضاء، يسيران وسط الجبال في منطقة لا يُسمع فيها إلا صوت اهتزاز أوراق الأشجار، وكانا يقولان الآتي:

"لا فائدة من البحث في هذه الجبال؛ فلا توجد طيور ولا حيوانات على الإطلاق، أريد أن أرى أي حيوان أو طائر لأنني أريد أن أطلق النار".

فقال الآخر:

"عندما أرى عدَّة طلقات تصيب البطن الصفراء للغزال سوف أشعر بالسعادة، سوف يلفُّ عدَّة لفَّات ثم يسقط على الأرض مرَّة واحدة".

دارت تلك المحادثة في داخل الجبال الوعرة حيث تاه الدليل المتخصِّص في إطلاق النار، ولا أحد يعرف أين ذهب.

وفوق ذلك فلقد كان الجبل ضخمًا جدًّا؛ ممَّا جعل الكلبين اللذين يشبهان الدِّببَة البيضاء يشعران بالدوار، فصاحا قليلًا، ثم أخرجا فقاعات، ثم ماتا.

فقال أحد هذين الشابين الرقيقين وهو يفتح عين الكلب:

"لقد خسرت ألفين وأربعمائة ين".

فقال الآخر وهو يحني رأسه ضيقًا:

"لقد خسرت ألفين وثمانمائة ين".

فقال أحدهما في ضيقٍ ظهر على وجهه وهو ينظر إلى وجه الآخر:

"أنا قرَّرتُ أن أعود".

فقال الآخر:

"وأنا أشعر بالجوع، كما أن الجو أصبح باردًا، ولذلك قرَّرتُ أنا أيضًا أن أعود".

فقال الآخر:

"إذن، نتوقَّف عن البحث، ونشتري طيورًا جبلية بعشرة ينَّات من الفندق الذي كنَّا فيه أمس ثم نعود إلى ديارنا".

قال الآخر:

"لقد شاهدت أرنبًا، ولكنَّ أرنبًا يُعتبر لا شيء، النتيجة واحدة، وهي عدم وجود طيور أو حيوانات مهمَّة، هيا نعود".

ولكن الاثنين وقعا في حيرة؛ فهما لا يعرفان طريق العودة.

هبَّت الرياح فاهتزَّ العشب، وأوراق الأشجار، والأشجار، وسمعا أصوات اهتزازها، وقال أحدهما:

"أشعر بالجوع الشديد، أشعر بألم في المعدة من الجوع يجعلني لا أستطيع تحمل الجوع".

فقال الآخر:

"أنا كذلك، كما أنني لا أريد السير".

فقال الأول:

أنا أيضًا لا أريد السير، أشعر بالضيق، أريد أن آكل".

وقال الآخر:

"فعلًا أريد أن آكل".

ونظرا خلفهما فشاهدا مبنًى رائعًا على الطراز الغربي، ولافتة معلَّقة على المدخل مكتوب عليها:

"مطعم القطط البرية، أطعمة غربية".

فقالا لبعضهما البعض وهما يسمعان صوت اهتزاز العشب الفضي:

"ممتاز، وجدنا مطعمًا في الوقت المناسب، ومن حسن الحظ أنه مفتوح الآن، هيا ندخل".

فقال الآخر:

"ولكن غريب أن يكون هنا مطعم مثل ذلك، ولكن على كل حال، المهم أننا نستطيع أكل أي شيء".

قال:

"نعم، نستطيع الأكل، مكتوب على اللوحة المعلَّقة في المدخل أنه مطعم".

فقال الآخر:

"هيا ندخل، أريد أن آكل، أنا على وشك السقوط من شدة الجوع".

وقف الاثنان أمام المدخل، المدخل مدخل فخم، مصنوع بأحجار فخارية بيضاء، ومكتوب على باب الدخول المصنوع من الزجاج بخطٍّ لونه ذهبي الآتي:

"تفضَّلوا بالدخول، لا داعي للخجل أو التَّردُّد في الدخول".

فشعر الاثنان بالسعادة وقال أحدهما للآخر:

"ما رأيك؟ الدنيا ما زالت بخير، لقد تعبنا وواجهنا صعوبات اليوم، ولكن من حسن حظنا أننا وجدنا مكانًا جميلًا مثل هذا، فهذا مطعم، سوف نتناول طعامًا لذيذًا فيه، وأيضًا مجانًا".

قال الآخر:

"نعم، كلامك صحيح، فمعنى 'لاتخجلوا أو تتردَّدوا في الدخول' تعني أن الطعام مجاني".

دفع كلاهما الباب ودخلا، وبعد المدخل كانت هناك طرقة، وكان مكتوبًا خلف باب الدخول الزجاجي الآتي:

"نرحِّب جدًّا بالزبائن، وخاصة السمين منهم والشاب".

شعر الاثنان بالسعادة الشديدة للترحاب الشديد بهما حيث إنهما شابَّان، وقال أحدهما:

"إنهم يرحِّبون بنا بشدة".

فقال الآخر:

"نعم، يرحِّبون بنا نحن الاثنين معًا".

سار الاثنان في الطرقة إلى الأمام بسرعة فوجدا بابًا مطليًّا بطلاء أزرق، فقال أحدهما:

"مطعم غريب جدًّا، لماذا يوجد كثير من الأبواب بداخله؟".

فقال الآخر:

"إنه على الطراز الروسي، فالمباني الموجودة في أماكن باردة أو أماكن جبلية تكون هكذا".

وقبل أن يفتحا الباب شاهدا لوحة فوق الباب مكتوب عليها بخط أصفر:

"اعلموا مقدَّمًا أن هذا المطعم، مطعم وجبات كبيرة".

فقال أحدهم:

"جميل أن يكون هناك مطعم في الجبل ويقدِّم وجبات كبيرة".

فقال الآخر:

"نعم، هذا صحيح، فإن المطاعم الكبيرة في طوكيو، غالبًا لا تكون في الشوارع الرئيسية".

فتح الاثنان الباب فوجدا لوحة مكتوب فيها:

"الوجبات كبيرة جدًّا؛ ولذلك أرجو أن يكون عندكم صبر".

فقال أحدهم بوجه جاد الملامح:

"ماذا يعني هذا؟".

فقال الآخر:

"هذا يعني أن الوجبات كبيرة؛ وبالتالي سوف يحتاج إعدادها إلى وقت؛ ولذلك أرجو أن تصبروا وتتحمَّلوا وقت إعداد الطعام".

فقال:

"نعم، كلامك صحيح، أريد أن أصل إلى صالة تناول الطعام بسرعة".

فقال الآخر:

"أريد أن أجلس على منضدة تناوُل الطعام بسرعة".

والشيء المتعب أنه كان يوجد باب آخر أيضًا، وبجانبه كانت توجد مرآة ويوجد تحتها فرشاة بيدٍ طويلة وكانت هناك لوحة مكتوب فيها:

"من فضلكم صفِّفوا شعوركم ونظِّفوا ملابسكم من الأتربة".

فقال أحدهم:

"هذا ما لم أتوقَّعه أبدًا، لقد كنت أنظر إلى هذا المطعم على أنه مطعم متواضع، لأنه مطعم في منطقة جبلية".

فقال الآخر:

"مطعم له قواعد كثيرة، أكيد أن أغلب زبائن هذا المطعم من العظماء".

قام هذان الشابان بتصفيف شعريهما وتنظيف حذاءيهما، وبينما كانا يفكِّران أين يضعان الفرشاة، فوق لوحٍ أم لا، إذ برياح تدخل داخل الحجرة الموجودين فيها، فيندهشان ويندفعان بسرعة إلى الدخول إلى الحجرة التالية، وكل منهما يقول لنفسه:

"أريد أن أتناول وجبه ساخنة حتى أشعر بتحسُّن في صحتي، وإلَّا سوف أشعر بخيبة الأمل".

وخلف الباب كانت هناك لافتة مكتوب فيها شيء غريب:

"ضعوا البنادق والذخيرة هنا".

فنظرا ووجدا منضدة سوداء لوضع تلك الأشياء، فقال أحدهما للآخر:

"لقد فهمتُ، ليس من الأدب تناوُل الطعام ونحن نحمل البنادق والذخيرة".

فقال الآخر:

"هذا يؤكد أن الزبائن الذين يحضرون إلى هذا المطعم عظماء".

فأنزل كلاهما البندقية، وخلعا أحزمة الذخيرة ووضعاها فوق المنضدة، ثم بعد ذلك سارا فوجدا بابًا أسود مُعلَّقة عليه لافتة مكتوب عليها:

"من فضلكم اخلعوا القبعات والمعاطف والأحذية".

فقال أحدهما للآخر:

"ماذا نفعل؟ هل نخلعها؟".

فقال الآخر:

"ليس هناك مفرٌّ من تجنُّب فِعل ذلك، هيا نخلعها، أكيد أن الزبائن الذين يحضرون هنا عظماء جدًّا، فهل يا ترى اقتربنا من الوصول إلى حجرة الطعام؟".

فخلعا الملابس ووضعا القبَّعات والمعاطف على مسامير، وخلعا الأحذية، وسارا حفاة ودخلا الباب التالي، فوجدا لافتة مكتوب عليها خلف الباب:

"ضعوا هنا جميع الأشياء الحديدية، مثل دبوس رابطة العنق، وزِرِّ كُمِّ القميص، والنظارة، والحافظة، وكل الأشياء المدبَّبة".

وكان يوجد بجانب الباب خزانة حديدية سوداء فخمة، وكانت مفتوحة لوضع تلك الأشياء، وكان فيها مفتاح، فقال أحدهما للآخر:

"ربما يستخدمون الكهرباء لطهو الطعام؛ ولذلك من الخطر على الزبائن أن يحملوا أشياء حديدية، وأشياء مدبَّبة".

فقال الآخر:

"ربما يستخدمون الكهرباء لطهو الطعام؛ ولذلك من الخطر على الزبائن أن يحملوا أشياء حديدية أو أشياء مدبَّبة".

فقال الآخر:

"نعم، كلامك صحيح، كما أن دفع الحساب يتم هنا، قبل الخروج، أليس كذلك؟".

فقال: "نعم، هذا ما يبدو واضحًا".

فقال الآخر: "أكيد أنه كذلك".

فقاما بخلع النظارات وأزرار أكمام القمصان ووضعاها في الخزانة وأغلقاها بالمفتاح، وسارا قليلًا، فوجدا بابًا آخر يوجد قبله وعاء زجاجي، وهناك لافتة على الباب مكتوب عليها: "ضعوا الكريم الموجود في الوعاء على وجوهكم وأيديكم وأرجلكم".

وكان الكريم الموجود داخل الوعاء كريمًا مصنوعًا من الحليب، فقال أحدهما:

"لماذا يطلبون منا وضع كريم؟".

فقال الآخر: "الجو خارج هذا المطعم بارد جدًّا، ولكنه داخل المطعم حارٌّ جدًّا؛ وبالتالي سوف تحدث تشقُّقات في جلد الوجه واليد والقدم، أكيد أن الزبائن الموجودين الآن في صالة الطعام عُظَماء جدًّا، نحن نُعامَل هنا وكأننا أمراء".

فدَهنَا وجهيهما وأيديهما وخلعا الجوارب ودَهَنَا أرجلهما بذلك الكريم، ومع ذلك تبقَّى بعض الكريم، فأخذاه في الخفاء، ثم فتحا الباب بسرعة، وكانت خلف الباب لافتة مكتوب عليها:

"هل دهنتم بالكريم جيدًا؟ وهل دهنتم أذنيكما بالكريم جيدًا؟".

وكان هناك علبة كريم صغيرة موضوعة بالقرب من اللافتة، فقال أحدهما:

"لم أدهن أذني بالكريم، لقد كانت أذني سوف تصاب بالتَّشقُّقات، إن المسؤول عن هذا المطعم دقيق".

وقال الآخر: "نعم فهو يفكر في كل صغيرة وكبيرة، هذا شيء جيد، ولكنني أريد تناول الطعام بسرعة، ولكن أمامنا طُرقة، فلا مفرَّ من الانتظار على تناول الطعام".

وكان هناك باب آخر وهناك لافتة أمامه مكتوب عليها:

"سوف يتمُّ إعداد الطعام في الحال، لن يزيد الانتظار عن خمس عشرة دقيقة، سوف يتم تناول الطعام بسرعة، ضعوا العطر الموجود داخل الزجاجة فوق رؤوسكم".

أمام الباب كانت هناك زجاجة عطر ذهبية لامعة، فأخذها الاثنان ووضعا العطر على رأسيهما، ولكن رائحة العطر كانت مثل رائحة الخل، فقال أحدهما:

"هذا العطر رائحته غريبة، رائحته مثل رائحة الخل".

فقال الآخر:

"ربما أخطؤوا، فربما أصابت الخادمة نزلة برد فوضعت خلًّا بدلًا من العطر".

ثم فتحا الباب ودخلا، وكانت خلف الباب لافتة مكتوب فيها بخط كبير:

"نأسف أننا طلبنا منكم طلبات كثيرة أرهقتكم، نحن نشعر بالشفقة عليكم، ولن نطلب منكم شيئًا آخر غير الآتي: من فضلكم ضعوا الملح الموجود في الإناء على جميع أجزاء جسمكم، وادعكوا جسمكم به جيدًا".

وكان هناك إناء فخار فخم أزرق اللون. نظر كلٌّ منهما إلى الآخر في دهشةٍ يفكِّران في معنى وضع الملح، وقال أحدهما:

"هذا شيء غريب".

فقال الآخر: "وأنا أيضًا أرى أن ذلك شيء غريب".

قال: "الطلبات الكثيرة تعني أن المطعم هو الذي يطلب من الزبائن طلبات كثيرة".

فقال الآخر: "وهذا يعني أن مطعم المأكولات الغربية لاتعني كما نفهم نحن أن الزبون الذي يأتي يأكل، ولكن الزبون الذي يأتي يتمُّ أكلُه هو، وهذا يعني أننا...".

ثم شعر كلاهما برعب ورجفة شديدة ولم يستطيعا إكمال الكلام.

ثم قال أحدهما: "هروب".

وحاول دفع الباب الذي خلفه لفتحه، لكن الباب لم يُفتَح، وكان في آخر الحجرة باب آخر، وكان فيه ثقبان كبيران، وكان هناك شكلان لشوكة وسكين لونهما فضي ولافتة تقول:

"شكرًا على حضوركم، هذا عظيم، تفضَّلوا إلى الداخل".

وأعلى ذلك كانت هناك عينان زرقاوان تنظران إليهما من ثقبَيْ الباب، فارتجف الاثنان وانفجرا في البكاء، ثم كان هناك حديث يدور بصوت منخفض في الناحية الأخرى من الباب:

"لا، لن يدخلا، لقد انتبها إلى ما يحدث، بدليل أنهما لم يضعا الملح".

"طبعًا، إن أسلوب الرئيس في الكتابة سيِّئ، كما أنه يطلب من الزبائن طلبات كثيرة ومُتعِبة، كما أنه يقول لهم: 'نحن مشفقون عليكم'؛ هذا كلام أحمق".

"المشكلة ليست في ذلك، ولكنه لا يترك لنا شيئًا، حتى العِظام لا يتركها لنا".

"نعم، هذا صحيح، ولكن إذا لم يحضر هذان الشابان هنا فسوف تكون هذه مسؤوليتنا".

"ادعُهما للحضور: يا زبائن، تعالَيا بسرعة، فلقد غسلنا الأطباق، ووضعنا الملح على الخضروات، والباقي فقط وضعكما مع الخضروات وتقليبكما، ثم وضع ذلك في طبق أبيض، فتعاليا بسرعة".

"تعاليا، تعاليا، هل تكرهان السَّلطة!، إذا كنتما تكرهانها، فسوف نشعل نارًا ونشويكما عليها، المهم أن تأتيا بسرعة".

شعر الشابان بحزن شديد آلم قلبيهما، فظهرت تجاعيد شديدة في وجه كلٍّ منهما، ونظر كلٌّ منهما إلى الآخر، فوجده يرتعش خوفًا ويبكي في صمت، ولكن في الداخل كان هناك مَن يضحك ويصيح مناديًا عليهما بسرعة الحضور، ثم صوت يقول:

"تعاليا، تعاليا، لماذا تبكيان؟ لقد دهنتما الكريم وأصبحتما مستعدَّيْن، حان وقت تناول الطعام، تعاليا بسرعة".

"تعاليا بسرعة، الرئيس وضع المنديل على صدره، وأمسك السكين ولعابه يسيل منتظرًا قدومكما".

أخذ الاثنان في البكاء ثم البكاء ثم البكاء.

وفي تلك اللحظة سُمع صوت نباح من الخلف، وكسر الكلبان اللذان كانا مثل الدِّبَبة البيضاء الباب وقفزا داخل الحجرة، فاختفت العينان اللتان كانتا تنظران من ثقبي الباب، وظلَّ الكلبان يلفَّان في داخل الحجرة، ثم نبحا في وقت واحد بصوت عالٍ، وقفزا فجأة على الباب التالي: فانفتح الباب، حيث طار الكلبان بعيدًا وكأن شيئًا ما ابتعلهما، وفي الناحية الأخرى للباب سُمِعَ صوت وصياح حيث كان الظلام سائدًا هناك، ثم اختفت الحجرة وكأنها دخان انقشع، وكان الشابان يرتعدان من البرودة، ويقفان داخل العشب، وفجأة وجدا السترات والأحذية والحافظات ودبابيس رباطة العنق، بعضها مُعلَّق على فرع شجرة، والبعض الآخر ملقى على جذوع الأشجار، والرياح تهبُّ والعشب وورق الأشجار والأشجار تهتزُّ وتسبِّب أصواتًا.

ثم عادت الكلاب فجأة، ثم كان هناك مَن يصيح من الخلف:

"سيدي، سيدي".

فاستردَّ الشابان صحتهما فجأة وقالا:

"هنا، أقبِل بسرعة".

فسار الدليل الذي كان يضع قبَّعةً كبيرة من البوص على رأسه، وأخذ يضرب العشب الذي أمامه فيفتح لنفسه طريقًا إلى أن وصل إليهما، فشعر الشابان أخيرًا بالأمان، وأكلا لقمة القاضي التي أحضرها الدليل معه، وفي طريق العودة اشتريا بعشرة ينَّات طيورًا جبلية وعادا إلى طوكيو.

لكنَّ وجهيهما اللَّذين تجعَّدا لم يعودا إلى أصلهما، سواء عندما عادا إلى طوكيو أو استحمَّا بمياه ساخنة.

*****

# ليلة قطار مجرة درب التبانة

## 1. حصة فترة الظهيرة

وبينما كان الأستاذ يشير إلى مجرَّة درب التبانة ذات الغيوم البيضاء والمتناثرة من أعلى إلى أسفل في الخارطة السوداء الكبيرة المعلَّقة على السبورة، سأل جميع التلاميذ قائلًا:

"حسنًا، هل تعرفون ما هذه الأشياء البيضاء اللون والتي يُطلِق البعض عليها 'الطريق اللبني'، والتي يقول عنها اليابانيون 'نهر السماء'؟".

رفعت "كمبا" يدها، وبعد ذلك رفع حوالي خمسة تلاميذ أيديهم، ورفع "جوباني" يده قليلًا ثم أنزلها بسرعة، ثم قال لنفسه:

"هذه الأشياء البيضاء نجوم، لقد قرأتُ عن ذلك في إحدى المجلات".

ولكنه في تلك الفترة كان يشعر بالنعاس كل يوم في الحصص، ولم يكن عنده وقتٌ لقراءة الكتب ولا عنده كتب يقرؤها؛ ولذلك كان يشعر أنه لا يفهم شيئًا جيدًا ولا يعرف إجابة ذلك السؤال، ولقد انتبه الأستاذ منذ فترة إلى أن "جوباني" دائم النعاس ولا يفهم جيدًا، ثم سأله:

"جوباني، هل تعرف الإجابة؟".

فوقف "جوباني" بسرعة، لكنه لم يستطع الإجابة بوضوح عن ذلك السؤال، فنظر "ظنيري" الذي يجلس أمامه إلى الخلف تجاه "جوباني"، ثم ضحك وهو يكتم الصوت، فارتبك "جوباني" واحمرَّ وجهه خجلًا، ثم قال الأستاذ:

"عندما ننظر عن طريق تلسكوب كبير إلى المجرَّة، فماذا نرى؟".

قال "جوباني" لنفسه:

"طبعًا نجوم".

ولكنه لم يستطع الإجابة على هذا السؤال في الحال، فشعر الأستاذ بالضيق لبرهة ثم وجَّه نظره تجاه "كمبا"، ثم أشار إليها وقالت:

"هل تعرفين يا كمبا؟".

ورغم أنها كانت ترفع يدها بحماس إلا أنها وقفت بتردُّدٍ ولم تستطع الإجابة، فنظر الأستاذ طويلًا إليها متعجِّبًا من أنها لا تعرف الإجابة، ثم بعد ذلك قال في عجلة:

"حسنًا".

مكتبة
t.me/soramnqraa

ثم أشار إلى الخارطة قائلًا:

"عندما ننظر بتلسكوب كبير إلى الأشياء البيضاء الموجودة في المجرَّة سوف نكتشف أنها نجوم كثيرة وصغيرة، أليس كذلك يا جوباني؟".

احمرَّ وجه "جوباني"، ثم هزَّ رأسه بالموافقة، ولكن في الحال امتلأت عيناه بالدموع، ثم قال لنفسه:

"نعم، إنها نجوم، لقد كنتُ أعرف ذلك، وكمبا أيضًا كانت تعرف ذلك، فلقد قرأت عن ذلك معها في مجلَّةٍ عندما كنت معها في بيتها، فلقد أخرَجَت كتابًا كبيرًا من مكتبة أبيها البروفسير، وفتحت الكتاب على صفحة المجرَّات، وأخذنا نشاهد صورة جميلة لكثير من النقاط البيضاء في صفحة سوداء جدًّا".

ولكن "كمبا" لم تجب فورًا على السؤال ليس لأنها كانت قد نسيت الإجابة، ولكن لقد تعمَّدَت ألَّا تجيب على السؤال تعاطُفًا معي، فهي تعلم أنني أعمل في الصباح وكذلك بعد الظهر، وأن عملي مُتعِب، وأنني لا أستطيع اللعب مع جميع الزملاء بعد المدرسة ولا أستطيع التحدث معها كثيرًا، وعندما فكَّرتُ في ذلك شعرتُ لدرجةٍ لا يمكن تحمُّلها أنني وهي أحمقان، ثم قال الأستاذ:

"ولذلك إذا اعتقدنا أن ما رأيناه على الخارطة فعلًا نهرٌ، فإن جميع النجوم الصغيرة ما هي إلَّا ذَرَّات من الرمال والأحجار الصغيرة الموجودة في باطن ذلك النهر، وإذا شبَّهنا ذلك النهر بأنه مجرى لَبَنٍ فإن ذلك سوف يكون مثل النهر، بمعنى أن جميع النجوم سوف تكون مثل كرات الدهون الصغيرة الموجودة داخل اللبن، فإذا شبَّهنا الدَّربَ بالنهر فنشبِّه مياه هذا النهر بماذا؟ نشبِّهها بالفراغ الذي ينقل الضوء بسرعة مُعيَّنة، والشمس والأرض يطفوان داخل ذلك الفراغ، وهذا يعني أننا نعيش في داخل هذا النهر، وإذا نظرنا من داخل مياه ذلك النهر إلى الاتجاهات الأربع، فكما نرى المياه زرقاء عندما يكون النهر عميقًا، فإننا نرى في الأماكن البعيدة والعميقة من ذلك النهر كثيرًا من النجوم البيضاء، انظروا إلى هذا النموذج".

ثم أشار الأستاذ إلى عدسة محدَّبة كبيرة في داخلها كثير من ذَرَّات الرمال اللامعة وقال:

"إن نهر السماء مثل هذه الذَّرَّات، إن كل الذَّرَّات اللامعة هذه مثل شمسنا، هي نجوم تضيء من تلقاء نفسها، وإذا افترضنا أن شمسنا هنا في الوسط، وأن الأرض بالقرب منها جدًّا، فقِفوا ليلًا هنا في الوسط وانظروا إلى وسط العدسة، فمِن هنا سوف تكون العدسة رقيقة، ولذلك لن يكون هناك إلا قليل جدًّا من الذَّرَّات اللامعة، أي لن تروا إلا النجوم اللامعة كثيرة، أي سوف تستطيعون رؤية كثير من النجوم، وأن النجوم التي توجد بعيدًا تُرى بيضاء اللون، وهذا هو درس اليوم، درس عن المجرَّات، أما بالنسبة لحجم هذه العدسة وما بداخلها من أنواع كثيرة من النجوم، فهذا ما سوف أتحدث عنه في الحصة القادمة للعلوم، حيث إن وقت هذه الحصة قد انتهى؛ ولذلك سوف أتوقَّف عند هذا، ضعوا الكتب والكراسات داخل الأدراج".

وتصاعَدَت أصوات فتح وغلق الأدراج وأصوات وضع الكتب فوق بعضها من كل مكان داخل الفصل، ثم وقف الجميع بأدب، وأدَّوا التحية، ثم خرجوا من الفصل.

## 2. المطبعة

وعند خروج "جوباني" من المدرسة وجد "كمبا"، التي لم ترجع إلى منزلها، في ركن فناء المدرسة، تحت شجرة كرز، ويحيط بها مجموعة من ثمانية، وكانوا يتناقشون بشأن الذهاب للحصول على أوراق نبات القرع واستخدامها في صُنع مصابيح زرقاء ووضع تلك المصابيح في النهر.

ولكن "جوباني" رفع يده إليهم عاليًا كتحيةٍ، ثم خرج مسرعًا من بوابة المدرسة، وبمناسبة ليلة عيد المجرَّة فقد قامت جميع المنازل بالاستعداد لذلك، مثل تعليق كرات مصنوعة من أوراق أشجار الطقسوس، وتعليق مصابيح على فروع أشجار السرو.

لم يرجع "جوباني" إلى منزله، بل دخل ثالث شارع حيث توجد مطبعة كبيرة هناك، فدخل المطبعة وقام بإلقاء التحية على الشخص الذي يرتدي قميصًا أبيض فضفاضًا ويجلس أمام منضدة الحسابات الموجودة في المدخل، ثم خلع حذاءه ودخل، ثم فتح بابًا كبيرًا أمامه، ورغم أن وقت دخوله كان الظهر إلا أن المصابيح كانت مضاءة، وكان هناك كثير من آلات الطباعة تدور بسرعة وعمَّال يعملون بهِمَّة، يربط كلٌّ منهم على رأسه قماشة، ويضع على جسده واقيًا من المصباح، ويقرأ ويعدُّ أشياء بطريقة غنائية.

ذهب "جوباني" على الفور إلى مكان الشخص الذي يجلس على ثالث منضدة مرتفعة من المدخل، وقام بإلقاء التحية عليه، وبعد أن قام هذا الشخص بالبحث عن لوحٍ قال لـ"جوباني":

"هل تستطيع التقاط هذا".

ثم أعطاه قطعة ورقية، وأخذ "جوباني" صندوقًا صغيرًا ومسطَّحًا من أسفل المنضدة التي يجلس أمامها هذا الشخص، ثم ذهب إلى ركنٍ لحائطٍ مواجه وموضوع عليه كثير من المصابيح، فجلس القرفصاء هناك وأخذ ملقاطًا صغيرًا وبدأ في التقاط حروف صغيرة جدًّا، وقال شخص يرتدي واقيًا للصدر لونه أزرق وهو يمرُّ خلف "جوباني" موجِّهًا كلامه إلى "جوباني":

"أنتَ يا مَن تستخدم العدسة المكبِّرة، صباح الخير".

فضحك خمسة أشخاص كانوا على مقربة -وهم كاتمو الصوت- ضحكة باردة، ودون أن ينظروا إلى "جوباني".

التقط "جوباني" كثيرًا من الحروف وكان يمسح عينيه من حين لآخر لكي يستطيع الرؤية جيدًا، وبعد أن دقَّت الساعة السادسة بقليل كان "جوباني" قد استطاع التقاط كثير من الحروف ووضعها في الصندوق المسطح، ثم بعد أن قارن بين المطلوب التقاطه والمكتوب في قطعة الورقة وبين ما التقطه، وتأكَّد من أنه التقط المطلوب، أخذ تلك الحروف إلى الشخص الذي طلب منه التقاطها، فأخذها ذلك الشخص وهزَّ رأسه مبتسمًا دون أن يتكلم.

فقام "جوباني" بأداء تحية الوداع إلى ذلك الشخص، ثم فتح الباب وذهب إلى الشخص الذي يجلس أمام منضدة الحسابات، فقام ذلك الشخص الذي يرتدي قميصًا أبيض بإعطاء قطعة نقود صغيرة إلى "جوباني" دون أن يتكلم، فانفرجت أسارير وجه "جوباني" ثم ألقى تحية الوداع على ذلك الشخص بحرارة، وأخذ الحقيبة التي كان قد وضعها تحت تلك المنضدة وخرج مسرعًا، ثم بعد ذلك أخذ يصفر بفمه في سعادة إلى أن وصل إلى بائع الخبز، حيث اشترى قطعة خبز، ثم اشترى كيس سكَّر مكعَّبات، ثم انطلق في الجري بكل سرعته دون أن يعير شيئًا آخر اهتمامًا.

## 3. المنزل

رجع "جوباني" بسرعة إلى منزله، وهو منزل صغير في حي فقير، وكان المنزل هو الثالث من ناحية اليسار، وكانت هناك صناديق مزروع فيها نباتات الكرنب الأرجواني اللون والهليون موضوعة على نافذتين صغيرتين فوقهما مظلَّة تحمي من أشعة الشمس.

وقال "جوباني" لأمه وهو يخلع الحذاء:

"أمي، لقد عُدتُ الآن، هل كانت صحتك بخير؟".

فقالت الأم:

"جوباني؟ أكيد أنك متعب بسبب العمل الشاق. لقد كان الجوُّ اليوم جيدًا؛ ولذلك كانت حالتي الصحية جيدة".

دخل "جوباني" من بوابة المنزل، ثم اتَّجه إلى الحجرة المجاورة لبوابة المنزل، حيث كانت أمه نائمة وتضع قطعة قماش بيضاء على رأسها، ففتح النافذة، ثم قال:

"أمي، لقد اشتريت اليوم سُكَّر مكعَّبات لكي أضعه في اللبن الذي تشربينه".

فقالت الأم:

"تناوَلْ طعامكَ أوَّلًا، فأنا لا أريد أن أتناول شيئًا الآن".

فقال:

"أمي، متى رجعَت أختي؟".

فقالت الأم:

"حوالي الساعة الثالثة، وقد قامت بعمل كل شيء لي".

فقال:

"ولكن اللبن الذي تشربينه لم يأتِ بعدُ، أليس كذلك؟".

فقالت:

"يبدو أنه لم يأتِ بعدُ".

فقال:

"سوف أذهب لإحضاره".

فقالت:

"أنا غير متعجِّلة على شرب اللبن، تناوَلْ طعامك أوَّلًا، فلقد قامت أختك بعمل طعام من الطماطم ووضعته هناك".

فقال:

"حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، فسوف أتناول ذلك الطعام".

أخذ "جوباني" طبق الطماطم من عند النافذة وأحضر خبزًا، وفي لحظاتٍ التهم الطعام، ثم قال:

"أمي، أكيد أن أبي سوف يعود قريبًا جدًّا".

فقالت الأم:

"وأنا أرى ذلك، ولكن لماذا توقَّعتَ ذلك؟".

فقال:

"لأن صحف اليوم تقول إن صيد الأسماك من المناطق الشمالية لهذا العام كان وفيرًا".

قالت:

"ولكن ربما لم يذهب أبوك إلى الصيد".

فقال:

"لا بُدَّ أنه ذهب للصيد، فهو ليس من الأشخاص الذين يرتكبون أعمالًا سيئة فيدخلون السجن، فلقد سبق له أن أهدى مدرستي عظمةَ ظهر سلطعون كبير وقرن غزال، وما زالا موجودَيْن داخل حجرة المتحف الموجودة في المدرسة حتى الآن، وفي حصص الصف السادس يقوم الأساتذة بإحضارهما إلى الفصول ليشاهدهما التلاميذ، وفي الزيارة العلمية للعام السابق قال لي بقية التلاميذ: 'لقد قال أبوك

إنه سوف يُحضِر المرة القادمة فرو حيوان قضاعة البحر'؛ فالجميع عندما يقابلني يقول ذلك، ولكن يقولونه بطريقة تهكُّميَّة".

فقالت الأم:

"هل يقولون مثل تلك الأشياء السيئة؟".

قال:

"نعم، ولكن حين يقول الجميع تلك الأشياء السيئة، فإن كمبا تشعر بالحزن لي وتتعاطف معي".

فقالت الأم:

"إن أبا كمبا كان صديقَ أبيك منذ أن كانا صغيرين مثلك ومثل كمبا".

فقال:

"لقد فهمتُ الآن لماذا كان أبي يصطحبني ونذهب إلى منزل كمبا، لقد كانت أوقاتًا جميلة، فقد كنت أحيانًا أذهب إلى منزل كمبا عند عودتي من المدرسة، وكان هناك في منزلها قطار يسير بالكحول، وكنَّا نضع سبعة خطوط حديدية معًا ونُكوِّن بها دائرة، وهناك عامود كهرباء وإشارة مرور، وكانت إشارة المرور تصبح خضراء فقط عندما يسير القطار أمامها، وفي إحدى المرات نفد الكحُل، فاستخدمنا كيروسينًا فصار خزان الوقود متهبِّبًا عن آخره".

فقالت الأم:

"إن ذلك شيء عجيب!".

ثم قال:

"وأذهب الآن أيضًا عندها لتوزيع الصحف، ولكن المنزل دائمًا يكون هادئًا".

فقالت الأم:

"هذا لأنك تذهب في وقت مبكر جدًّا".

"ولكن يوجد عندهم كلب اسمه ظؤثر، وذيله مثل المكنسة تمامًا، عندما أذهب هناك يُقبِل نحوي ويلهث فرحًا بمجيئي ويسير خلفي إلى نهاية الشارع، وأحيانًا يسير خلفي أكثر من ذلك، سوف يذهب جميعهم الليلة إلى النهر لوضع المصابيح المصنوعة من أوراق نبات القرع في النهر، وبالتأكيد سوف يذهب الكلب معهم".

فقالت الأم:

"لقد تذكَّرتُ، الليلة ليلة الاحتفال بالمجرَّة".

فقال:

"نعم، وسوف أشاهد الاحتفال عندما أذهب لإحضار اللبن".

فقالت الأم:

"اذهَبْ لتشاهد الاحتفال، ولكن لا تنزِلْ النهر".

فقال:

"سوف أشاهد الاحتفال من على الشاطئ فقط، وسوف أرجع المنزل بعد ساعة".

فقالت:

"خُذْ وقتًا أكثر لكي تستمتع، طالما أنت مع كمبا فليس هناك ما يُقلِق".

فقال:

"بالتأكيد سوف أكون معها، أمي، هل أغلق لك النافذة؟".

فقالت:

"نعم، فلقد أصبح الجو باردًا".

ثم قام "جوباني" وأغلق النافذة، ونظَّف المكان بعد تناوُل الخبز وطبق الطماطم، ثم ارتدى الحذاء بهمَّةٍ، وقال لأمه:

"سوف أعود بعد ساعة ونصف".

ثم خرج من المنزل وكان الظلام قد حلَّ.

## 4. ليلة الاحتفال بكوكب قنطورس

نزل "جوباني" المنحدَر الذي كان شديد الظلمة بسبب وجود أشجار السرو وهو يصفر بفمه نغمةً توحي بشعوره بالوحدة والعزلة والحزن، وكان أسفل المنحدر مصباحٌ يضيء ضوءًا أزرق بقوة، ولقد كان ظل جوباني خلفه، وكان طويلًا مثل شكل العفريت، ثم تحوَّل الظل إلى الجانب حيث ظهر ظلُّ قدميه وهما ترتفعان، ويديْه وهما تتأرجحان بوضوح.

وبينما كان "جوباني" يقول لنفسه:

"أنا قاطرة ممتازة، هنا انحدار؛ ولذلك سوف أسير بسرعة، أنا الآن تخطَّيتُ مكان المصباح، سوف يتحوَّل ظلِّي إلى شكل بوصلة، لقد تغيَّر موضع خيالي من الخلف إلى الأمام".

كان يسير بخطوات واسعة تحت المصباح حيث تخطَّاه، وفجأة خرج "ظانيري" من طريقٍ مظلمٍ وضيق مواجه للمصباح، وكان يرتدي قميصًا جديدًا ذا ياقة واقفة، ثم مرَّ بجانب "جوباني"، ولكن في الاتجاه المضاد، فقال "جوباني":

"ظانيري، هل سوف تذهب لوضع المصباح المصنوع من أوراق نبات القرع في النهر؟".

ولم يكَد "جوباني" ينتهي من كلامه حتى صاح "ظانيري" من الخلف وكأنه يرمي بشيء حيث قال:

"جوباني، أكيد أن أباك سوف يُحضِر فرو قضاعة البحر".

فوجئ "جوباني" وشعر بصدمة من هذا الكلام، فقال بصوت عالٍ:

"ماذا تقول يا ظانيري؟".

حيث دخل منزلًا في الجهة المقابلة، أمامه أشجار جرداء.

فقال "جوباني" لنفسه وهو يسير في المدينة التي تزيَّنَت تمامًا بكثير من المصابيح وفروع الأشجار:

"لماذا قال لي ظانيري ذلك رغم أنني لم أفعل شيئًا سيئًا؟ ثم جرى واختبأ كالفأر! إن ظانيري أحمق؛ لأنه قال لي ذلك رغم أنني لم أفعل شيئًا سيئًا".

متجر الساعات مضاء بمصباح نيون، توجد بالمتجر عينٌ حمراء لبومة مصنوعة من الأحجار تلفُّ حول نفسها كل ثانية، وتوجد على مجموعة أحجار كريمة فوق قاعدة زجاجية ذات ألوان بحرية تدور ببطء مثل الكواكب، وفي الناحية المقابلة يوجد تمثال نحاسي بجسم حصان ورأس بشر يلتفُّ إلى ناحيتي ويأتي تجاهي، وفي الوسط توجد خارطة دائرية وسوداء ملحَقة بقائمة لمعرفة مواقع الكواكب، وتلك الخارطة مُزيَّنة بأوراق نبات الهليون الأزرق، ولقد نسي "جوباني" نفسه وغرق في تأمُّل الخارطة.

ولكن تلك الخارطة مقارنةً بالخارطة التي شاهدها في الفصل وقت الظهيرة، تعتبر صغيرة جدًّا، ولكن عندما تحدِّد اليوم والساعة وتدير قاعدة الخارطة تظهر لك كواكب ذلك الوقت في داخل مستطيل، وفي

منتصف ذلك المستطيل تظهر لك المجرَّات من أعلى إلى أسفل على هيئة سلاسل عليها غيوم وكأنها مُغطَّاة بالدخان، وأسفل تلك السلاسل تُرى انفجارات ضعيفة وبخار متصاعد، وخلف ذلك يوجد تلسكوب صغير بثلاثة أرجل يضيء لونًا أصفر، وعلى أبعد حائط عُلِّقَت خارطة كبيرة والكواكب فيها على شكل حيوانات غريبة وثعابين وأسماك وآنية، ثم وقفتُ شارد الفكر وقلتُ لنفسي: "هل فعلًا هناك عقارب وأبطال مثل هؤلاء بكثرة في الكواكب؟! أريد أن أذهب هناك وأمشي وأشاهد كل ذلك".

ثم تذكَّر "جوفاني" فجأة اللبن الذي يجب أن يُحضِره إلى أمِّه، فترك ذلك المتجر وانصرف، ورغم أنه يشعر بالضيق لأن كتف السُّترة ضيقة، إلا أنه فرد صدره وهزَّ يديه بقوة وسار في الشارع.

اندفع الهواء الصافي داخل الشوارع والمتاجر كاندفاع المياه، مصابيح الشوارع مُحاطة بفروع أشجار التِّنُّوب والبلوط، ويوجد كثير من مصابيح الشوارع بين أشجار الجميز الست الموجودة أمام شركة الكهرباء ومنظرها كمنظر مدينة حوريات البحر، وقد ارتدى جميع الأطفال ملابسَ جديدةً ويلعبون في سعادة، فيصَفِّرون بأفواههم أغاني الكواكب ويصيحون وهم يجرون:

"يا كوكب قنطورس، أسقِطْ علينا الندى".

ولكن "جوباني" في لحظةٍ نسي جوَّ المرح هذا وفكَّر في شيء مختلف تمامًا، فكَّر في أنه يجب أن يُسرِع بالذهاب إلى محل الألبان.

ووصل "جوباني" إلى نهاية الشارع حيث كان هناك كثير من أشجار الحور ترتفع شامخةً في السماء ذات النجوم، فدخل البوابة السوداء لمحل الألبان ووقف أمام معمل الألبان حيث كان المكان مظلمًا قليلًا وتفوح رائحة اللبن، فخلع "جوباني" قبَّعته وقال:

"مساء الخير".

فلم يسمع ردًّا على تحيته، وكأنه لا يوجد أحد في المحل، فصاح بصوت مرتفع:

"مساء الخير، لو سمحتم".

وبعد بُرهَةٍ خرجت سيدة عجوز تبدو في حالة صحية سيئة، وقالت له:

"هل لك حاجة أقضيها لك؟".

فقال بكل قوة:

"اللبن لم يأتِ إلينا اليوم، فحضرتُ لأخذه".

فقالت له وهي تدعك أسفل عينياها الحمراوين وتنظر إليه من أعلى إلى أسفل:

"لايوجد أحدٌ الآن، وأنا أعرف كيف أساعدك، احضِرْ غدًا".

فقال:

"لا أستطيع فعل ذلك، أمي مريضة ويجب أن تشرب اللبن الليلة".

فقالت له وهي على وشك الذهاب:

"إذن احضر بعد قليل".

فشكرها على ذلك، ثم انحنى احترامًا لها، ثم خرج من معمل اللبن.

وعندما كان ينحني عند مفترق طرق، وأمام متجر ناحية جسرٍ، قابلَ بعض الأشخاص الذين يرتدون قمصانًا بيضاء ولهم ظلال سوداء، وكان هؤلاء حوالي سبعة تلاميذ، وكانوا يُصَفِّرون بأفواههم ويتضاحكون، وكلٌّ منهم يمسك مصباحًا مصنوعًا من أوراق أشجار القرع، وكانت أصوات الضحكات هذه، والصفير بالفم هذا، كان قد سمعه قبل ذلك، وعندما دقَّق جيدًا اكتشف أن هؤلاء التلاميذ هم زملاؤه في

الفصل، فشعر بالمفاجأة وفكَّر في العودة إلى منزله، لكنه تراجع وقرَّر بقوَّةٍ أن يذهب ناحيتهم، وعندما وصل عندهم كان يريد أن يقول: "هل ستذهبون إلى النهر؟".

لكن صوته تحشرج قليلًا، فصاح ظانيري وقال:

"جوباني، أكيد أن أباك سوف يُحضِر فرو قضاعة البحر".

وصاح الجميع بعده مُردِّدين نفس الكلام؛ فاحمرَّ وجه "جوباني"، ولم يعرف ماذا يفعل ولا أين يذهب، وسارع بالمشي عكس اتجاههم، ولكنه انتبه إلى وجود "كمبا" بينهم، وبدا عليها أنها تعاطَفَت معه، فابتسَمَت قليلًا في صمت ونظرت تجاه "جوباني" وهي تشعر بالقلق أن يكون قد غضب من قول زملائهم هذا.

تجنَّب "جوباني" نظرات "كمبا" وكأنه لا يراها، رغم أنها طويلة القامة، وبعد ذلك مباشرةً قام كل من التلاميذ بالصفير بالفم، وعند ناصية الشارع نظر "جوباني" خلفه فشاهد "ظانيري" الذي كان ينظر إليه، وكانت "كمبا" تصفِّر عاليًا بفمها، وتسير ناحية الجسر الموجود في الناحية الأخرى، وشعر "جوباني" بالوحدة الشديدة، فجرى فجأة، ووضع التلاميذ أيديهم على آذانهم وقفزوا كلٌّ على ساقٍ واحدة وهم يرون أن "جوباني" إنسان غريب، وصاحوا على بعضهم بأن يتبعوه، ولكن في الحال أسرع "جوباني" في السير ناحية الهضبة السوداء.

## 5. عامود شعاع الشمس

خلف المراعي توجد هضبة ذات انحدار تدريجي، وتحت نجم الدب الأكبر الموجود في شمال السماء تجد قمَّة هذه الهضبة، وهي قمَّة سوداء مسطَّحة ومنخفضة وممتدَّة كثيرًا، فصعد "جوباني" الطريق الضيق المحاط بغابات يغطيها الندى إلى قمة تلك الهضبة،

ورغم أن الظلام يلفُّ الأعشاب، وكثيرًا من البوص الموجود في ذلك الطريق الضيق، إلا أن النجوم تضيء بضوئها الأبيض ذلك الطريق، وداخل الأعشاب توجد حشرات تُشِعُّ ضوءًا أزرق، فقال "جوباني" لنفسه:

"أكيد أن تلك الأضواء الزرقاء هي أضواء المصابيح المصنوعة من أوراق أشجار القرع".

وعندما عبر غابات أشجار الصنوبر وأشجار البلوط استطاع أن يرى السماء بكاملها، واستطاع أن يرى نهر السماء من الشمال إلى الجنوب بوضوح، واستطاع أن يرى أيضًا بوضوحٍ شواهدَ القبور الموجودة على قمَّة الهضبة، حيث توجد أزهار أشجار الجريس والأقحوان البري وتفوح رائحتها العَطِرة الجميلة كأنها تأتي من الأحلام، ومرَّ عصفور فوق أعلى الهضبة وهو يغرِّد.

ذهب "جوباني" أسفل عامود شعاع الشمس وألقى جسده بشدَّة على الأعشاب الباردة. مصابيح الشوارع أضاءت الظلام فجعلته واضحًا وضوح مناظر المعابد الموجودة في قاع البحر، ويمكن سماع صوت غناء الأطفال وصفيرهم بأفواههم وصراخهم، وصوت الرياح، وصوت اهتزاز أعشاب الهضبة، وأصبح عَرَق "جوباني" الذي تصبَّب على القميص عَرَقًا باردًا، ووقف "جوباني" ينظر من أطراف المدينة على الحقل البري الأسود الممتد على مرمى البصر.

ولقد تمَّ سماع صوت القطار يأتي من تلك الحقول، وهو قطار صغير ذو نوافذ صغيرة وحمراء، وفي داخله كثير من المسافرين، يقشِّرون تفاحًا ويضحكون، فشعر "جوباني" بالحزن الشديد ورفع وجهه إلى أعلى ينظر إلى السماء قال "جوباني" لنفسه:

"إن جميع النقاط البيضاء هذه نجوم، ولكن مهما دقَّقتُ النظر فإنني لا أعتقد أن تلك الكواكب واسعة وباردة كما قال الأستاذ في

حصة فترة الظهيرة، وكلَّما أُدقِّق النظر أجد أن مساحتها لن تزيد عن المراعي الطبيعية والغابات التي أمامي".

ثم رأى "جوباني" حوالي أربع نجوم زرقاء، كل منها على شكل قيثارة، وأرجل تبرز ثم تختفي، وأخيرًا تتمدَّد تلك النجوم وتصبح على شكل قُطر، ثم رأى مجموعة كبيرة من النجوم تكوِّن ما يشبه ضبابة كبيرة.

## 6. محطة فضاء المجرة

وشاهد "جوباني" عامود شعاع الشمس الذي خلفه يتحوَّل إلى برج نجوم، ويصبح كاليراعات، فيضيء ثم تختفي إضاءته، ثم لم تَعُد تتحرك الإضاءة، ووقف الشعاع في مراعي السماء الزرقاء مستقيمًا مثل لوح الفولاذ الأزرق الذي تمَّ صنعه الآن.

وفجأة سمع "جوباني" صوتًا عجيبًا يقول:

"محطَّة فضاء المجرَّة، محطَّة فضاء المجرَّة".

ثم تحوَّل المكان الذي أمام عينيه مِن مكانٍ مظلمٍ إلى مكانٍ مضيء، وكأن ملايين من حيوانات الحبَّار قد تحجَّرَت وهي تُخرج النار وغرقت في داخل السماء، أو كأنما ماسٌ كثير أمام عينيه، وذلك الماس لشركة أوهَمَت الناس بعدم استطاعتها استخراجه لارتفاع سعره، ولكنها كانت قد خبَّأته، فقام شخص بنثره هنا وهناك، وقام "جوباني" أكثر من مرة بدعك عينيه أكثر مرة ليتأكد إذا كان ما يراه حقيقة أم خيالًا.

انتبه "جوباني" إلى أنه منذ قليل كان يستقلُّ القطار الصغير، وأن هذا القطار الصغير يسير، وأنه يجلس على مقعد في عربة قطار فيها مصابيح مصطَّفة وذات إضاءة صفراء وأنه ينظر من نافذة القطار

إلى خارجه، يوجد داخل عربة القطار مقاعد من قماش من حرير دودة القَزِّ، والقطارُ خالٍ من الركاب، على الحائط المواجه والمدهون بورنيشٍ لونه رمادي زِرَّان كبيران من النحاس يلمعان.

ولقد لاحظ "جوباني" أنه توجد طفلة طويلة القامة تجلس في المقعد الذي أمامه ترتدي معطفًا أسود يبدو أنه مُبلَّل، وتُخرج رأسها من النافذة، فقال "جوباني" لنفسه وهو ينظر إلى ظهرها:

"أشعر أنني رأيتُ هذه الطفلة قبل ذلك".

وشعر برغبةٍ شديدة لمعرفة مَن تكون هذه الطفلة، فقرَّر إخراج رأسه من النافذة ليرى وجهها، لكن في اللحظة التي كان سوف يُخرج رأسه من النافذة أدخَلَت تلك الطفلة رأسَها من النافذة ونظَرَت تجاه "جوباني"، كانت تلك الطفلة "كمبا"، وكان "جوباني" على وشك أن يقول لـ"كمبا":

"هل أنتِ هنا منذ فترة طويلة؟".

ولكن "كمبا" قالت قبله:

"لقد جرى الجميع، ولكنهم تأخَّروا في اللحاق بالقطار، ولقد جرى ظانيري كثيرًا، ولكنه لم يستطع اللحاق بالقطار أيضًا".

فقال "جوباني" لنفسه:

إن هذا يعني دعوة لكي نخرج معًا".

ثم قال:

"هل هو ينتظرك في مكانٍ ما؟".

فقالت:

"لقد عاد ظانيري، فلقد جاء أبوه لأخذه".

ولكن وجهها أصبح شاحبًا وبدا عليها الإجهاد وهو تقول ذلك، وفجأة شعر "جوباني" بشعور غريب، شعر بأنه نسي شيئًا ما في مكانٍ ما فصمت.

ونظرت "كمبا" من النافذة إلى الخارج، فأصبحت في حالة مزاجية جيدة وقالت باهتمام:

"شيء مؤسف، لقد نسيت زمزمية الماء وكراسة الرسم، ولكن لا يهمُّ؛ فنحن على وشك الوصول إلى محطة البجع، فأنا أحب مشاهدة البجع".

ثم أخذت "كمبا" في مشاهدة الخارطة التي على شكل لوح دائري، وقالت:

"بالتأكيد سوف أرى البجع وهو يطير بعيدًا فوق النهر".

وداخل تلك الخارطة، خط سكة حديد واحدٌ موازٍ للشاطئ الأيسر لنهر السماء وممتدٌّ إلى الجنوب، والعظيم في هذه الخارطة أن فوق قاعدتها السوداء مثل الليل، يوجد كثير من محطات وقوف القطار، وأشكال هرمية ونافورات وغابات وألوان جميلة مثل الأزرق والبرتقالي والأخضر متناثرة هنا وهناك.

فقال "جوباني":

"مِن أين اشتريتَ هذه الخارطة؟، إنها مصنوعة من الزجاج البركاني".

فقالت:

"لقد حصلتُ عليها من محطة فضاء المجرَّة، ألم تحصل على واحدة؟".

فقال:

"لقد مررتُ على محطة فضاء المجرَّة، أليس كذلك؟ أليست المكان الذي نوجد فيه الآن؟ أليست هنا؟".

أشار "جوباني" إلى الشمال، حيث كانت هناك علامة تشير إلى محطة للقطار مكتوب عليها "محطة البجع"، ثم قال:

"لقد تذكَّرتُ، سوف يظهر القمر ليلًا على ضفة النهر؛ ولذلك سوف تكون ليلة قمرية".

ونظر هناك، فوجد على شاطئ المجرَّة المضيء بالأزرق العُشبَ الفضي اللون للسماء يهتزُّ بفعل الرياح، وتُسبِّب حركته حدوث أمواج، ثم قال "جوباني":

"إن الضوء لا يأتي من القمر، ولكنه يأتي من المجرة".

قال ذلك وهو يقفز فرحًا ويضرب بأقدامه الأرض ويخُرج رأسه من النافذة ويُصفر بفمه أغنية المجرة، ويقف على أطراف أصابعه ليرى مياه السماء، وفي البداية لم يستطع رؤية تلك المياه بوضوح، لكن تدريجيًّا انتبه إلى أن تلك المياه نقية جدًّا وأكثر نقاءً من الزجاج والهيدروچين، وعلى حسب قدرة العين على النظر، فلقد شاهد ذلك الماء يتحوَّل إلى أمواج صغيرة ذات لون أرجواني، ويتلألأ مثل قوس قزح، وينساب بسلاسة دون حدوث أصوات، كما انتشرت أبراج نجوم جميلة من الفسفور هنا وهناك، الأبراج البعيدة صغيرة، والأبراج القريبة كبيرة، البعيدة منها ذات ألوان برتقالية وصفراء، والقريبة منها تميل إلى اللون الأزرق، كذلك توجد أشكال أخرى مثل أشكال المربَّعات وشكل البرق أو السلاسل، وكلها أشكال تملأ المراعي إضاءة، شعر "جوباني" بالفرحة وهزَّ رأسه بقوة، فاهتزَّت الأبراج التي تضيء بألوان مختلفة، مثل البرتقالي والأزرق.

ثم قال "جوباني":

"لقد وصلت إلى مراعي الجنة".

وأخرج "جوباني" يده اليسرى من النافذة، مشيرًا إلى الأمام، وقال:

"وفوق ذلك فإن هذا القطار لا يتحرك بالفحم".

فقالت "كمبا":

"يتحرك بالكُحل أو الكهرباء".

وسار القطار الصغير الجميل بتثاقُلٍ وسط العشب الفضي للسماء، وفي ماء نهر السماء ووسط أبراج النجوم وإلى كل مكان، وقالت "كمبا"، وهي تشير إلى خارج نافذة القطار:

"زهرة نبات الچنطيانا تفتَّحَت، لقد أصبحنا في موسم الخريف".

وبجانب خط السكة الحديد توجد أعشاب قصيرة، وداخلها توجد زهور متفتحة لنباتات الچنطيانا، وتشبه سُلَيكات الألومنيوم التي عليها نقوش، وقال "جوباني" وقلبه يرقص فرحًا:

"هل أنزل من القطار فأقطف تلك الزهور ثم أرجع إلى القطار مرة أخرى؟".

فقالت "كمبا":

"إن الوقت متأخِّر لفعل ذلك، فلقد تخطَّى القطار تلك الزهور بمسافة كبيرة".

ولكنها قبل أن تنتهي من كلامها هذا، مرَّ القطار بمجموعة من تلك الزهور التي ملأت المكان إضاءةً، ثم ابتعد عنها، ومرَّت أمام أعين "جوباني" زهيراتٌ أسفلها زهور صفراء اللون وبداخلها زهور الچنطيانا بكثرة شديدة، وكانت تظهر كالينابيع أو تسقط كالأمطار، وكانت أبراج النجوم تضيء وكأنها نار حريق أو دخان يتصاعد.

## 7. الصليب الشمالي وشاطئ عصر حفريات العصور القديمة

قالت "كمبا" وهي تسعل سعالًا شديدًا وتتردَّد في الكلام:

"هل سوف تسامحني أمي؟".

فصمت "جوباني"، وقال لنفسه:

"لقد تذكَّرتُ أمي، فهي موجودة الآن في برج النجوم ذات اللون البرتقاليِّ الذي يوجد بعيدًا ولا بُدَّ أنها تفكِّر فيَّ".

قالت "كمبا" وهي تريد أن تبكي، ولكنها تكبح جماح مشاعرها بكل قوة حتى لا تبكي:

"إذا ما أصبَحَت أمي سعيدة فسوف تستطيع فعل كل شيء، ولكن ما هي الأشياء الأكثر إسعادًا بالنسبة لها؟".

فتعجَّب "جوباني" من كلامها، وصاح:

"لم يحدث لأمِّكِ شيء سيئ؟".

فقالت "كمبا"، بعد تفكير عميق:

"لا أعرف، ولكن إذا قام أي شخص بفعل الخير فيصبح سعيدًا؛ ولذلك فأنا أتوقع أن تسامحني أمي".

وفجأة صارت عربة القطار التي يستقلَّانها مُضاءةً من الداخل بإضاءة بيضاء، وفوق مجرى نهر المجرَّة اللامع الذي تجمَّع عليه كل شيء عظيم؛ مثل الماس وندى الأعشاب، كان الماء يجري دون شكل أو صوت، وفي وسط سريان الماء هذا، كانت هناك هالة تشير إلى وجود جزيرة، وكان فوق القمة المسطَّحة لتلك الجزيرة صليبٌ أبيض يجعل أيَّ عين تنتبه إليه، وهو صليب مصنوع من سحاب القطب الشمالي المتجمِّد، ويقف الصليب في خلود، ويضيء باللون الذهبي.

وسمع "جوباني" أشخاصًا في الأمام وفي الخلف يقولون:

"الشكر للرب، الشكر للرب".

وهم يقفون في صفوفٍ، ويرتدون الأرواب، ويضعون الكتب المقدسة على صدورهم، ويحمل كلٌّ منهم مسبحة من الكرستال، وكلٌّ منهم يضمُّ يديه بعضها إلى البعض في خشوع ويتجه إلى الصليب ويصلي، ودون أن يدري "جوباني" و "كمبا" وقفا في مواجهة الصليب، وكانت وجنة "كمبا" جميلة وتتلألأ مثل التفاحة الحمراء الناضجة اللامعة.

وتراجَعَت الجزيرة والصليب تدريجيًّا إلى الخلف بتقدُّم القطار إلى الأمام، الشاطئ المواجه يضيء أزرق، وأحيانًا ينقلب العشب الفضي بفعل الرياح، ويتطاير الدخان من اللون الذهبي وزهور نبات الچنطيانا تختفي بين الأعشاب أحيانًا وتظهر أحيانًا، وتبدو كنبات الفُطر الرقيق.

ولفترة قصيرة جدًّا ظهَرَت صفوف من الأعشاب الذهبية بين القطار والنهر، وظهرت جزيرة البجع مرة ثانية في الخلف بعد أن تقدَّم القطار، وفي وقت قليل أصبح منظر جزيرة البجع كلوحة صغيرة وبعيدة، وسمعنا صوت حركة العشب الفضي، ثم اختفى بعد ذلك تمامًا.

خلف "جوباني" كان يوجد راهب كاثوليكي طويل القامة يرتدي عباءة سوداء، لا يعرف "جوباني" متى ركب ذلك الراهب القطار، ولكنه كان ينظر إلى أسفل بعينه الخضراء، وكان يتمتم بكلمات أو أصوات، وكانت تَصِل إلى "جوباني" الذي كان يستمع إليها في خشوع، وعاد المسافرون إلى أماكنهم في هدوء، وكان من ضمنهم اثنان كانا يتبادلان الحديث بلغة أجنبية وهما يشعران بشعور حزين جدًّا.

قال أحدهم:

"نحن على وشك الوصول إلى محطة البجع".

فقال الآخر:

"موعد الوصول الساعة الحادية عشرة".

ومرَّت خارج النافذة، وبسرعة، إشارةٌ لونها أخضر وعامود أبيض، ومرَّ أسفل النافذة الضوء الذي أمام تحويلة السكة الحديد، وكان ذلك الضوء ضوءًا قاتمًا مثل ضوء اشتعال الكبريت، وقلَّت سرعة القطار تدريجيًّا، وظهرت صفوف مصابيح رصيف المحطة منتظمة وجميلة، وأصبح حجمها أكبر، والمسافة بينها أبعد، ووقف القطار على محطة البجع، بحيث أصبح "جوباني" و"كمبا" بالضبط أمام الساعة الكبيرة.

أشار عقربَا الساعة الزرقاء، والمصنوعان من الفولاذ، إلى الساعة الحادية عشرة، نزل جميع الركاب من عربة القطار، وأصبحت عربة القطار خالية تمامًا، وكان مكتوبًا تحت الساعة:

"مدة وقوف القطار على المحطة عشرون دقيقة".

فقال "جوباني":

"هيا ننزل من القطار".

فقالت "كمبا":

"نعم هيا ننزل".

قفز الاثنان من مكانهما واتجها إلى باب القطار حيث قفزا إلى رصيف المحطة، ثم ذهبا إلى باب الخروج من المحطة، وكان عند باب الخروج من المحطة مصباحٌ واحد يضيء لونًا أرجوانيًّا خفيفًا، ولم يكن هناك أي شخص، ولم يكن عند بوابة الخروج لا ناظر المحطة ولا شيَّال الحقائب.

وذهب الاثنان إلى ميدان صغير أمام الرصيف محاط بأشجار الچنكة، وكانت الأشجار تبدو وكأنها مصنوعة من الكرستال، ومن ذلك الميدان كان يوجد شارع مستقيم يمرُّ خلال الضوء الأزرق للمجرَّة.

ولا نعرف أين ذهب جميع ركاب القطار، سار الاثنان خلال طريق أبيض، وكان ظلُّ الاثنين مثل ظلِّ عامودين موجودين في حجرة بها نوافذ في الجهات الأربع، أو مثل عامودين لإطارات تَبرُز خارجةً عنها في الجهات الأربع، وبعد ذلك مباشرةً وصلا إلى ضفة النهر التي شاهداها من داخل القطار.

أخذت "كمبا" حفنةً من الرمال الجميلة ووضعتها في كفِّ يدها وتحسَّستها بأصابعها وقالت وكأنها تحلم:

"جميع هذه الرمال كرستال، وتشتعل داخلها نار صغيرة".

فقال "جوباني"، وهو يفكِّر:

"نعم، هذا صحيح، لقد درستُ ذلك، ولكن لا أعلم أين درستُه".

جميع حصى فضة النهر شفَّافة، كرستال وتوباز وأشياء خشِنة وأحجار أكسيد الألمونيوم الذي يُخرج من الجوانب ضوءًا أزرقَ مثل الضباب، فجرى "جوباني" ناحية الشاطئ ووضع يده في الماء، ولكن ماء المجرَّة غريب، وهو شفَّافٌ كذَرَّات هيدروچين، ولقد بدا أن أيدي "جوباني" و "كمبا" التي وضعاها في الماء حتى المعصم عامت على لون المجرَّة، والأمواج التي تكوَّنَت نتيجة اصطدام الماء بأيديهم تلوَّنَت إلى لون فسفوري جميل، وبدا أنها كما لو أنها كانت تشتعل.

وتوجد صخور بيضاء تحت الجرف المليء بالعشب الفضي، وتلك الصخور تصطفُّ موازيةً للنهر بشكل مستوٍ، ويوجد هناك حوالي خمسة أشخاص يحفرون ويردمون ويقومون وينحنون ويستخدمون أدوات تلمع أحيانًا.

وصاح "جوباني" و"كمبا" قائلين:

"هيا نذهب".

ثم جريا إلى هناك، وفي مدخل ذلك المكان ذي الصخور البيضاء، كانت هناك لافتة مكتوب عليها:

"شاطئ حفريات العصور القديمة".

وفي بعض الأماكن على الشاطئ كانت توجد حواجز رقيقة من الحديد ومقاعد خشبية جميلة.

وتوقَّفَت "كمبا" فجأة، وقالت:

"يوجد شيء غريب".

"ثمار الجوز، يوجد منها الكثير، لم تأتِ إلى هنا عائمة على المياه، بل هي موجودة داخل الصخور".

ثم قالت:

"هذه الثمرة كبيرة ضعف الأخريات حجمًا، وسليمة جدًّا".

ثم قالت:

"هيا نذهب هناك، أكيد أنهم يحفرون بحثًا عن شيء ما".

التقط "جوباني" و"كمبا" ثمار جوز سوداء واقتربا من مكان الحفريات، وفي شاطئ الناحية اليسرى كانت الأمواج تأتي مشتعلةً مثل الصواعق الضعيفة، وفي شاطئ الناحية اليمنى كانت تهتزُّ سنابل العشب الفضي التي تشبه القواقع والفضة.

وعندما اقتربا جدًّا من مكان الحفريات وجَدَا شخصًا طويل القامة، يرتدي نظارة طبية تقرِّب الأشياء، ويرتدي حذاءً طويلًا، كان يبدو عليه أنه عالِمٌ، وهو مُنهمِكٌ في كتابة ملاحظات في نوتة، ويحمل فأسًا، ويستخدم عدسة مكبِّرة، ويقوم بإعطاء تعليمات لثلاثة من مساعديه.

قال المعلِّم لمساعديه:

"احذروا أن تصيبوا ذلك المكان البارز، استخدِموا العدسة المكبِّرة، احفروا من بعيد، هذا خطأ، لماذا تحفرون بهذه الطريقة العنيفة؟".

وكان داخل هذه الصخرة البيضاء الناعمة عظام لحيوان أزرق ضخم، وكان ممَدَّدًا على جانبه ومهشَّمًا تمامًا، ولقد أمكن استخراج نصفه، وعندما نظرنا جيدًا، وجدنا الصخرة بها آثار لحوافر، وتمَّ تقسيمها إلى عشرة أجزاء، وتمَّ وضع رقم على كل جزء.

ثم اتجه العالم بنظره إلى "جوباني" و"كمبا"، وقال:

"أنتما جئتما لزيارة المكان والمشاهدة، أليس كذلك؟".

ثم قال:

"يوجد كثير من ثمار الجوز، إنها ثمار مضى عليها مليون ومائتا ألف عام، إنها حديثة جدًّا، وكان هذا المكان منذ مليون ومائتي ألف عام شاطئًا لبحر، وتوجد قواقع في باطن الأرض هنا، والآن هذا المكان مجرى لنهر، ولكن لا يتمُّ الحصول على مياه مالحة من مجرى النهر هذا، وهذا الحيوان هو جَدُّ البقر الحالي، وكان قديمًا موجودًا بكثرة".

ثم قال لمساعديه:

"لا تستخدموا المعول هناك، استخدِموا البَلطَة بحرص وهدوء".

فسأله "جوباني":

"هل سوف تستخدم هذا الحيوان للعرض في متحف؟".

فقال العالِم:

"لا، نحن نحتاجه كدليل إثبات، فنحن نعتقد أن هذه الطبقة الأرضية السميكة موجودة منذ مليون ومائتي ألف عام، وهذا الحيوان دليلٌ على ذلك، ولكن البعض لا يعتقد ذلك، هل فهمته؟".

ثم قال لمساعديه وهو يجري ناحيتهم:

"لا يمكن استخدام العدسة المكبِّرة هنا؛ ففي الأسفل يوجد ضلوع مدفونة، أليس كذلك؟".

فقالت "كمبا" وهي تنظر إلى الخارطة وساعة المعصم:

"حان وقت الرجوع للقطار، هيا نذهب".

فانحنى "جوباني" في أدب إلى العالِم، وقال:

"شكرًا، نحن مُضطرَّان إلى مغادرة المكان".

فقال العالِم وهو مشغول، ويتنقَّل من مكان لآخر للإشراف على الحفريات:

"إذن مع السلامة".

ثم جرى كلٌّ من "جوباني" و"كمبا" بكل سرعة فوق تلك الصخرة البيضاء حتى لا يتأخَّرَا عن موعد تحرُّك القطار، فلقد جريا مثل الرياح ولم يشعُرَا بالتعب ولا شعرَا بسخونة في الأقدام من أثر الجري.

فقال "جوباني" لنفسه:

"إذا كنَّا نجري ولا نشعر بتعبٍ هكذا فيمكن أن نجري حول العالم كله".

مرَّ الاثنان على شاطئ النهر مرة أخرى، ثم اقتربا من مصابيح مدخل المحطة، فأصبحت المصابيح كبيرة، ثم ذهبا في الحال إلى نفس الأماكن التي كانا يجلسان فيها، فجلسا فيها ونظرَا من النافذة تجاه المكان الذي ذهبا إليه منذ قليل.

## 8. صائد الطيور

سمع "جوباني" و "كمبا" صوت شاب يأتي من خلفهما، ويقول في رقَّةٍ:

"هل تسمحان لي بالجلوس هنا؟".

كان ذلك شخص يلبس معطفًا أحمر قديمًا بعض الشيء، ويحمل متاعين ملفوفين بقماش أبيض، ويحمل ذلك على كتفه، وهو ذو لحية حمراء ومنحني الظهر، فقال "جوباني" محيِّيًا إيَّاه بانحناءة كتف خفيفة:

"نعم، تفضَّل".

فابتسم ذلك الشخص ابتسامة خفيفة، ووضع أمتعته على رفِّ الأمتعة، وكان "جوباني" يشعر بوحدة شديدة وبحزن شديد، ونظر "جوباني" إلى ساعة المحطة التي أمامه، فسمع صوتًا من صافرة بعيدة تبدو مصنوعةً من الزجاج، وإذا بالقطار قد تحرَّك، وكانت "كمبا" تنظر سقف القطار، فلاحَظَت وجود خنفساء واقفة، وأن لها ظلًّا كبيرًا على سقف القطار، وكان الرجل ذو اللحية الحمراء ينظر إلى "جوباني" و"كمبا" وهو يبتسم وكأنه يتذكَّر شيئًا ما، وأصبح القطار يسير بسرعة كبيرة، وظهرت من النافذة أضواء العشب الفضي والنهر بالتناوُب.

فقال الشخص ذو اللحية الحمراء في تردُّد:

"إلى أين تذهبان؟".

فأجاب "جوباني" بشيء من الضيق:

"نذهب إلى كل مكان".

فقال ذلك الشخص:

"هذا رائع، فهذا القطار يذهب إلى كل الأماكن".

وفجأة قالت "كمبا" وكأنها تتشاجر:

"وأنتَ أين تذهب؟".

فضحك "جوباني" ونظر شخصًا كان يجلس في المقعد المقابل ويرتدي قُبَّعةً ويعلِّق مفتاحًا كبيرًا على خصره ناحية "كمبا" وضحك، ولكن ذلك الشخص ذو اللحية الحمراء لم يغضب، بل أجاب وهو يحرك وجنتيه:

"أنا سوف أغادر القطار في المحطة القادمة، فأنا صائد طيور".

فقال "جوباني":

"أي طيور تصطاد؟".

فقال الصياد:

"طائر الكركي وطائر الإوزِّ، وطائر البلشون، وطائر البجع".

فقال "جوباني":

"وهل يوجد كثير من طائر الكركي؟".

فقال الصياد:

"نعم، يوجد الكثير، لقد كان يغرد منذ قليل، ألم تسمع تغريده؟".

فقال "جوباني":

"لا".

فقال الصياد:

"إنه يغرِّد الآن، ألا تسمع تغريده؟ أنصِتْ جيِّدًا، فسوف تسمع تغريده".

فرفع "جوباني" و"كمبا" أعينهما إلى أعلى وأنصتا جيدًا، فسمعا صوت صفير حركة القطار وصوت الرياح التي تهبُّ على العشب الفضي، وبين هذا الصوت وذاك سمعا صوتًا كصوت مياه تخرج من الينابيع، فقالت "كمبا":

"إنه صوت طائر الكركي، ولكن لماذا تصطاده؟".

فقال:

"هل تقصد طائر الكركي أم طائر البلشون؟".

كان "جوباني" يقصد الاثنين، ولكنه قال:

"طائر الكركي".

فقال الصياد:

"إن صيده سهل، فقبل أن يصل إليَّ ليقف على أرض الشاطئ يمكن الإمساك به، وعند ذلك يلتفُّ حول نفسه ويموت، وبعد ذلك كما تعلمون يتمُّ تجفيفه".

فقال "جوباني":

"هل يتمُّ تجفيفه؟ هل ذلك من أجل أن يكون نموذجًا يتمُّ عرضه في المتاحف؟".

فقال الصياد:

"لا، بل يتمُّ تجفيفه من أجل تناوله كطعام".

فقالت "كمبا" وهي تهزُّ رأسها دليلًا على التَّعجُّب:

" هذا غريب".

فقال الصياد:

"هذا ليس غريبًا، ولا شيء يدعو إلى الشك والريبة".

ثم وقف الرجل، وأنزل من على الرَّفِّ لفافةً، وفتحها، وقال:

"انظرَا، لقد اصطدته منذ قليل".

فصرخ "جوباني" و"كمبا" وقالا:

"فعلا هذا كركي".

كانت ألوانها شديدة البياض وتلمع مثل الصليب الأبيض الذي رآه كلاهما منذ قليل، عشرة طيور مصفوفة وأرجلها قصيرة.

تحسَّسَت "كمبا" بأصابعها أعين الكركي البيضاء، والتي كانت على شكل هلال، وقالت:

"أعين الكركي مغلقة".

وكان أعلى أعينها حواجب بيضاء مثل الرماح.

فقال الصياد وهو يلفُّها مرة أخرى بالمنديل الكبير ويربطه بحبل:

"نعم، هو كذلك".

فسأل "جوباني" وهو يقول لنفسه: "هل يوجد هنا مَن يأكل الكركي؟":

"هل الكركي لذيذ الطعم؟".

فقال الصياد:

"نعم، فكل يوم يوجد مَن يشتريه، ولكن الإوز يُباع أكثر منه؛ فشكلُه أفضل، ولا يحتاج طهيُه إلى مجهود كبير".

ثم فتح الصياح لفَّةً أخرى، وكان بداخلها إوزٌّ مُنقَّط بألوان صفراء وزرقاء، ويلمع ويشِعُّ ضوءًا، وكان منقار كل منهم بجانب الآخر في صفوف مثل الكركي، ثم قال:

"الإوز يمكن أكله الآن، تفضَّلوا كلوا".

ثم قام الصياد بجذب ساق طائر إوز أصفر اللون، فانفصلت الساق بسهولة وكأنها مصنوعة من الشيكولاته، ثم قال:

"جرِّبوا أكلها".

ثم قام بقسم الساق قسمين، وأعطى كُلًّا منهما جزءًا، فأكل "جوباني" وقال لنفسه وهو يأكل الإوز:

"ما هذا؟ إنها شيكولاته، بل لذيذة أكثر من الشيكولاته، هل هذه الإوزة كانت تطير فعلًا! هذا الصياد ليس هو إلَّا حلوانيًّا له متجر حلوى على شاطئ النهر، ولكن من المؤسف أنني كنت أهينه رغم أنني أتناول طعامه".

ثم أخرج الصياد لفَّةً أخرى، وقال لـ"جوباني"، الذي بدا عليه أنه يريد تناول المزيد من الإوز:

"تفضَّل بتناول المزيد".

فقال "جوباني":

"نعم، شكرًا".

ورفض تناول المزيد خجلًا، فإذا بالصياد يقدِّم الإوز إلى الشخص الذي يجلس في المقعد المقابل ويحمل مفتاحًا، فخلع ذلك الشخص قبَّعته، وقال:

"رغم أن هذا في الأصل للبيع، لكني سوف أتناوله لأنه هدية منك، وليس من الأدب رفضها".

ثم قال الصياد:

"لا شكر على واجب، وكيف حال الطيور المهاجرة هذا العام؟".

فقال الرجل:

"إن لحمه لذيذ، وما حدث بالأمس أنه أثناء قيامي بالعمل في النوبة الثانية بالمنارة جاءتني مكالمات هاتفية كثيرة تشكو من تقطُّع ضوء المنارة، ولقد كان من المفترض أن توجِّهوا تلك الشكاوى إلى تلك الطيور البغيضة وليس لي أنا، نعم، فقد كانت تلك الطيور تطير في أسراب كثيفة فتعترض مسار ضوء المنارة، ولقد صِحتُ في مَن اشتكوا لي بالهاتف أن يوجِّهوا شكواهم تلك إلى قائد تلك الأسراب ذات الجسم النحيل والمنقار والأجنحة الطويلة؛ فهو المسؤول عن حجب ضوء المنارة".

ثم ضحك، ولم يَعُد العشب الفضي موجودًا، فوصل لنا الضوء من شاطئ النهر المقابل، وسألتْ "كمبا" سؤالًا كانت تريد طرحه من مدة:

"لماذا الكركي يسبب التعب؟".

فالتفت الصياد ناحيتها، وقال:

" متعِب عند إعداده للأكل".

ثم أضاف:

"عندما نأخذه من مياه نهر السماء يجب وضعه في الشمس عشرة أيام، وإذا لم نفعل ذلك فيجب دفنه في الرمال لمدة أربعة أيام، فيتبخر الزئبق وبعد ذلك ممكن أكله".

ثم قالت "كمبا" ويبدو عليها أنها كانت تفكِّر فيما فكَّر فيه "جوباني":

"ما أكلناه الآن ليس طائرًا، ولكن حلوى، أليس كذلك؟".

فقال الصَّيَّاد وهو في عجلة من أمره:

"نعم، هو كذلك، يجب أن أنزل من القطار هنا".

ثم أخذ متاعه بسرعةٍ واختفى.

فقالت "كمبا":

"أين ذهب؟".

ثم نظر كلٌّ من "جوباني" و "كمْبا" إلى بعضهما البعض، فضحك حارس المنارة، ثم مدَّ قامته ونظر من خارج النافذة التي بجانب الاثنين، وكذلك نظر الاثنان من النافذة، فإذا الصياح يخرج منه ضوء فسفوري جميل من اللون الأزرق والأصفر، فقالت "كمبا":

"إنه هناك، شيء غريب جدًّا، بالتأكيد سوف يصطاد طيورًا أخرى، سوف يكون محظوظًا إذا استطاع صيد الطيور قبل أن يتحرك القطار".

وقف فوق الأعشاب بوجهٍ ذي ملامح جادَّة وهو يفرد ذراعيه وينظر إلى السماء، وفي تلك اللحظة جاءت الطيور من السماء ذات لون زهرة البالون بكثرة، وكأن السماء تمطر ثلوجًا، فشعر الصياد بالسعادة والرضا لحصوله على الطيور التي أرادها، ووقف فاتحًا ساقيه بالضبط على ستين درجة، وأخذ في الإمساك بالأرجل السوداء للطيور التي تهبط واحدًا تلو الآخر، ثم يضعها في حقيبة قماشية، وداخل الحقيبة تضيء الطيور وينطفئ ضوؤها مثل اليراعات، ثم في الناحية تصبح بيضاء، ثم تغلق عيونها، وعدد الطيور التي لا يصطادها وتهبط فوق رمال نهر السماء أكثر من عدد الطيور التي يصطادها بكثير، وفي وقت هبوط الطيور على اليابسة كانت تنكمش وتستوي بالضبط مثل الثلوج التي تذوب، وكانت تتمدَّد فوق الرمال والحصى مثل سائل النحاس الذي خرج من فرن صهرٍ، وبعد ذلك بقليل يلتصق الطائر بالرمال ثم يضيء وينطفئ عدة مرات، ثم يتلوَّن بلون البيئة المحيطة به.

وضع الصياد عشرين طائرًا في الحقيبة، وفجأة رفع يدَه ثم أصبح شكله شكل الجندي الذي أصابته رصاصة فمات، ثم اختفى الصياد، وفجأةً سمع "جوباني" صوتًا سبق أن سمعه يقول:

"صيد جيد، ليس هناك أفضل من المكسب".

وإذا بهذا الصوت صوت الصياد الذي جاء بطيوره التي اصطادها ويقوم بترتيبها.

فقال "جوباني" وهو يشعر بالدهشة:

"لماذا حضرتَ من هناك إلى هنا؟".

فقال الصياد:

"حضرتُ لأني أردت أن أحضر، من أين حضرتم أنتم؟".

ففكَّر "جوباني" في إجابة ذلك السؤال، ولكنه لم يكن يفكر في المكان الذي جاءَا منه، واحمرَّ وجه "كمبا" وكأنها تذكَّرَت شيئًا ما.

ثم قال الصياد وهو يهزُّ رأسه وكأنه يتفهَّم شعورهما:

"حضرتما مِن بعيد... أليس كذلك؟".

## 9. تذكرة جوباني

"إلى هنا تنتهي منطقة البجع، انظر، هذا هو مرصد ألبريو المشهور".

وفي خارج النافذة أشاهد نهر السماء والذي يبدو وكأنه مليء بالألعاب النارية، ويوجد في منتصف الدرب أربعة مبانٍ كبيرة وسوداء، وعلى أحد الأسطح المستوية لأحد تلك المباني توجد كُرتان كبيرتان شفافتان من الياقوت الأزرق والتوباز الأصفر تدوران بهدوء في شكل دائري، كلٌّ منهما وراء الأخرى، ثم ذهبت الصفراء رويدًا رويدًا ناحية

هناك، وجاءت الزرقاء ناحية هنا، ثم فجأةً أصبحت حافتاهما فوق بعضهما وكوَّنتا عدسةً محدَّبة ذات لون أخضر جميل لكل الجانبين، ثمَّ بالتدريج انتفخ وسطُ العدسة وجاء الياقوتُ الأزرق أمام التوباز فكوَّنا حلقةً وسطُها أخضر وأصفر يُشعُّ بهجةً، ثم ذهبتا إلى أحد الأركان، ثم قامتا بتكوين عدسة مثلما سبق، ثم بعد مدةٍ انفصلتا، ورجعت الكرة الياقوت الزرقاء هناك، ورجعت الكرة الصفراء هنا كما كانتا قبل ذلك، ويحيط بالمجرَّة ماء ليس له شكلٌ ولا صوت، وفي الواقع إن محطة الأرصاد السوداء هذه، تبدو هادئة جدًّا وكأنها نائمة، وفجأة قال صياد الطيور:

"انظر، هذه آلةٌ لقياس سرعة المياه، و...".

وحينئذٍ ظهر مفتش التذاكر، وهو رجل طويل يرتدي قبعة حمراء، ووقف بجانبنا نحن الثلاثة وقال:

"لو سمحتكم، أريد رؤية تذاكركم".

صمت صائد الطيور وأخرج من جيبه ورقة صغيرة، فنظر إليها المفتش قليلًا، ثم اتجه بنظره ناحيتي وأشار بإصبعه إلى "جوباني" وقال:

"وأنتما؟".

تململ "جوباني"، وكان على وشك أن يقول "لا أعرف أين التذكرة"، ولكن "كمبا" أخرَجَت تذكرةً صغيرة رمادية اللون دون أن يتوقَّع أحدٌ أن تفعل ذلك، ثم قام "جوباني" مسرعًا بوضع يده في الجيب الأعلى لسترته؛ لرُبَّما يجد التذكرة، فوجد ورقةً كبيرة مطويَّة، وتعجَّب من وجود تلك الورقة في جيبه، فأخرجها بسرعة، وكانت ورقةً كبيرة خضراء في حجم كارت البوستال ومَطويَّة أربع مرات، وكانت يد المفتش ممدودةً في انتظار أي تذكرة، وكأنه يقول: "أريد رؤية أي تذكرة بسرعة"، وعندما شاهد المفتش الورقة التي أخرجها "جوباني" وقف

منتصبًا، وفتحها بأدب، وأصبح زيَّه ثم قرأها، وكان حارس المنارة ينظر من أسفل باهتمام شديد إلى تلك التذكرة، واعتقد "جوباني" أن تلك الورقة بطاقة إثبات شخصية أو شيء مثلها، فشعر بالتأثر، ثم قال المفتش:

"هل أحضرتَ هذه الورقة من الأرض؟".

فنظر "جوباني" إليه، وضحك مندهشًا من السؤال، وشعر بالطمأنينة، وقال:

"لا أفهم ماذا تقول".

ثم ردَّ المفتش التذكرة إلى "جوباني"، وقال له:

"تمام... عندما نصل إلى الصليب الجنوبي نكون قد أصبحنا في الزمن الثالث".

انتظرت "كمبا" بفارغ الصبر أن تعود تلك الورقة إلى يد "جوباني"، فنظرت فيها بتفحُّص، وقد كان "جوباني" أيضًا يريد أن يقرأها بسرعة، وكان أحد وجهَيْ تلك الورقة على شكل أرابسك، وكان مطبوعًا في وسط ذلك الشكل صليبٌ غريب الشكل، ونظرت "كمبا" في صمت إلى ذلك الشكل وكأنه جذبها إلى داخله، وفجأةً نظر صياد الطيور من الجانب إلى تلك الورقة ثم قال بسرعة:

"ما هذا؟ إنها تذكرة عظيمة، تستطيع أن تذهب بها إلى أي مكان مهما كان بعيدًا، إلى السماء إن شئت، تستطيع أن تذهب بها إلى أي مكان تريده دون أن يمنعك أحد، تستطيع بهذا القطار الخيالي المتجه إلى المجرَّة الرابعة أن تذهب إلى أي مكان، إنكم عظماء".

ثم نظرَت "كمبا" إلى الشاطئ المواجِه لها، والذي عليه ثلاث إشارات صغيرات زرقاء، وقارنتها بالخارطة، ثم قالت:

"لقد حان موعد وصولنا إلى محطة النسور".

ورغم أن "جوباني" عرف صائدَ الطيور منذ وقت قصير إلا أنه شعر بالشفقة عليه لدرجة كبيرة، يشعر بالراحة عندما يسمعه، يقول إنه سعيد أنه استطاع اصطياد البلشون، ثم لفَّه في قماشة بيضاء، ويمدح بسرعة عندما ينظر إلى التذكرة، وعندما يفكر في جميع هذه الأشياء، يشعر "جوباني" أنه يريد أن يعطي ذلك الصياد الذي لا يعرفه كلَّ ما معه، سواء كان طعامًا أو أشياء، وأنه مستعدٌّ أن يقف مائة عام متواصلة على شاطئ نهر السماء الذي يضيء إذا كان ذلك سوف يجعل ذلك الصياد سعيدًا، وشعر "جوباني" أنه لا يستطيع عدم قول ذلك أكثر من هذا، وكان على وشك أن يقول للصياد: ماذا تريد بالضبط؟ فالتفت ناحية الصياد فجأةً وهو يفكر أن يقول له ذلك لكنه لم يجده، ونظر إلى رفِّ الأمتعة فلم يجد أمتعة الصياد ذات اللون الأبيض، فنظر خارج النافذة بسرعة ربما يرى الصياد يفتح أرجله وينظر إلى أعلى استعدادًا لصيد البلشوف، لكن كانت هناك رمالٌ جميلة وكثيرة من الأعشاب البيضاء، ولم يرَ الصياد ذا الظهر العريض والقبَّعة الحادة.

فقالت "كمبا" وهي شاردة الفكر:

"أين ذهب الصياد؟".

فقال "جوباني":

"نعم، أين ذهب؟، ولكن بالتأكيد سوف نقابله بعد ذلك في مكانٍ ما، فأنا لم أتحدث إليه إلا قليلًا".

قالت "كمبا":

"نعم، أنت لم تتحدث إليه كثيرًا".

فشعر "جوباني" بشعور غريب لم يشعر به من قبل، وقال ما لم يَقُله قبل ذلك:

"لقد شعرتُ بضيقٍ شديد مِن وجود ذلك الصياد".

ثم نظرت "كمبا" حولها نظرات غريبة، وقالت:

"لقد شممتُ رائحة تفاح، هل ذلك لأنني كنت أفكر في تناوله!".

فقال "جوباني":

"حقًّا، إنها رائحة تفاح".

ثم نظر حوله، لكن الرائحة كانت تأتي أيضًا عبر النافذة، ولكنه قال لنفسه: "كيف يحدث هذا ونحن في موسم الخريف الذي هو ليس موسم التفاح".

وفجأة شاهدت طفلًا في السادسة من عمره، ذا شَعر أسود لامع، يرتدي سترة حمراء ولكنه ترك أزرارها مفتوحة، وعلى وجهه علامات الدهشة الشديدة، ويرتعد بشدة، ويقف بجانبه ممسكًا بيده شابٌّ طويلٌ يرتدي ملابس سوداء وكأنه شجرة زيلكوفا في مهبِّ الريح، وتقف خلف الشاب فتاة جميلة في الحادية عشرة، عيناها عسليَّتا اللون، وترتدي معطفًا أسود، وتستند على ذراع الشاب وتنظر خارج النافذة.

وحينئذ قال الشاب الذي يرتدي ملابسَ سوداء إلى الفتاة الصغيرة:

"نحن في منطقة رنكشيا، لا... نحن في محافظة كونكت كات، لا... نحن قد وصلنا إلى السماء، وفي طريقنا إلى الجنة! انظري، هذه العلامة الموجودة هناك تشير إلى أن الجنة هناك، لا يوجد ما يجعلكِ تخشين أيَّ شيء على الإطلاق، حيث إن الإله دعانا للحضور إلى حضرته".

ومع ذلك فإن "جوباني" الإرهاق الشديد كان يبدو عليه، وبَدَت على وجهه تجاعيد غائرة، وقد ابتسم ابتسامةً تختلط بالتعب، وأجلس الطفلَ بجانبه.

أشارت "كمبا" إلى الفتاة لكي تجلس بجانبها، فاستجابت الفتاة لذلك، وجلَسَت، واضعةً يديها إحداهما فوق الأخرى في أدب.

وجلس الولد، ثم نظر إلى حارس المنارة، وقال له:

"أنا ذاهب إلى أختي الكبيرة".

ولم ينطق الشاب بكلمة، بل نظر بوجهٍ حزين إلى ذلك الولد، حيث كان شَعره متجعِّدًا ومُبلَّلًا، وفجأة وضعت الفتاة يديها على وجهها وانهمرت في البكاء.

"بابا وأختك الكبيرة ما زالا يعملان، ولكنهما سوف يحضران بعد قليل، ولكن الأهم من ذلك أن ماما تنتظرك بفارغ الصبر منذ مدة كبيرة، وتسأل نفسها ما الأغاني التي يغنيها ابني طاضاشي؟، هل في صباح يوم سقوط الثلوج تضع يدك في أيدي الآخرين وتدور حول أيكة نباتات البلسان؟ ماما قَلِقة وتنتظر؛ ولذلك سنذهب بسرعة لمقابلتها".

"نعم، ولكن كان من الأفضل لي ألَّا أركب السفينة".

"نعم، ولكن انظر، ما رأيك في السماء؟ في ذلك الدرب، وفي الصيف، كنت تغني أغنية النجوم تومض وأنتَ تنام، وكنت ترى تلك النجوم من النافذة بيضاء، انظر هناك تجد تلك النجوم، أليست جميلة! إنها تضيء بشدة".

وكانت الأخت الكبرى تبكي، فمسحت عينيها بالمنديل، وقال الشاب لأخته الكبرى وأخيه الأصغر وكأنه يعلِّمهما:

"نحن لا نشعر بأي حزنٍ أبدًا، وسوف نذهب إلى حضرة الإله بعد قليل، حيث يوجد هناك كثير من الأشخاص العظماء الذين تعمُّ عليهم البهجة ولهم رائحة عطرة، وأكيد أن مَن ركبوا القارب بدلًا عنَّا قد نجوا، وسوف نذهب إلى منزل بابا وماما المحترمين؛ حيث إنهما

ينتظران بفارغ الصبر، ولقد قاربنا على الوصول، فنتشجَّع ونغني أغاني جميلة".

قام الشاب بمسح الشعر الأسود المبلل لرأس الولد، وقام بمواساة الجميع، وأصبح وجهه بشوشًا تدريجيًّا.

ثم سأل حارس المنارة الشابَّ، راغبًا أن يعرف حكايتهم بالتفصيل:

"من أين أتيتم؟ وما حكايتكم؟".

فابتسم الشاب، وقال:

"كما تعلم، فإن السفينة اصطدمت بجبلٍ ثلجيٍّ، وعاد والد هؤلاء الأطفال إلى بلدته في زيارة قصيرة بسبب ظروف طارئة، وخرجا في هذه الرحلة بعد ذلك، ولقد التحقتُ أنا بالجامعة، وقمت بتدريس الدروس الخصوصية، وبعد مرور عشرين يومًا، أي أمس أو اليوم، اصطدَمَت السفنية بجبل ثلجي، فمالت مرة واحدة، ثم غرق جانب منها، وكانت هناك غيوم حول القمر، فقد كان الضباب كثيفًا جدًّا، ولم يستطع جميع الركاب ركوب قارب النجاة؛ لكثرتهم، ولوجود مشكلة في القارب، ثم بعد قليل غرقت السفينة تمامًا، فصرختُ في الجميع وقلت لهم أن ينقذوا الأطفال الصغار، وذلك بأن يسمحوا لهم بركوب القارب، فقام الأشخاص القريبون من الأطفال بإفساح الطريق لهم لكي يذهبوا إلى القارب، وتمنَّوا النجاة لهم، لكن المسافة من مكان وجود الأطفال إلى القارب كانت كبيرة، كما أنه لم يكُن عند الأطفال وآبائهم الشجاعة الكافية ليدفعوا الآخرين فيفسحوا للأطفال طريقًا لكي يستطيعوا الوصول إلى القارب، فشعرتُ أنه من واجبي أن أنقذ هؤلاء الأطفال، وكنت على وشك دفع الآخرين لكي أفسح لهم طريقًا للوصول إلى القارب، ولكني شعرت أن الحل الوحيد لإنقاذهم وجلب السرور لهم هو أن ينجِّيهم الإله، ولكني فكَّرتُ ألَّا أتركهم لقدَر الله، فأحملهم على ظهري لكي أنقذهم، حيث إنه كان من الصعب عليَّ أن

أراهم هكذا دون فعل شيء، ولقد كان منظر الأمهات وهم يعطونني أولادهم لكي آخذهم إلى القارب كالمجانين، ومنظر الآباء وهو يقبِّلون أبناءهم مُحزِنًا جدًّا، وظلوا واقفين ينظرون إلى أبنائهم، وذلك كان يفطر القلب، وبدأت السفينة في الغرق رويدًا ورويدًا، فحضنتُ هذين الطفلين وانتظرتُ أن تغرق السفينة فأحملهما وأسبح قدر المستطاع، وفجأة ألقى لي شخصٌ ما طوقَ نجاة، لكنه انزلق من يدي وسبح بعيدًا، فاجتهدتُ بشدَّة في أن أمسك أنا والطفلان لوحًا خشبيًّا من سطح السفينة، وفجأة سمعتُ أصواتًا لعدد من الأشخاص، وبعد قليل سمعتُ ترتيلًا بلغات مختلفة، وفي تلك اللحظة سمعتُ صوتًا عاليًا، وبينما كنت أغرق بفعل دوامةٍ تجذبني إلى أسفل، وجدت أشخاصًا ينتشلونني، ووجدت نفسي هنا، وأمُّ هذين الطفلين ماتت العام الماضي، أكيد أن القارب لم يغرق، ولقد جدَّف البحَّارةُ المَهَرَة فابتعدوا بسهولة عن السفينة التي كانت تغرق".

وحينذاك سُمِعَت أصوات صلوات واحمرَّت عينا "كمبا" و "جوباني"، حيث تذكَّرا أشياء كثيرة كانا قد نسياها.

فأحنى "جوباني" رأسه حزنًا وقال لنفسه:

"إن المكان الذي غرقت فيه السفينة هو المحيط الباسفيكي، وقد كان الجبل الثلجي يسير في الناحية الشمالية للمحيط، وكان هناك شخصٌ ما يركب سفينة صغيرة ويصارع الرياح ومياه المحيط الثلجية والبردَ القارس بكل ما أوتي من قوة".

فقال حارس المنارة مواسيًا الشاب:

"أنا لا أعرف أين السعادة، ولكن عندما نسير في الطريق الصحيح، تُقابِلنا مصاعب، ومهما كانت درجة تلك المصاعب وما تُسبِّبه من شعور بالألم، فإن السير في ذلك الطريق وتحمُّل مصاعبه يقرِّبنا تدريجيًّا من السعادة".

فقال الشاب بإيمان:

"نعم هو كذلك، ولكن الصعوبات التي نواجهها من أجل الوصول إلى أعلى مراتب السعادة قَدرٌ يجب تحمُّله".

كانت الفتاة وأخوها الأصغر يشعران بتعب شديد؛ فاستلقيا على المقعد وناما نومًا عميقًا.

سار القطار بسرعة على نهر السماء ذي الضوء الفسفوري الجميل، ونظرنا من نافذة الناحية المقابلة للقطار فشاهدنا مئات وآلافًا من الأبراج ذات الشكل الهرمي، منها الكبير والصغير، وشاهدنا أعلام الموزازين المنقَّطة باللون الأحمر موضوعة على الكبير منها، وعلى حافة المراعي يوجد من الأعلام الكثير جدًّا، وكأنها الضباب الأزرق، ويوجد على بُعدٍ دخانٌ ذو أشكال كثيرة، ولكنها غير محدَّدة بدقَّة، ويتصاعد ذلك الدخان باستمرار إلى السماء ذات لون زهرة الكريز، وهناك رياح ذات رائحة جميلة، إنها رائحة الورد.

وقال حارس المنارة الذي يجلس في الناحية الأخرى ويضع تفاحًا كبيرًا ذا لون ذهبي وأحمر، جميلًا، فيه تَناسُق بين اللونين، على ركبتيه، ويمسكه بيديه حتى لا يسقط:

"ما رأيك في التفاح؟، أكيد أنها أول مرة تشاهد تفاحًا".

فقال الشاب وهو منبهر بالتفاح الذي يحمله حارس المنارة على يديه، وهو ينظر إليه بتفحُّص وتركيز، لدرجة أنه نسي نفسه:

"ما هذا! من أين أتيت به؟ شيء فاخر، هل تزرعونه هنا؟".

فقال الحارس:

"تفضَّل، خُذْ تفاحًا، تفضَّل".

فأخذ الشاب واحدةً وأراها "جوباني" و"كمبا".

وقال الحارس لـ"جوباني" و "كمبا":

"أيها الصغار الذين تجلسون هناك، تفضَّلوا خذوا تفاحًا".

فصمت "جوباني" ولم يردَّ، لأنه شعر بضيق أن يقول عنهم صغارًا، ولكن "كمبا" قالت:

"سوف نأخذ، شكرًا".

فأخذ الشاب واحدةً وأعطاها إلى "كمبا"، ثم أخذ واحدة أخرى وأعطاها إلى "جوباني"، فقام "جوباني" وأخذها وشكره.

وأصبحت يد الحارس فارغة بعدما أعطى ما كان فيها من تفاح إلى الشاب و "كمبا" و"جوباني"، فأخذ التفاحتين الموضوعتين بين ركبتيه ووضعهما على "ركبتَيْ الفتاة التي كانت نائمة.

وبينما كان الشاب مستمرًّا في النظر إلى التفاح، قال:

"شكرًا جزيلًا، أين تزرعونه؟ تفاح رائع".

فقال الحارس:

"نزرعه بالجوار من هنا، ولكن مع التَّعهُّد بأن نُنتج إنتاجًا جيدًا، والزراعة ليست أمرًا شاقًّا، فأنت تلقي البذور الى تريدها فتنمو من تلقاء نفسها، والأرز ليس له قشرة كالأرز الذي يُزرع في منطقة الباسفيكي، وأكبر عشرة أضعاف من أرز الباسيفيكي، وله رائحة عَطِرة أيضًا، ولكن المنطقة التي أتيتم منها لم يَعُد بها زراعات، فلم يَعُد هناك أية أنواع من التفاح ولا حلوى، وأصبحت الروائح العَطِرة لتلك الأشياء قليلة جدًّا".

فقال الولد وهو يفتح عينيه عن آخرها:

"لقد حلمتُ بأمي الآن، كانت موجودة في مكان فيه رفوف كبيرة وكتب، ونظَرَت لي ومدَّت يدَها لي وهي تبتسم، فقلت لها: هل

أحضرتِ لي تفاحًا يا أمي؟، وحينئذ استيقظت، ماذا! نحن في القطار الذي كنَّا نركبه منذ قليل".

فقال الشاب:

"ذلك التفاح موجود أمامك، لقد أعطاه لنا عمُّو هذا".

فقال الولد:

"شكرًا يا عمُّو، أختي كؤرو ما زالت نائمة، فسوف أوقظها. أختي، انظري، لقد جاء لنا تفاح، قومي وانظري".

ضحكت الفتاة وفتحت عينيها ثم دعكتهما بيديها ونظرت إلى التفاح، وكان الولد يأكل التفاحة وكأنه يأكل فطيرة، وكان القشر الجميل للتفاحة ملتويًا على شكل فتَّاحة فِلَّة الزجاجات، يتدلى ويكاد يصل إلى الأرض، وكان يضيء لونًا ناريًّا، ثم تبخَّر.

ووضع الاثنان التفاحتين في جيبيهما باهتمام.

وعلى الشاطئ البعيد لمصبِّ نهر السماء كانت هناك غابة كبيرة مليئة بالأشجار، وكانت هناك ثمار دائرية تضيء بالأحمر بشدة، وفي سط تلك الغابة يوجد برج هرمي الشكل وعالٍ جدًّا، وتنبعث من وسط تلك الغابة أصوات أجراس أوركسترا وإكسليفون ممتزجةً معًا وجميلة تعجز عن وصفها الكلمات، وتحملها الرياح فتدخل القلب وتذوب فيه.

وقد كان الشاب يرتعش بشدة.

وأنصتنا إلى تلك الموسيقى بدون كلام، وكانت هناك مراعٍ واسعة، بأعشابٍ لونها أصفر وأخضر، فاتحة كالبُسُط، وضباب أبيض كالشمع يحجب أشعَّة الشمس، وصاحت الفتاة "كؤرو" والتي كانت تجلس بجوار "كمبا":

"يا للعجب! هناك غراب".

فصاحت "كمبا" وكأنما تنهر الفتاة:

"هذه ليست غربانًا، بل طيور العقعق".

فضحك "جوباني"، فشعرت الفتاة بالضيق، وفي أعلى ضفاف نهر السماء، يوجد ضوء أزرق، وفوق ذلك الضوء توجد كثير من الطيور السوداء تقف في طوابير، وتسقط عليها أضواء الدرب.

فقال الشاب توضيحًا للأمر، وكأنه يحاول إصلاح العلاقة بينهما:

"نعم، إنه طائر العقعق، حيث إنه يوجد خلف رأسه شعر واقف".

وظهر البرج الهرمي الذي كان في وسط الغابة الخضراء هناك، وسمعنا الترانيم، وكان يشترك في تلاوة الترانيم عدد كبير من الأشخاص، وقام الشاب، وكان وجهُه شاحبًا، وكأنه يريد الذهاب إلى مكان الترانيم، لكنه تراجع وجلس، ووضَعَت الفتاة "كؤرو" المنديل على وجهها، وشعر "جوباني" بشعور غريب، ودون أن يعي وجد نفسه يتلوَّن معهم، رويدًا رويدًا أصبح صوته عاليًا، ثم دون أن يعي وجد "جوباني" و "كمبا" نفسيهما يتلوان تلك الترانيم معًا.

كانت أصوات الآلات الموسيقية هادئة تأتي من نهر السماء الذي يقع خلف غابة أشجار الزيتون الأخضر، ثم اختلط صوت الآلات الموسيقية بصوت القطار والرياح فأصبح بعيدًا.

ثم سألت "كمبا":

"يوجد هناك طاووس؟".

فأجابت الفتاة:

"نعم، يوجد الكثير منه".

مكتبة
t.me/soramnqraa

شاهد "جوباني" ضوءًا ينعكس من الطاووس وهو يفتح ويغلق أجنحته، والطاووس رصاصي اللون، وكان فوق الغابة التي كانت بعيدة لدرجة أنها تشبه زرًّا أخضر صغيرًا.

فقالت "كمبا" للفتاة "كؤرو":

"لقد تذكَّرتُ، لقد سمعتُ أصوات طاووسٍ منذ قليل".

فقالت الفتاة:

"نعم، لقد كان هناك حوالي ثلاثون طاووسًا، والأصوات التي سمعناها، وكانت مثل صوت القيثارة، هي أصوات الطواويس".

لم يعلق "جوباني" على هذا الكلام، وشعر بحزن دون سبب، وكان على وشك أن يقول:

"هيا ننزل هنا ياكمبا لنتنزه".

تفرَّع النهر إلى فرعين، ويوجد في وسط جزيرة حمراء برج شديد الارتفاع، وفوق ذلك البرج يوجد رجل يقف وهو يرتدي ملابس فضفاضة وقبَّعة حمراء، ويمسك في كلتا يديه رايات حمراء وزرقاء اللون كإشارات وينظر إلى أعلى، وكان "جوباني" ينظر إليه، وكان ذلك الشخص يرفع يده بالراية الحمراء بسرعة كقائد أوركسترا، ثم يُنزلها ويرفع يده الأخرى والتي كان يخفيها خلف ظهره براية زرقاء إلى أعلى، فتطير أشياء سوداء كثيرة معًا، وتصيح كصوت المطر الذي يسقط بكثرة، وتذهب مُسرِعةً كرصاصات البنادق إلى اتجاه النهر، ففتح "جوباني" نافذة القطار وأخرج رأسه ونظر إلى أعلى، وأسفل السماء الجميلة جدًّا كزهور الجريس الصينية، كانت هناك عدة عشرات الآلاف من طيور صغيرة تطير في أسراب وتصيح دون توقُّف.

فقال "جوباني" ورأسه خارج النافذة:

"الطيور تطير متَّجِهةً بعيدًا".

فنظرت "كمبا" إلى السماء، وقالت:

"أين؟".

حينئذ رفع الرجل الذي يرتدي ملابس فضفاضة ويقف فوق البرج الراية الحمراء ولوَّح بها بشدة، فتوقَّفت الطيور عن الطيران، وفي نفس الوقت سمعنا صوتَ صدام ناحية مصبِّ النهر، ثم صمت لمدة، ثم رفع ذلك الرجل الراية الزرقاء وصاح:

"طيروا الآن يا أيتها الطيور مهاجرة، طيروا الآن يا أيتها الطيور مهاجرة".

ولقد سمعنا بوضوحٍ صوته وهو يقول ذلك.

فطارت عشرات من الطيور في مجموعات في السماء إلى الأمام في خطٍّ مستقيم، أخرجت الفتاة رأسَها من وسط النافذة، حيث كان "جوباني" و"كامبا" كلٌّ منهما يُخرج رأسه على جانب من النافذة، ونظرت الفتاة ذات الوجنات المتلألئة إلى أعلى حيث السماء، وقالت موجِّهةً كلامها إلى "جوباني":

"طيور كثيرة، وسماء جميلة".

ولكن "جوباني" تَجاهَل الرَّدَّ عليها، وظلَّ ينظر إلى السماء في صمت، فرجعت الفتاة إلى مقعدها في صمت، وأدخلت "كمبا" رأسها من النافذة في حزن، ونظَرَت إلى الخارطة بتمعُّن.

فأجابت "كمبا" بطريقة غير واضحة:

"إنه يقوم بتنظيم حركة مرور الطيور المهاجرة، أكيد هناك إشارة ضوئية سوف تظهر".

ثم أصبح القطار من الداخل في حالة صمت وهدوء شديدين، وكان "جوباني" يريد أن يدخل رأسه من النافذة، لكنه وجد المكان خارج النافذة مضاءً ومبهجًا، فظل هكذا خارج النافذة، ثم بدأ بالصفير بالفم.

وضع "جوباني" يديه فوق رأسه حيث شعر بألم في الرأس وحرارة، ثم نظر بعيدًا وقال لنفسه:

"لماذا أنا حزين هكذا؟! يجب أن يكون قلبي كبيرًا وطاهرًا، في الناحية الأخرى للشاطئ الموجود هناك نارٌ رصاصية اللون مثل الدخان، ويبدو المكان هناك هادئًا وباردًا، منظر يجعلني أشعر بالراحة".

ثم قال لفنسه أيضًا:

"ليس هناك شخص يكون معي إلى الأبد، حتى كمبا مشغولة بحديث شيِّق مع الفتاة، وهذا يجعلني أشعر بالضيق الشديد".

امتلأت عينا "جوباني" بالدموع، ونظر ناحية نهر السماء، وبدا عليه وكأنه شرد بخياله لبعيد.

وفي ذلك الوقت كان القطار يبتعد عن نهر السماء ويسير فوق المنحدر، وكان الشاطئ الموجود على الجبهة الأخرى أسود اللون، وكلما اتَّجهنا إلى المصب أصبح الشاطئ مرتفعًا، ثم شاهدنا أعواد ذُرَة كبيرة، ثم شاهدنا أوراقها الملتفَّة فوق بعضها البعض، وتحتها غلاف أخضر كبير يخرج منه شَعرٌ أحمر، وشاهدنا الثمار داخله وكان كل منها كاللؤلؤة، وزادت أعداد أعواد الذُّرة وأصبحت في صفوفٍ بين قضبان القطار والمنحدَر، ودون أن يشعر "جوباني" أدخل رأسه من النافذة ونظر إلى النافذة الأخرى، فوجد أعواد الذُّرة تغطِّي كل مكان على مرمى البصر في الحقول التي تقع أسفل السماء الجميلة، وكانت الأعواد تهتزُّ بفعل الرياح اللطيفة، وكانت مقدِّمة البراعم الملفوفة بشدَّة، مثل الماس الذي ينعكس ضوؤه في منتصف النهار، وكان هناك ضبابٌ ذو إضاءة خضراء وحمراء، فقالت "كمبا" لـ"جوباني":

"هذه أعواد ذُرة".

ولكن "جوباني" كان ما زال يشعر بالضيق الشديد، فأجابها وهو ينظر إلى تلك المراعي:

"نعم إنها أعواد ذُرَة".

وحينئذ أصبح القطار يسير ببطء وهدوء، ومرَّ على عدة إشارات، وعبرَ التحويلة، ووقف على محطة صغيرة.

وكانت الساعة الرصاصية اللون تشير إلى الثانية، وكنَّا نسمع صوت العقارب وهي تتحرك، حيث إن القطار كان واقفًا على المحطة وليست هناك رياح، فكان الهدوء يسود المكان بما فيه مِن مراعٍ.

وكان صوت عقارب الساعة لا يتوقَّف، وكان يأتي من آخر المراعي كسيمفونية يتمُّ عزفها بصوت منخفض، وكأنها مياه نهر تنحدر ببطء ناحيتنا، ونظرت الفتاة ناحيتنا وقالت وكأنها تناجي نفسها:

"سيمفونية العالم الجديد".

وكان الجميع، بما فيهم الشاب طويل القامة، وكأنهم في حلم جميل، فنظر "جوباني" ناحية النافذة الموجودة في الناحية الأخرى، ووضع كلتا يديه على وجهه، وقال:

"رغم أن المكان هنا جميل وهادئ، إلا أنني لا أشعر بالسعادة، لماذا؟ لماذا أشعر بالوحدة؟! كمبا إنسانة قاسية، فرغم أنها جاءت معي إلَّا أنها لا تتحدَّث معي وتتحدث مع تلك الفتاة".

وارتفع صوت صافرة فاخترق زجاج النافذة ووصل إلينا ليُعلِن تحرُّك القطار في هدوء، وصفرت "كمبا" بفمها أغنية "النجوم تدور".

وسمعنا صوتًا يأتي من الخلف، صوت رجلٍ مُسِنٍّ استيقظ، وقال:

"هذا المكان هضبة فظيعة".

ثم قال:

"بـذور الـذرة لا تنضـج إلا إذا حُفِـرَت حُفَـرٌ عـلى عمـق 60 سـنتميترًا، ووُضِعَـت البـذور في تلـك الحُفَـر".

فقال شخص آخر:

"هذا يعني أن النهر بعيد عن تلك المرتفعات، أليس كذلك؟".

فأجاب ذلك الرجل:

"نعم، النهر على بُعد حوالي 500 متر، فذلك المكان وادٍ قحل".

فقال "جوباني" لنفسه:

"نعم، هذا صحيح، إننا على مرتفعات كولورادو".

وكانـت "كمبـا" مـا تـزال تصفِّـر بفمهـا، وكان يبـدو عليهـا الحـزن، كانت الفتـاة تنظـر في الاتجـاه الـذي ينظـر إليـه جوبـاني، وكان وجههـا أحمـر مثـل لـون التفـاح، وفجـأة اختفـت حقـول الـذُّرة وظهـرت أمامنـا مَـراعٍ شاسـعة وسـوداء اللـون، وتدفَّقَـت موسـيقى سـمفونية "العـالم الجديـد" تـأتي مـن بعيـد، مـن الأفـق حيـث يتلاقـى خـطُّ السـماء مـع الأرض، وظهـر مـن وسـط المراعـي هنـود حمـر يضعـون عـلى رأسـهم ريـش طائـر أبيـض، ويزيِّنـون أيديهـم وصدورهـم بكثـيرٍ مـن الأحجـار، ويلاحقـون القطـار وهـم ممسـكون بأقـواس صغـيرة ويوجِّهـون سـهامهم ناحيـة القطـار.

وحينئذ استيقظ الشاب الذي يرتدي ملابسَ سوداء، وقال:

"هنود حمر، هنود حمر، انظروا".

فوقف "جوباني" وكذلك "كمبا".

ونسي الشاب أين يكون، فوقف واضعًا يديه في جيوبه، وقال:

"إنهـم يجـرون خلـف القطـار، فهـم إمَّـا يرقصـون أو يتأهَّبـون لصيـد الطيـور".

وكان من الواضح على الهنود الحمر أنهم يتراقصون وهم يتَّجهون إلى الصيد، فلقد خفضوا الريشَ الأبيض أمامهم، ووقفوا وأمسكوا بالأقواس وأطلقوا سهامهم ناحية السماء، وإذا بطائر كركي يسقط، فجرى هندي وأمسكه بيديه قبل أن يصل إلي الأرض، ثم رويدًا ابتعدنا فأصبح الكركي صغيرًا، ولم يتبقَّ في حيِّز الرؤية إلا أسلاك أعمدة الكهرباء، حيث كانت تلمع، وأحاطت بنا حقول الذُّرة، ونظرنا من النافذة المجاورة، فشاهدنا القطار يجري فوق هضبة عالية جدًّا، وفي أسفل الوادي يوجد نهر واسع تجري فيه المياه الصافية.

وسمعنا صوت الرجل المسنِّ الذي كان يتحدث منذ برهة يقول:

"نعم، المنحدَر من هنا إلى أن نصل إلى سطح النهر، وهذا شيء مُتعِب، ولأن هذا منحدَر شديد الانحدار فإن القطار لا يستطيع السير من الناحية الأخرى لأنه لا يستطيع صعوده".

سار القطار إلى أسفل رويدًا رويدًا، وفي بداية الهضبة كان يوجد كوبري معدني، فنظر جوباني إلى النهر الموجود أسفله، فشعر تدريجيًّا بالراحة، ومرَّ القطار أمام كوخ صغير، حيث كان هناك طفل صغير يقف وحيدًا وينظر ناحيتنا ويبكي، فصرخ "جوباني" دون أن يدري.

سار القطار بسرعة متَّجهًا إلى أسفل المنحدر، فأوشك نصف ركاب العربة على السقوط إلى الخلف، فتشبَّثوا بمقاعدهم لكي لا يسقطوا، فضحك "جوباني" و"كمبا" على منظرهم، وكانت مياه نهر السماء تتدفَّق في سيرها بسرعة كبيرة بجانب طريق القطار، وأحيانًا كانت تلك المياه تلمع، وكانت هناك زهور تملأ المراعي هنا وهناك، ذات لون بنفسجي خفيف، وفي النهاية بدأ القطار في السير بطريقة هادئة.

وكانت توجد أعلام هنا وهناك مرسومٌ عليها نجمة وفأس.

وأخيرًا تحدَّث "جوباني"، وقال:

"عَلَم ماذا هذا؟".

فقالت "كمبا":

"لا أعلم، كما أنه ليس موجودًا على الخريطة، هناك قارب معدني".

فقال:

"نعم".

فقالت الفتاة:

"إنهم يقومون بتركيب كوبري".

فقال "جوباني":

"نعم، إنه عَلَم سلاح المهندسين التابع للجيش، إنهم يتدرَّبون على كيفية نصب كوبري، ولكننا لا نرى الجنود".

وحينئذ، ومن الناحية الأخرى لشاطئ مَصبِّ نهر السماء الذي لم نكن نستطيع مشاهدته، سمعنا صوتًا قويًّا، ورأينا مياهًا ترتفع على شكل عامود، وكانت المياه تتلألأ.

ثم اختفت المياه التي ارتفعت على شكل عامود، وقفَزَت أسماك السلمون والسلمون المرقَّط في الهواء، ولمعت بطونها البيضاء، وقامت بعمل لفَّةٍ دائرية، ثم نزلت في الماء مرة أخرى، فقال "جوباني" وهو يكاد يطير من الفرح:

"إنهم قوات سلاح المهندسين الجويِّين، إن السلمون المرقَّط يستطيع القفز عاليًا هكذا، شيء عجيب، لم يسبق لي أن قُمتُ برحلة جميلة مثل هذه، أنا سعيد بهذه الرحلة".

ثم قال:

"عندما تنظر من قريب إلى تلك الأسماك فتكتشف أن المياه بداخلها الكثير جدًّا منها".

فقالت الفتاة مُعلِّقة على ذلك:

"وهل يوجد بعض الأسماك الصغيرة؟".

فأجاب "جوباني" الفتاة، بعد أن اعتدل مزاجه تمامًا وشعر بالسعادة:

"بالتأكيد يوجد منها الصغير، طالما يوجد الكبير، ولكن توجد في أماكن بعيدة ولذلك لا نستطيع رؤيتها".

نظر الولد خارج النافذة وصاح فجأة قائلًا:

"يا للعجب! أكيد هذه معابد النجمين التوأم".

وكان يوجد فوق هضبة صغيرة معبدان صغيران مصنوعان من الكرستال.

فسأل "جوباني":

"ما المقصود بمعبدَيْ النجمين التوأم؟".

فقالت الفتاة:

"لقد سمعتُ عن ذلك من أمي، سمعتُ عن وجود معبدين صغيرين من الكرستال".

فقال "جوباني":

"ما قصة النجمين التوأم؟".

فقالت الفتاة:

"قصتهما أن نجمين ذهبا إلى المراعي ليلعبا فتشاجرا مع الغربان".

فقالت الفتاة:

"ليس كذلك، قالت أمي إنها قصة عن شاطئ نهر السماء".

ثم قال الولد:

"وبعد ذلك جاء مذنَّب".

فقالت الفتاة:

"إنك تتكلَّم عن قصة أخرى".

فقال "جوباني":

"لقد تذكَّرت، أنا أعرف القصة، وسوف أقصُّها عليكما".

تغيَّر لون الشاطئ الآخر للنهر فأصبح أحمر، وأصبح لون أشجار الصفصاف والأشجار الأخرى أسود، وأصبحت أمواج نهر السماء حمراء ولامعة، واشتعلت نار شديدة الاحمرار في المراعي الموجودة على الضفة الأخرى من النهر، وارتفع الدخان الأسود الناتج عن تلك النار، ارتفع إلى عنان السماء ذات لون شجرة الجريس الصيني، وكان منظر النار وهي مشتعلة منظرًا جميلًا، منظر أجمل من منظر الياقوت، منظر مثل منظر الليثيوم الشفاف.

فقال "جوباني":

"ما هذه النار؟ ما الذي يتمُّ حرقه لكي يصبح لون النار أحمر لامعًا هكذا؟".

فأجابت "كمبا" وهي تنظر إلى الخارطة:

"إنها نار عقارب".

فقالت الفتاة:

"أنا أعرف ما هي نار العقارب".

فقال "جوباني":

"ما هي نار العقارب؟".

فقالت الفتاة:

"هي نار ناتجة عن حرق العقارب، وهذه النار ما زالت مشتعلة حتى الآن، لقد سمعت هذا الكلام من أبي".

فقال "جوباني":

"أليست العقارب نوعًا من الحشرات؟".

فقالت الفتاة:

"نعم، هي كذلك، ولكنها حشرات نافعة".

فقال:

"العقارب ليست حشرات نافعة، لقد شاهدتها في المتحف موضوعةً في كُحل، ولقد قال لي الأستاذ إن في مؤخِّرتها خطَّافًا، وإذا لُدِغتِ من الخطاف تموتين".

فقالت الفتاة:

"نعم، ما قاله الأستاذ طبعًا صحيحٌ، ولكنها حشرات نافعة، فلقد قال لي أبي ذلك، فلقد قال لي إنه كان في مرتفعات باردورا منذ زمن بعيد، وكان هناك عقرب وحشرة صغيرة، فقتل العقرب الحشرةً الصغيرة وأكلهما، فاستطاع أن يتغلب على جوعه ويعيش، وفي يوم من الأيام هاجمه حيوان الدلق وكاد أن يأكله، ولقد حاول العقرب بكل جهده أن يهرب من الدلق، لكن الدلق كان على وشك أن يتمكَّن منه، وفي تلك اللحظة وجد العقرب بئرًا أمامه فسقط فيها، ولكنه لم

يستطع الخروج منها، وكان على وشك الغرق، فقام العقرب بالصلاة، ودعا بالآتي:

'لا أعرف كم عدد مَن قتلتهم، ولقد كنت على وشك أن يقتلني الدلق، ولكني استطعت بالكاد الهرب، ووقعتُ في هذه البئر، ولا أستطيع الخروج، وعلى وشك الغرق، وليس هناك مَن أستنجد به لينقذني، فلماذا لم أستسلم للدلق وأترك له نفسي ليأكلني! فلو أكلني لطال عمره يومًا آخر، فيا ربّ، انظُرْ إلى ما في قلبي، فلا تجعلني أموت حزينًا هكذا، بل استخدِمْ جسمي من الآن فصاعدًا لكي يجعل الجميع سعداء'.

وبعد ذلك أصبحت العقارب تحترق ليلًا فيصبح لونها أحمر جميلًا، وتضيء ظلمات الليل، وإلى الآن ما زالت تحترق.

هكذا قال لي أبي، فعلًا هذه النار كما قال أبي".

فقال "جوباني" وهو يشاهد في الناحية الأخرى للنار ثلاثة أبراج على شكل أيدي العقارب، وخمسة أبراج مصطفَّة هنا على شكل مؤخرة وخطاف العقرب:

"نعم، أنت على حقٍّ، انظر إلى تلك الأبراج الثلاثة المصطفَّة هناك، إنها على شكل عقارب".

وكانت نار حرق العقارب حمراء جدًّا وجميلة، وكانت العقارب تحترق دون صوت وبسرعة.

وبينما تبتعد النار تدريجيًّا، صمتَ الجميع وسمعوا أصوات الموسيقى، وشمُّوا عبير الزهور، وسمعوا أصوات صفافير الفم وأصوات تحدُّث الناس، وكان يوجد بالقرب من مكان مرور القطار مدينة، وكان الوقت وقت احتفال.

وفجأة صاح الولد الذي كان نائمًا بجانب "جوباني"، وقال:

"تكون يا ندى نجم القنطور".

وكان هناك شجرة تَنُّوب ذات لون شديد الخضرة مثل شجرة رأس السنة، وبداخلها كثير جدًّا من المصابيح الكهربائية الدائرية الشكل، وكأن ألف يراعة تجمَّعَت عليها.

وقال الولد:

"لقد تذكَّرتُ، الليلة ليلة احتفال نجم القنطور".

فقالت "كمبا":

"لقد تذكَّرتُ، هذا المكان هو قرية القنطور".

فقال الولد متفاخرًا:

"بالنسبة للعبة رمي الكرة، فلا أحد يضارعني في الإمساك بالكرة".

ثم قال الشاب للجميع: مكتبة سُر مَن قرأ

"المحطة القادمة هي محطة صليب الجنوب، استعدُّوا للنزول".

فقال الولد:

"لا أريد أن أنزل، أريد أن أظل في القطار".

وكانت الفتاة تجلس بجانب "كمبا"، فقامت بعصبية وأعدَّت أمتعتها للنزول، ولكن كان يبدو عليها أنها لا تريد مفارقة "جوباني" و "كمبا".

ونظر الشاب إلى الولد، وقال له بصوت منخفض:

"يجب أن ننزل هنا".

فقال الولد:

"لا، لا أريد النزول، سوف أبقى في القطار".

فقال "جوباني":

"ابقَيْ في القطار معنا، فنحن معنا تذكرة نستطيع الركوب بها إلى أي مكان".

فقالت الفتاة بحزن:

"ولكن يجب علينا أن ننزل هنا، فهذا المكان هو الذي سوف نسلكه للوصول إلى السماء".

فقال جوباني:

"ليس من المهم أن تذهبوا إلى السماء، فلقد قال لي أستاذي يجب أن نتخطَّى السماء ونذهب إلى مكان أفضل منها".

فقالت الفتاة:

"ولكن أمي في السماء، وكذلك الرب في السماء".

فقال الشاب وهو يضحك:

"صِفِي الرب؟".

"في الحقيقة لا أعرف كيف أصفه، ولكنه إله أحد".

"طبعًا الإله الحقيقي إله واحد أحد".

"نعم، إله واحد أحد حقًّا".

فوضع الشاب يديه فوق بعضهما في أدب، وقال:

"سوف أدعو الرب الآن".

وفعلت الفتاة مثلما فعل الشاب، وبدا على الجميع الحزن عندما اقترب وقت فراقهم، فقال "جوباني" وهو يكاد يبكي:

"هل انتهيتم من إعداد أنفسكم للنزول؟ لقد وصلنا إلى محطة صليب الجنوب".

وفي ذلك الوقت ظهرت الأضواء الكثيرة للصُّلبان من داخل النهر على شكل شجرة واحدة تضيء المكان حتى مصبِّ النهر، بألوانها الزرقاء والبرتقالية، وظهر فوقها الندى على شكل دائرةٍ بلون رمادي كهالةٍ ضوئية، وأصبح داخل القطار صاخبًا، فوقف الجميع في أدب وقاموا بالصلاة مثلما حدث عند الصليب الشمالي، وسمعنا زغاريد مثل التي تحدث عندما قفز الصغار فوق ثمار القرع، وسمعنا أصوات تنهُّد تدلُّ على تضرُّع شديد، وتدريجيًّا اقتربت الصلبان من النافذة، وتعانَقَت مع الهالة الدائرية من الندى، والتي لونها رمادي، وشكلها دائري مثل التفاحة.

وسمعنا صوت الجميع وهم يردِّدون صيحات تدلُّ على سعادتهم بقدوم الاحتفال، وسمعنا صوتًا رقيقًا لأبواق تأتي من السماء البعيدة، وسار القطار ببطء على تحويلات كثيرة، حيث كانت هناك مصابيح كهربائية، وفي النهاية وقف أمام الصلبان.

فأمسك الشاب يد الولد، وقال له:

"هيا ننزل".

ثم سار ناحية باب الخروج، ونظرت الفتاة ناحية "جوباني" و"كمبا"، وقالت:

"وداعًا".

فقال "جوباني"، وهو حزين لدرجة أنه كان على وشك البكاء:

"وداعًا".

ونظرت الفتاة إلى الخلف نظرةً واحدة يملؤها الحزن الشديد، ثم صمتت واتجهت ناحية باب الخروج، ونزل كثير من الركاب، فأصبح القطار خاويًا ومخيفًا، ثم دخل هواءٌ بارد إلى داخله.

وبينما كنا ننظر إلى ما يحدث، فإذا بالجميع يضعون أيديهم في أيدي بعضهم ويكوِّنون صفوفًا ويسجدون على شاطئ نهر السماء أمام الصلبان، وشاهدنا شخصًا يرتدي رداءً مقدَّسًا ويعبر مياه النهر التي لا نراها، ويمدُّ يده ويأتي نحونا، ولكن حينذاك رنَّ الجرس الزجاجي فتحرك القطار، ثم جاء ضباب فضى اللون من ناحية المصب ناحيتنا، فلم نعُد نرى ما حولنا، فقد استطعنا أن نرى أشجارًا كثيرة من الجوز تضيء أوراقها بشدة، ووسط الضباب كان ثمة سنجاب كهربائي جميل الوجه، حوله ضوء ذهبي، ينظر إلينا.

وفي لحظةٍ انقشع الضباب، وظهر طريقٌ على جانبيه مصابيح يؤدي إلى مكان ما، وكان ذلك الطريق يسير بمحاذاة خطِّ السكة الحديد، وعندما كان "جوباني" و"كمبا" يمرَّان أمام المصابيح كانت تنطفئ، ثم تضيء بعد أن يعبرا أمامها وكأن إطفاءَها تحيتها لهما، وعندما نظرا خلفهما وجدا الصليب أصبح صغيرًا جدًّا لدرجة أنه أصبح في حجم الصليب الذي يتمُّ تعليقه على الصدر، وشردا بذهنهما فلم يستطيعا أن يلاحظا إذا ما كان الشاب والفتى ما زالا يسجدان على الشاطئ الأبيض أم صعدا ناحية السماء إلى مكان معيَّن.

تنفس "جوباني" بعمق، ثم قال:

"أخيرًا أصبحنا نحن الاثنين فقط يا كمبا، أريد أن أذهب معكِ إلى كل مكان، أريد أن أكون مثل العقرب، أن أفعل أي شيء من أجل أن يكون الجميع سعداء، ومستعدٌّ أن يحترق جسدي مئات المرات من أجل سعادة الجميع".

فقالت "كمبا" وعيناها تترقق بالدموع:

"وأنا أيضًا كذلك".

ثم قال "جوباني"

"ولكن ما هي السعادة الحقيقية؟".

فقالت "كمبا" وهي تفكر:

"لا أعلم".

فقال "جوباني" وهو يتنفَّس وكأنه شعر بقوة شديدة تتدفَّق في داخله:

"هيا ننعم بالسعادة الحقيقية".

فقالت "كمبا" وهي تنظر إلى نهر السماء، بهدف تغيير مجرى الحديث:

"يوجد هناك أكياس فحم، إنها فتحات السماء".

نظر "جوباني" هناك وشعر بصدمة، كانت هناك فتحة كبيرة في نهر السماء، فنظر فيها، وكانت فتحة عميقة إلى حدٍّ لا يمكن تحديده، ودعك عينيه كثيرًا لكي يستطيع مشاهدة ما يوجد في أسفلها، لكنه لم يستطع أن يرى ذلك، بجانب أنه شعر بألم في عينيه من كثرة دعكهما، ثم قال:

"أنا لا أشعر بخوف من ذلك الظلام الشديد المحيط بنا. سوف أذهب للبحث عن السعادة الحقيقية التي يتمناها الجميع، هيا نذهب معًا إلى كل أماكن السعادة".

صاحت "كمبا" وهي تنظر إلى المراعي الجميلة الموجودة بعيدًا:

"طبعًا سوف أذهب معك، المراعي الموجودة هناك جميلة جدًّا، الكل متجمِّع هناك، حيث إن ذلك المكان هو أعلى مكان في السماء، إن أمي موجودة هناك".

نظر "جوباني" هناك، ولكنه شاهد ضبابًا أبيض كثيفًا، ولم يرَ ما وصفته "كمبا" له، وشعر "جوباني" بوحدة شديدة، ونظر هناك فوجد

على الضفة الأخرى لنهر السماء عامودَيْ تلغراف يميلان على رافعة وكأنهما شخصان يقفان مائلين وأيديهما متعانقة.

وقال "جوباني" لـ"كمبا":

"سوف نذهب معًا، أليس كذلك؟".

ثم نظر إلى الخلف ليرى "كمبا" التي كانت جالسة، فلم يجدها، بل شاهد ضوءًا أسود لامعًا، فانتفض على الفور واقفًا، وشعر بضيق شديد في صدره، فأطلَّ برأسه من النافذة دون أن يشعر أحد ثم بكى بحرقة، وشعر حينذاك بأن العالم المحيط حوله مظلمٌ.

فتح "جوباني" عينيه، وقد كان نائمًا على الحشائش فوق الهضبة، وكان يشعر بدفء غريب في صدره، وتسيل دموع باردة من عينيه على وجنتيه، ثم قام مُسرِعًا، وكانت طرقُ المدينة أسفل الهضبة مضاءة بالمصابيح كعادتها، وكان الضوء يعطي إحساسًا بالدفء يزيد عمَّا قبل، ولم يكن ما رأيته منذ قليل إلا حلمًا؛ فالسماء كما هي لا يوجد فيها تغيير، الضباب الأبيض يحيط بخط الأفق الموجود في الجنوب، ومجموعة نجوم العقرب الحمراء الجميلة تتلألأ.

ثم نزل "جوباني" من على الهضبة يجري مسرعًا، فلقد تذكَّر أمه التي لم تتناول طعام العشاء بعد، فمرَّ من خلال غابة أشجار الصنوبر السوداء ودار حول سور المزرعة ودخل البوابة التي دخلها منذ قليل، فوصل أمام زريبة الماشية حيث كانت مُظلِمةً، وكان هناك شخص لم يكن موجودًا عندما جاء منذ قليل، وكانت هناك عربة تحمل وعاءين.

فصاح "جوباني":

"مساء الخير".

فجاء شخص يرتدي سروالًا واسعًا أبيض، وقال:

"نعم، ماذا تريد؟".

فقال "جوباني":

"لم يأتِ إلى منزلي اليوم لبن".

فقال الرجل ل "جوباني":

"آسف على ذلك".

ثم ذهب إلى داخل المكان وأتى بوعاء لبن وأعطاه لـ"جوباني"، وقال وهو يضحك:

"آسف جدًّا على ما حدث، بعد الظهر لم أنتبه فتركتُ باب الزريبة مفتوحًا، وعندما ذهبتُ إلى مكان تناوُل الأبقار الطعام، وجدت أن ما تناول منها الطعام حوالي النصف فقط".

فقال "جوباني":

"نعم، لقد فهمت، شكرًا، إلى اللقاء".

"أنا آسف لِما حدث".

فقال "جوباني":

"ليس هناك داعٍ للأسف".

فحمل "جوباني" وعاء اللبن بكلتا يديه وخرج من المزرعة، ومرَّ من خلال أشجار المدينة حيث وصل إلى الطريق الرئيسي، ثم سار فيه إلى أن وصل إلى تقاطُع، فانحرف يمينًا وسار إلى آخر الطريق حيث كان الوقت ليلًا، وهناك برج بجانب جسر كبير، وهناك نهر، حيث شاهد منذ قليل "كمبا" وأصدقاءها وهم ذاهبون إلى النهر ليضعوا القوارب الصغيرة التي بداخلها شموع في النهر لتسير فيه.

ولقد كانت هناك حوالي سبع فتيات يقفن أمام المتاجر الموجودة في التقاطع وينظرن إلى الجسر ويتحدَّثن بصوت خافت، وكان فوق الجسر كثير من المصابيح.

فشعر "جوباني" بشيء غريب يحدث، فاقترب منهن وسألهن:

"هل حدث شيء ما؟".

فنظرن إلى "جوباني" وقالت إحداهن:

"لقد سقط طفل في النهر".

فجرى "جوباني" مُسرِعًا فوق الجسر، وكان الجسر مليئًا بالناس، فلم يستطع أن يجد مكانًا ينظر منه إلى النهر، وجاء شرطي يرتدي زيًّا أبيض، ونزل "جوباني" من جانب الجسر إلى شاطئ النهر لكي يقفز فيه.

كانت هناك جماعة من الناس يقفون في شبه جزيرة صغيرة موجودة في مصبِّ النهر بالقرب من شاطئ النهر، وكان المكان مظلمًا، فلم يستطع "جوباني" تمييز ملامحهم، جرى "جوباني" ناحيتهم، فوجد هناك "مرصو"، وهو أحد أصدقاء "كمبا"، والذي كان معها منذ قليل، وعندما شاهد "مرصو" "جوباني" جرى ناحيته، وقال له:

"جوباني، كمبا سقطت في البحر".

فقال "جوباني":

"كيف؟ ومتى حدث ذلك؟".

ثم قال "مرصو":

"كان زنيري يركب القارب، وكان يمدُّ يده في الماء ليضع القارب الصغير المصنوع من اليقطين وداخله شمعة في الماء ليسبح مع التيار، فاهتزَّ القارب واختلَّ توازن زنيري فسقط في النهر، فإذا بكمبا تلقي

بنفسها خلفه ودفعته ناحية القارب، فقام كاتو بالإمساك به وجذبه إلى سطح القارب، ولكن كمبا اختفت ولم تظهر بعد ذلك".

فقال "جوباني":

"ألا يبحثون عنها؟".

فقال "مرصو":

"نعم، جاء الجميع وجاء والدها وبحثنا عنها ولكننا لم نجدها، أما زنيري فقد اصطحبناه إلى منزله".

وذهب "جوباني" إلى مكان تجمُّع الناس، كان الطلاب وأهل المدينة يقفون حول والد "كمبا"، وكان وجهه شاحبًا، ويرتدي ملابسَ سوداء ويقف معتدلًا ينظر باستمرار في الساعة التي يلبسها في يده اليمنى.

وكان الجميع ينظرون ناحية النهر في صمت، ولم يحدث أن تحدَّث أحدهم بكلمة واحدة، وكانت أرجل "جوباني" تهتزُّ بشدة من فرط الخوف، وكان يشاهد المصابيح التي يستخدمونها عند الصيد ليلًا تأتي وتذهب، وأمواجًا صغيرة تعلو وتهبط في النهر المظلم.

قال "جوباني" لنفسه: أكيد أن كمبا في آخر مكان في نهر السماء"، وكان الجميع ينتظرون أن يخرج أحدٌ من بين الأمواج ومعه "كمبا" ويقول:

"لقد بحثت كثيرًا إلى أن وجدتها".

أو أن يأتي أحدٌ ويقول إنها على جزيرة في النهر تنتظر أن يأتي أحدٌ ليأخذها، ولكن والدها قال بوضوح:

"لقد غرقَت، فلقد مرَّت خمسٌ وأربعون دقيقة على وجودها في النهر".

وقف "جوباني" أمام البروفسير، وكان على وشك أن يقول له:

"أنا أعلم أين ذهَبَت كمبا، كنَّا نسير معًا منذ قليل".

ولكن الكلام توقَّف في حلقة فلم يقُل شيئًا، واعتقد البروفسير أن جوباني جاء لإلقاء السلام عليه، فبادر البروفسير بالحديث معه، وقال له بأدب:

"لقد تذكَّرتُكَ، أنت جوباني، شكرًا على حضورك الليلة".

لم يقُل "جوباني" شيئًا، بل أحنى رأسه تحيةً للبروفسير، وسأله البروفسير وهو يقبض على ساعته بشدَّة:

"هل عاد والدك؟".

فقال "جوباني":

"لا".

وهو يحرِّك رأسه يمينًا ويسارًا دلالةً على الرفض، ثم قال البروفسير:

"يا ترى ماذا حدث له؟ لقد وصلني منه أول أمس خطابٌ يقول فيه إنه عائد اليوم، فهل تأخَّرَت السفينة التي يعود عليها؟ يا جوباني، تعال إلى منزلي أنتَ وزملاؤك لزيارتي بعد انتهاء اليوم الدراسي".

قال ذلك البروفسير وهو ينظر باستمرار إلى مصبِّ نهر السماء، ترك "جوباني" البروفسير دون أن يتحدَّث معه وجرى من شاطئ النهر إلى وسط المدينة، في اتجاه منزله، لكي يحضر اللبن بسرعة إلى أمه، ولكي يخبرها بعودة أبيه.

*****

# الكستناء والقط البري

وصلت بطاقة بريدية غريبة إلى منزل "إتشرو" مساء يوم السبت، محتواها الآتي:

"السيد إتشرو

نتمنى أن تكون بصحة جيدة

غدًا سوف تكون هناك محاكمة صعبة

أرجو الحضور دون تأخير

صديقك

القط البري".

كان الحظ سيئًا، والحبر يلتصق في اليد، ومع ذلك "إتشرو" سعيد جدًّا بهذه الدعوة، ووضع البطاقة البريدية في حقيبة المدرسة دون أن يُخبر أحدًا بذلك، وعاد إلى المنزل يقفز فرحًا في كل أرجائه.

ونام يتقلَّب في الفراش، ويتذكَّر وجه القط، ويفكِّر في شكل المحاكمة التي يُقال إنها صعبة، فلم يستطع النعاس إلى وقت متأخر.

ومع ذلك عندما استيقظ كان النهار قد طلع، فخرج من المنزل، وكانت الجبال المحيطة بالمنزل جميلة، والسماء زرقاء صافية، فتناول "إتشرو" الطعام بسرعة وسار وحيدًا بمحاذاة الطريق الموازي للنهر متجهًا إلى أعالي النهر.

هبَّت رياح جميلة وأسقطت ثمار أشجار الكستناء (أبو فرو)، فنظر "إتشرو" إلى أعلى يتأمَّل أشجار الكستناء، ثم قال:

"يا شجرة الكستناء، هل مرَّ القطُّ البرِّيُّ من هنا؟".

صمتت شجرة الكستناء قليلًا، ثم قالت:

"القط البري طار بالعربة التي يجرُّها حصان ناحية الشرق في الصباح الباكر".

فقال "إتشرو":

"الشرق هو الجهة التي أذهب إليها، هذا غريب، عمومًا سوف أسير في اتجاه الشرق أكثر، شكرًا يا شجرة الكستناء".

صمتت شجرة الكستناء ثم أسقَطَت بعضًا من ثمارها، وعندما سار "إتشرو" قليلًا وجد الشلال الذي يُصفر بصافرة، والشلال الذي يصفر بصافرة هو صخرة بيضاء شديدة الانحدار وفي وسطها فتحة صغيرة يسقط منها الماء في الوادي، وعندما يسقط يُصدِر صوتًا مثل صوت الصافرة.

اتجه "إتشرو" ناحية الشلال، وصاح:

"يا شلال، هل مرَّ القط البري من هنا؟".

فقال الشلال:

"القط البري كان يركب عربة يجرُّها حصان منذ قليل، ويطير بها متجهًا ناحية الغرب".

فقال "إتشرو":

"هذا غريب، الغرب هو اتجاه منزلي، ولكن سوف أذهب في اتجاه الغرب للبحث عنه، شكرًا يا شلال".

وبعد ذلك بدأ الشلال في الصفير مثلما كان يفعل سابقًا، وعندما سار "إتشرو" قليلًا وجد تحت شجرة زانٍ كثيرًا من الفُطر الأبيض يكوِّنون فرقة موسيقية ويقومون بعزف موسيقى غريبة، فانحنى "إتشرو" إلى أسفل وقال للفطر:

"يا فُطر، ألم تشاهد القطَّ البري يمرُّ من هنا؟".

فقال الفطر:

"القط البري كان يركب عربة يجرها حصان في الصباح الباكر، وكان يطير بها ناحية الجنوب".

فتعجب "إتشرو" من هذا الكلام، وقال:

"الجنوب هو اتجاه وسط الجبل، إن هذا شيء غريب، ومع ذلك سوف أذهب هناك للبحث عنه، شكرًا يا فُطر".

ثم عادت فرقة الفطر إلى عزف الموسيقى الغريبة، وسار "إتشرو" قليلًا فوجد سنجابًا يقفز فوق شجرة جوز الهند، فأشار إليه "إتشرو" بالوقوف، فوقف السنجاب، فقال له "إتشرو":

"يا سنجاب، ألم تشاهد القطَّ البري يمرُّ من هنا؟".

فوضع السنجاب يده على جبهته وهو يقف فوق الشجرة، ونظر إلى "إتشرو"، وقال:

"القط البري كان يركب العربة التي يجرُّها حصان، ويطير في الصباح الباكر ناحية الجنوب".

فقال "إتشرو":

"غريب أن يقول اثنان نفس الكلام، ومع ذلك سوف أذهب ناحية الجنوب بحثًا عنه، شكرًا يا سنجاب".

واختفى السنجاب، ولكن اهتزَّ أعلى فرع في شجرة جوز الهند ولمعت أوراق شجرة الزان المجاورة لشجرة جوز الهند، وسار "إتشرو" قليلًا في الطريق الموازي لنهر الوادي، ولكن الطريق أصبح ضيقًا، ثم انتهى. وفي جنوب الوادي كانت هناك غابة أشجار صنوبر سوداء وكان هناك طريق جديد ضيِّق، فصعد "إتشرو" هذا الطريق، وكانت فروع الأشجار ملتفَّةً حول بعضها البعض؛ ممَّا جعل الغابة ظلامًا دامسًا، لدرجة عدم استطاعة رؤية السماء إطلاقًا، وتدريجيًّا أصبح الطريق مرتفعًا بشدة، واحمرَّ وجه "إتشرو"، وتصبَّب عرقه وهو يصعد ذلك الطريق المرتفع بشدَّة، وعندما صعد ذلك الطريق كان هناك ضوء شديد، فشعر بزغللة في عينيه، ووجد منطقةً عشبية جميلة لونها ذهبي، ورياحًا تهزُّ الأعشاب، ومحاطة بغابة من أشجار صنوبر ذات لون زيتوني جميل.

ووجد في وسط هذه المنطقة العشبية رجلًا غريب الشكل، قصير القامة، يثني الركبة، ويمسك في يده سوطًا جلديًّا، وينظر ناحيته في صمت.

ذهب "إتشرو" ناحية ذلك الرجل، ولكنه اندهش، فتوقَّف مكانه، كان الرجل أعور، لا يرى إلا بعين واحدة، والعين الأخرى التي لا يرى بها بيضاء وتهتزُّ باستمرار، ويلبس سترة غريبة، وأرجله معوجَّة جدًّا

مثل الماعز، فشعر "إتشرو" بالغثيان من منظر ذلك الشخص، لكنه تماسك وسأله:

"هل تعرف القط البري؟".

فنظر ذلك الرجل بجانب عينه إلى وجه "إتشرو"، وضحك، ثم قال:

"سوف يحضر القط البري إلى هنا حالًا، أنت إتشرو، أليس كذلك؟".

شعر إتشرو" بالمفاجأة، فتراجع خطوةً، وقال:

"نعم، أنا إتشرو، كيف عرفت أنني إتشرو؟".

فضحك هذا الرجل الغريب، وقال:

"هل وصلتك البطاقة البريدية؟".

فقال إتشرو":

"نعم؛ ولذلك حضرت".

فقال ذلك الرجل وهو ينظر إلى أسفل خجلًا وحزنًا، وقال:

"مكتوبة بخط سيئ، أليس كذلك؟".

فقال "إتشرو" وهو يشعر بالشفقة على مَن كتبها:

"مكتوبة بخطٍّ جميل جدًّا".

فشعر الرجل بالفرحة وتنفَّس الصعداء، واحمرَّ وجهه جدًّا، وفرد ياقة السترة ليدخل الهواء إلى داخل جسمه، ثم قال:

"هل قلتَ إنها مكتوبة بخط جميل؟".

فضحك "إتشرو"، وقال:

"نعم، خطٌّ جميل، لا يستطيع طالب في الصف الثالث أن يكتب بخط جميل مثل ذلك الخط".

فظهر الغضب على وجه ذلك الرجل، وقال:

"هل تعني بالصف الثالث، الصف الثالث بالمدرسة الابتدائية؟".

فقال "إتشرو" بسرعة:

"لا، بل الصف الثالث بالجامعة".

فابتسم الرجل، وضحك، وصاح:

"إنني الذي كتب تلك البطاقة".

فتعجبب "إتشرو" ثم قال:

"مَن أنت؟".

فقال الرجل بجدية:

"أنا مساعد القط البري".

فشعر "إتشرو" بأن ذلك غريب، ونظر خلفه فوجد القط البري يقف بعينيه الدائريتين الخضراوين، وأذنيه الحادتين المنتصبتين، وهو يرتدي سُترةً قصيرة صفراء اللون، ثم انحنى وقام بتحية "إتشرو"، فقام إتشرو" بـرَدِّ التحية بأدب، ثم قال:

"السلام عليكم، أشكرك على دعوتي إلى الحضور".

تحسَّس القط البري لحيته، ووقف في خيلاء، وقال:

"السلام عليكم، شكرًا على حضورك، في الواقع، منذ أول أمس دار صراع حاد ولم أستطع الحكم فيه، ففكَّرتُ في أن أستعين بك للحكم فيه، ولكن استَرِح الآن إلى أن تحضر ثمرات الكستناء، فكل عام أعاني من صعوبة الحكم في القضايا التي يتمُّ عرضها على هذه المحكمة".

ثم أخرج القط من جيبه علبة سجائر أخذ منها واحدة ووضعها في فمه، ثم قال:

"تفضَّل سيجارة".

فشعر "إتشرو" بالدهشة، وقال:

"لا، شكرًا".

فضحك القط البري، وقال:

"أنت ما زلتَ صغيرًا على التدخين".

ثم أشعل عود كبريت، ثم عقد حاجبيه ونفخ دخانًا أزرق، وكان مساعد القط يقف وهو منتبه لما يحدث كما لو كان يريد سيجارة، ولكنه يتحمَّل عدم الحصول عليها وهو يسكب الدموع.

وفي ذلك الوقت سمع "إتشرو" أصواتًا بجانب موضع قدمه، فاندهش وانحنى ليرى، فشاهد أشياء دائرية وذهبية اللون في كل مكان على العشب، وعندما نظر جيدًا وجد أنه حوالي ثلاثمائة ثمرة كستناء ترتدي سراويل حمراء، وكلها تتحدث في نفس الوقت.

فألقى القطُّ البري السيجارة في عجلة شديدة، وقال لمساعده:

"جاؤوا كالنمل، رنَّ الجرس بسرعة، اليوم الجو مشمس وجميل، قُم بقطع العشب الذي هناك".

فقام المساعد بسحب منجل من على خصره في سرعة شديدة، وقام بقطع الأعشاب التي أمام القط البري، فخرَجَت ثمار الكستناء من العشب، وجاءت أمام القط البري وهي تلمع وتقفز وتصيح.

وقام المساعد بهزِّ جرس عدة مرات، وكان له صدى صوت في جميع أنحاء غابة الصنوبر، فتوقَّفت ثمار الكستناء الذهبية عن الضوضاء، ولا أعرف متى حدث هذا، لكن القط البري كان يرتدي رداءً طويلًا أسودَ

مـن السـتان، رغـم أن هـذا الـرداء كان غـير مهـمٍّ، ويجلـس أمـام ثمـار الكسـتناء بوجـه متجهِّـم، ثـم قـام المساعد بالـضرب بالسـوط عـدَّةَ مـرات في الهـواء، كانـت السـماء زرقـاء صافيـة، وكانـت ثمـار الكسـتناء تلمـع، في الحقيقـة كان منظـرًا جميـلًا، ثـم قـال القـط الـبري وهـو يبـدو عليـه القلـق، ومـع ذلـك كان يتحـدث بخيـلاء:

"إن اليـوم هـو اليـوم الثالـث لانعقـاد هـذه المحاكمـة، وإني أريـد أن ننهـي هـذه المحاكمـة بالتصالـح بينكـم، فـما رأيكـم".

فتعالت أصوات ثمار الكستناء، وقالوا:

"لا، إن أفضل شخص فينا هو أكثرنا ذكاء، وأنا أكثرنا ذكاء".

"لا هـذا خطـأ، أفضلنـا هـو أكـثر مَـن لـه شـكل دائـري، وأنـا أكـثر مَـن هـو دائـري الشـكل".

"لا، هذا خطأ، أفضلنا هو أكبرنا حجمًا، وأنا أكبرنا حجمًا".

"لا، هذا الكلام غير صحيح، أنا أكبرنا حجمًا، ألم يَقُل القاضي ذلك أمس؟".

"هذا خطأ، أفضلنا هو أطولنا قامة".

"أفضلنـا هـو مَـن يُخـرج فضـلات أكـثر مـن الآخريـن، هيـا نُخـرج فضـلات ونـرى مَـن فضلاتـه أكـثر مـن الآخريـن".

وكان الـكل يتحـدث عن رأيه في هـذا الموضوع ويحاول إقناع الآخرين برأيه، وهناك صياح وضجيج مثل خليَّة النحل، فصاح القط البري:

"كفى هذا الضجيج، أين تحسَبون أنفسكم؟! أنتم في محكمة، هدوء".

ثـم قـال المسـاعد بالـضرب بالسـوط في الهـواء عـدة مـرات فصمتـت جميـع ثمـار الكسـتناء، فتحسَّـس القـط الـبري لحيتـه ثـم قـال:

"إن اليـوم هـو اليـوم الثالـث لانعقـاد هـذه المحاكمـة، وإني أريـد أن ننهـي هـذه المحاكمـة بالتصالـح بينكـم، فـما رأيكـم؟".

فثارت ثمار الكستناء، وتعالت الأصوات تقول:

"لا، إن أفضلنا هو الأذكى".

"لا، هذا خطأ، بل الذي شكله دائري".

"لا، هذا خطأ، بل الأكبر حجمًا".

وتعالت أصواتهم في نفس الوقت، ولم يستطع أحدٌ سَماعَ ما يقولون، فصاح القط البري:

"سكوت، كفى ضوضاء، هنا محكمة، هدوء".

ثم قام المساعد بضرب عدة ضربات بالسوط في الهواء، ثم تحسَّس القط البري لحيته وقال:

"إن اليوم هو اليوم الثالث لانعقاد هذه المحكمة، وإني أريد أن ننهي هذه المحاكمة بالتصالح بينكم، فما رأيكم".

فقالوا:

"لا".

ثم تعالت أصواتهم، كلٌّ يحاول إقناع الآخر برأيه، فقال القطُّ البَرِّيُّ:

"كفى ضوضاء، هنا محكمة، هدوء".

ثم قام المساعد بالضرب بالسوط عدة ضربات في الهواء، فهدأت جميع ثمار الكستناء، فقال القط البري لـ"إتشرو":

"كما ترى، هل تعرف كيف نحلُّ هذه المشكلة؟".

فضحك "إتشرو" وقال:

"ما رأيك أن تقول لهم إن أفضلهم هو أكثرهم تهوُّرًا، وغير منطقي، وغير دائري الشكل؟".

اقتنع القط البري بذلك، وفتح ياقة الرداء وقفل السترة الصفراء، واعتدل في جلسته وقال:

"حسنًا، هدوء، سوف أتلو الحكم، إن أفضلكم هو أكثركم تهوُّرًا وغير منطقي وغباء".

فسكتت ثمار الكستناء ولم يتكلم أحد منهم، ثم اقتربوا من بعضهم البعض، وحينئذ قام القط البري بخلع الرداء الأسود ومسح العرق الذي كان يتصبَّب على جبهته وأمسك يد "إتشرو"، وفرح المساعد جدًّا بهذا الكلام، وقام بالضرب السوط في الهواء ستَّ مرات، ثم قال القط البري:

"شكرًا جزيلا يا إتشرو، لقد أنهيتَ محاكمةً صعبة جدًّا في دقيقة ونصف فقط، من فضلك أَصبِح قاضيًا شرفيًّا، فعندما تصلك بطاقة بريدية فأرجو الحضور، وسوف أقوم بإعطائك هدايا مقابل حضورك".

فقال "إتشرو":

"نعم، ولكن لا أريد هدايا".

ثم قال القط:

"لا بل من فضلك اقبَلْ الهدايا، فأنا أحب إعطاء الهدايا لمن يقدِّم لي معروفًا، بجانب أننا سوف نكتب على البطاقة البريدية 'السيد إتشرو'، وسوف يكون هذا المكان المحكمة".

فقال "إتشرو":

"فهمتُ، وموافق".

ثم فكَّر القط البري قليلًا، وتحسَّس لحيته، وأخيرًا قال:

"ما رأيك أن أكتب في البطاقة البريدية أنه يجب عليك الحضور في اليوم التالي؟".

فضحك "إتشرو"، وقال:

"سوف يكون كلامًا غريبًا، أرجو عدم كتابة ذلك".

تحسَّس القط البري لحيته قليلًا، وشعر أنه قال شيئًا سيئًا، ونظر إلى أسفل ثم قال:

إذا كنت ترى ذلك فسوف أكتب مثلما كتبتُ سابقًا، وبالنسبة للهدية فهل تحب أن تحصل على جوال كستناء ذهبي أو رؤوس أسماك سلمون مملَّحة، أيَّهما تحب؟".

فقال "إتشرو":

"ثمار كستناء ذهبية".

فقال القط بسرعة إلى مساعده:

"جميل أنك لم تختر رؤوس أسماك السلمون".

ثم قال لمساعده:

"أحضِرْ جوال ثمار كستناء بسرعة، وإذا لم يكن هناك ما يكفي لملء جوال فاستخدم الكستناء المغطى بالذهب".

فأحضر المساعد ثمار الكستناء وهو يقول:

"جوال بالضبط".

أطارت الرياح طرف السترة القصيرة التي يرتديها القط البري، فوقف وأغلق عينيه وقال هو يتثاءب:

"جهِّزْ العربة".

فأخرج العربة التي يجرُّها حصان والمصنوعة من فُطرٍ كبير أبيض، وكان مُعلَّقًا فيها حصان شكله غريب، حيث إن لونه رمادي.

ثم قال القط البري لـ"اتشرو":

"سوف أقوم بتوصيلك إلى منزلك".

وركب الاثنان العربة التي يجرُّها الحصان، ووضع المساعد جوال ثمار الكستناء في داخل العربة، وغادرت العربة الأرض العشبية، فاهتزَّت الأشجار والبوص. نظر "إتشرو" إلى الكستناء الذهبي، ونظر القط البري بعيدًا متجاهِلًا "إتشرو"، وكلَّما سارت العربة كلَّما قَلَّ ضوء ثمار الكستناء، وعندما توقَّفَت العربة تحوَّل لون ثمار الكستناء إلى لون الكستناء العادي، وهو اللون البني، ثم اختفت مرةً واحدة السترةُ الصفراء للقط البري، ومساعده، والعربةُ المصنوعة من الفطر، ووقف "إتشرو" أمام منزله وهو يحمل جوال الكستناء.

وبعد ذلك لم تأتِ من القط البري بطاقات بريدية إلى "إتشرو"؛ ولذلك فإن "إتشرو" أحيانًا كان يقول لنفسه:

"كان من الأفضل لي أن أوافق على أن يكتب لي القط البري في البطاقة البريدية:

'يجب الحضور'".

******

# عازف التشيللو

"جو" هو اسم عازف آلة الكمان الكبيرة، والمسمَّاة "تشيللو"، في قاعة السينما بالمدينة، ولكنه مشهور بأنه ليس عازفًا جيدًا، وفي الواقع هو ليس عازفًا سيئًا، بل هو الأسوأ في فرقته الموسيقية؛ ولذلك دائمًا يُعَنِّفه مايسترو الفرقة.

وبعد الظهر تجمَّعَت الفرقة في حجرة الموسيقى، وجلسوا على شكل دائرة، للقيام بتدريبات على السمفونية السادسة لبيتهوفن، والتي سوف يعزفونها في حفل موسيقى المدينة القادم.

عازف البوق (الترومبيت) كان يعزف بكل ما استطاع من مهارة، وكان عازفا الكمان (ڤيولين) يعزفان وكأن كلًّا منهما رياح تطير وتتناسق مع الرياح الأخرى، وكان عازف المزمار (كلارنيت) يساندهما في عزف ذلك.

كان"جوشو" يغلق فمه بإحكام وينظر إلى النوتة الموسيقية وهو يفتح عينيه عن آخرهما، ولا يفكِّر إلَّا في العزف فقط، كان يعزف بتركيز واجتهاد.

وفجأة ضرب المايسترو كفًّا بكفٍّ، فتوقف الجميع فورًا عن العزف، وساد صمت، وصاح المايسترو في غضب:

"التشيللو متأخِّر عن الجميع، سوف نعيد من بداية المقطع، هيا".

بدأ الجميع في إعادة المقطع الذي كانوا يعزفونه، احمرَّ وجه "جوشو" احمرارًا شديدًا، وعرقت جبهته، ولكنه اجتهد وفعل ما طُلِب منه، فشعر بالطمأنينة واستمرَّ في عزف ما بعد ذلك، ولكن المايسترو فجأة ضرب بيده، وقال:

"يا عازف التشيللو، ليست هذه النغمة المطلوبة، أنت تُسبِّب لنا مشكلة، ليس عندي وقت فراغ كي أعلِّمَك نغمات السلم الموسيقي".

شعر الجميع بالحزن على عازف التشيللو، البعض تظاهروا بأنهم مشغولون بقراءة النوتة الموسيقية الخاصة بهم، والبعض تظاهروا بالعزف على آلتهم الموسيقية، والبعض تظاهروا بتفقُّد آلاتهم الموسيقية، وقام "جوشو" بضبط أصوات أوتار آلته بسرعة، وفي الحقيقة فإن "جوشو" مخطئ، ولكن آلة التشيللو التي يعزف عليها أيضًا سيئة.

المايسترو: "سوف نعيد من بداية المقطع، هيا".

بدأ الجميع في الإعادة، وظهرت على ملامح "جوشو" الجدية، وعزف بكل ما يستطيع من مقدرة، ونتيجة لذلك تقدَّموا في العزف بطريقة سَلِسَة، واعتقد "حوشو" أن الأمور أصبحت تسير على ما يرام، ولكنه سمع صوت المايسترو وهو يضرب بيده فجأة بقوَّة وكأنه يهدِّد،

فقال "جوشو" لنفسه: "سوف يعنِّفني مرة أخرى"، ولكن لحسن حظه، أن المايسترو عنَّف عازفًا آخر غيره، وحينئذ فعل "جوشو" مثلما فعل الآخرون عندما كان المايسترو يعنِّفه؛ تظاهر بأنه ينظر إلى نوتته الموسيقية ويفكر في بعض الأمور.

ثم قال المايسترو:

"حسنًا، نبدأ من التالي، هيا".

وحينئذ اعتقد "جوشو" أن الموقف الغاضب للمايسترو قد انتهى، وعاد للعزف بطريقته العادية، ولكن فجأة ضرب المايسترو بقدمه على الأرض بقوة، وانفجر غاضبًا:

"شيء سيئ، ما هذا، هذا ليس عزفًا على الإطلاق، هذا أهمُّ جزء في السمفونية، عزف فيه خشونة، لا يتَّصِف بالنعومة ولا بالصفاء. يا سادة، ليس أمامنا إلا عشرة أيام على الحفل. نحن متخصِّصون في العزف الموسيقي، ولكن عزفنا الحالي لن يجعلنا نحصل على رضا المستمعين، حتى لو تَنافَسنا مع عامل تركيب حدوة للحصان، أو طفل يعمل في متجر لبيع الحلوى، سيكون أفضل منَّا في العزف. هذا العزف سوف يهين كرامتنا وكبرياءنا كعازفين متخصصين. أنت يا جوشو، أنت مشكلة بالنسبة لنا، لا تظهر في عزفك المشاعر والأحاسيس، لا الشعور بالغضب ولا الشعور بالسعادة يظهران في عزفك، كما أن عزفك لا يتوافق مع عزف الآخرين، أنت دائمًا متأخِّر عن الآخرين، كشخص يسير خلف الآخرين لأن رباط حذائه مفكوك، ممَّا يجعله يزحف بحذائه ببطء فيتأخر عن الآخرين، أنت مشكلة، اجتَهِدْ من أجل الجميع، لو ظللتَ على هذا الوضع سوف تجعل سمعة فرقتنا الموسيقية "فرقة ڤينوس (كوكب الزهرة) الموسيقية" في الحضيض، وسوف تُسيء إساءة بالغة لجميع زملائك، حسنًا، تدريبات

اليـوم تنتهـي بهـذا، راحـة، ثـم الدخـول إلى قاعـة العازفـين في المـسرح في السـاعة السادسـة".

انحنـى الجميـع كتحيـة، ثـم وضـع بعضهـم السـجائر في أفواههـم وأشـعلوا أعـواد الكبريـت، وتـرك بعضهـم المـكان وذهبـوا ناحيـة جهـة مـا، أمـا "جوشـو" فقـد حمـل التشـيللو الـذي يبـدو كصنـدوق رخيـص، ثـم اتجـه ناحيـة الحائـط وبـكى بحُرقـةٍ سـيولًا مـن الدمـوع، وبعـد أن هـدأت نفسـه، بـدأ في إعـادة عـزف مـا عزفـه اليـوم مـع الفرقـة وحيـدًا وفي هـدوء.

وفي تلـك الليلـة حمـل "جوشـو" لفافـة سـوداء وكبـيرة وعـاد بهـا إلى منزلـه، ومنزلـه مـا هـو إلا كـوخ لسـاقية مكسـورة، يقـع عـلى ضفـة النهـر في طـرف المدينـة، ويعيـش في هـذا الكـوخ "جوشـو" وحيـدًا، وفي الفـترة الصباحيـة يقـوم "جوشـو" بتقطيـع أعـواد الطماطـم، وجمـع الـدود الموجـود في الكرنـب، وبعـد الظهـر يخـرج مـن المنـزل. دخـل "جوشـو" المنـزل، وأشـعل المصبـاح، وفتـح اللفافـة السـوداء التـي كان يحملهـا، لم يكُـن فيهـا شيء غـير عـادي، كانـت تحتـوي عـلى التشـيللو الـذي كان يعـزف عليـه بطريقـة خَشِـنَة وقـت العـصر، وضـع "جوشـو" التشـيللو فـوق الأرض، وبسرعـة أحـضر كوبًـا مـن عـلى الـرَّفِّ وأخـذ مـاء مـن الدلـو، وشرب الكثـير.

ثـم هـزَّ رأسـه مـرة، وجلـس عـلى مقعـد وبـدأ في العـزف عـلى النوتـة الموسـيقية بقـوة وكأنـه نمـر هائـج، يعـزف وهـو يقـرأ النوتـة، ويفكـر ثـم يفكـر، يعـزف باجتهـاد إلى أن ينتهـي مـن المقطوعـة، ثـم يبـدأ مـن جديـد، وبعـد أن ينتهـي، يبـدأ مـرة أخـرى مـن جديـد، وهكـذا ظـلَّ يكـرِّر ويكـرِّر.

وظـلَّ يعـزف إلى وقـت متأخـر بعـد منتصـف الليـل، لدرجـة أنـه لم يكن يعـي إذا كان يعـزف أم لا، واحمـرَّ وجهـه احمـرارًا شـديدًا، وتحـوَّل بيـاض عينيـه إلى دم، وأصبحـت ملامـح وجهـه شـديدة الغرابـة، لدرجـة أنـه بـدا عليـه أنـه أوشـك عـلى السـقوط عـلى الأرض فاقـد الوعـي.

وفي تلك اللحظة طرق شخصٌ ما البابَ الذي خلفه بقوَّة عدَّةَ مرَّات.

فصاح "جوشو" وهو يشعر بدوار:

"هل أنتَ السيد هوش؟".

والذي دفع الباب ودخل وكاد أن ينكفئ هي القطة "كاليكو"، وهي قطة كبيرة وذات فرو متعدِّد الألوان، ولقد سبق أن شاهدها "جوشو" حوالي ستِّ مرات.

ولقد أحضرت طماطم من حقل "جوشو"، وكانت الطماطم نصف ناضجة، وبدا أن حِمل الطماطم ثقيل عليها، ثم وضعت الطماطم أمام "جوشو"، وقالت:

"آه، لقد تعبت، حملها كان شديد الصعوبة".

فسأل "جوشو":

"ما هذا؟".

مكتبة
t.me/soramnqraa

قالت القطة:

"هذا هدية لك، تفضَّلْ بتناولها".

وبسبب ما وقع على "جوشو" من تعنيفٍ كثير منذ الظهيرة، فقد غضب، وقال صائحًا:

"مَن قال لك أن تُحضري لي طماطم؟ هل تعتقدين أنني سوف أتناول ما أحضرتِه لي؟ وفوق ذلك، هذه الطماطم من حقلي، ماذا! وجمعتِ الطماطم التي لم تنضج بعدُ! هذا يعني أن مَن كان يدغدغ فروع أشجار الطماطم بأسنانه ويبعثرها هنا وهناك هو أنتِ، اخرُجي من منزلي أيتها القطة السيئة".

وحينئذ لفَّت القطة جسمها على شكل دائرة وأغمضت عينيها، وابتسمت، وقالت:

"لا تغضب هكذا يا أستاذ، الغضب ضارٌّ بصحتك، والأهم من ذلك أن تعزف مقطوعة الأحلام للمؤلف الموسيقي روبرت شومان، سوف أستمع إليك".

"جوشو": "أنتِ تطلبين الكثير، مَن تظنين نفسك أيتها القطة؟!".

شعر "جوشو" بالضيق من طريقة كلام وتصرُّفات القطة، وقال لنفسه: "ماذا تريد هذه القطة مني؟".

القطة: "لا تشعر بالخجل، تفضَّل اعزف، لا أستطيع النوم إذا لم أسمع عزفك".

احمرَّ وجه "جوشو" بشدة، وفعل مثلما فعل المايسترو، فضرب بقدمه الأرض، وصاح غاضبًا:

"أنت متكبِّرة، متكبِّرة، متكبِّرة".

ولكنه بعد بُرهةٍ غيَّر رأيه، وقال:

"حسنًا، سوف أعزف".

ودون سبب واضح، أغلق الباب بإحكام، وأغلق جميع النوافذ، وبعد ذلك أخرج التشيللو، وأغلق المصباح، وحينئذ دخل ضوء القمر، الذي تخطَّى اليوم العشرين في الشهر، إلى المنزل، فأضاء ما يقرب من نصفه.

جوش: "قلتِ أعزف ماذا؟".

قالت القطة: "السيمفونية الرومانسية لروبرت شومان والمسمَّاة 'الأحلام'".

وعزَفَتها بالصفير بفمها.

جوشو: "فهمت. سمفونية الأحلام ما عزفتِها صفيرًا الآن".

ودون سبب واضح، أخذ "جوشو" منديلًا وسَدَّ به فتحتي أذنَيْه بإحكام، ثم بدأ في عزف النوتة الموسيقية لمقطوعة "صيد النمور في الهند" بعُنفٍ وكأنه رياح عاصفة.

وحينئذ أمالت القطة رأسها جانبًا وأنصتت، ولكن فجأة فتحت عينيها وأغمضتهما عدَّة مرات، ثم فجأة قفزت ناحية الباب، وفجأة ألقت بجسدها تصدمه كي ينفتح، ولكنه لم ينفتح، فخرج من عينيها وجبهتها شعاعٌ وكأنه نار، ممَّا يدلُّ على أنها شعرت أنها ارتكبت أكبر خطأ في حياتها، ثم فجأة خرج شعاع آخر من شاربها ومن أنفها، ثم شعرت بدغدغة، ثم بدا على وجهها لبرهة أنها تعطس، ثم بدأت في السير، وبدا عليها أنها تقول لنفسها: "لن أستطيع تحمُّل هذا الوضع أكثر من هذا"، فشعر "جوشو" أن ما يحدث بينه وبين القطة شيء مثير وشيِّق وجذَّاب وممتع، وهذا جعله يعزف بكل قوته وبعنف أكثر وأكثر.

فقالت القطة:

"أستاذ، هذا يكفي، هذا كافٍ جدًّا، من فضلك توقَّفْ، من الآن فصاعدًا لن أطلب منك عزف قطعة معيَّنة".

"جوشو": "توقَّفي عن الكلام. الآن سوف أعزف مقطع المكان الذي صادوا فيه النمور".

بدا على القطة التعب وصعوبة في التَّنفُّس، وظلَّت تقفز عاليًا وتلفُّ وتدور وتلصق جسمها في الحائط، وبعد أن ارتمت على الحائط خرج لفترة منها أشعَّةٌ زرقاء، وفي النهاية أخذت تلفُّ وتدور حول "جوشو" دون توقُّفٍ، مثل طواحين الهواء.

لفَّ "جوشو" عدَّة مرات في المنزل، ثم جاء إلى القطة، وقال:

"حسنًا، سوف أتوقَّف عن العزف إلى هنا وأصفح عنكِ".

ثم توقَّف فعلًا.

وحينئذ قالت القطة بطريقة عادية، وكأنَّ شيئًا لم يحدث:

"ماذا حدث لك اليوم يا أستاذ؟ عزفك ليس مثل عزف كل يوم!".

فشعر "جوشو" بضيق شديد من سؤالها، ولكنه أخرج سيجارة ووضعها في فمه، ثم أخذ عود كبريت وقال، وكأن شيئًا لم يحدث:

"ما رأيُكِ في عزفي اليوم؟ ألا تشعرين بالضيق منه؟ من فضلك، أخرِجي لسانَكِ".

فأخرجت القطة لسانها بطريقةٍ وكأنها تغيظ "جوشو"، وكان لسانًا طويلًا وحادًّا.

فقال "يبدو أنه ملتهب بعض الشيء".

وفجأة وضع "جوشو" عود كبريت على لسان القطة وسحبه، فاشتعل، فأشعل به سيجارته، اندهشت القطة وقامت بلَفِّ لسانها كما تلفُّ طاحونة الهواء، وذهبت إلى باب مدخل المنزل، واصطدمت به برأسها، فشعرت بدوار، ثم كرَّرَت ذلك عدة مرات؛ فقد كانت تحاول فتح طريق للهروب.

وكان "جوشو" يشاهدها وهو مستمتع، ولكنه قال لها:

"سوف أتركك تخرجين، ولكن لا تأتي هنا مرة أخرى أيتها الحمقاء".

وفتح لها "جوشو" الباب، فأسرَعَت جريًا بين البوص كالرياح، فضحك "جوشو"، وبعد هذا هدأت الأمور ودخل "جوشو" في نوم عميق.

وفي الليلة التالية أيضًا، رجع "جوشو" إلى المنزل بلفافةٍ سوداء تحتوي على التشيللو، ثم شرب الكثير من الماء، وعزف كثيرًا على التشيللو مثلما فعل الليلة السابقة، وتخطَّت الساعة الثانية عشرة ليلًا، ثم الواحدة صباحًا، ثم الثانية صباحًا، ولكن "جوشو" لم يتوقف عن العزف، ولم يعُد يعلم الوقت ولا يعلم إذا كان يعزف أم لا، ولكن ظلَّ مستمرٌّ فيما يفعل، وفجأة سمع صوت شخص ما يضرب ضربًا متقطعًا على حجرة سطح المنزل.

فصاح "جوشو" قائلًا:

"أكيد أنها القطة تعاود الكرَّة".

ولكن فجأة سمع صوت نقر من فتحة في السطح، لقد كان طائرًا بلون النار، شاهده "جوشو" عندما جاء ووقف على أرض المنزل، لقد كان طائر الوقواق.

فقال "جوشو":

"حتى الطيور تأتي! شيء عجيب! ماذا تريد أيها الطائر؟".

قال الوقواق بطريقة جادَّة:

"أريد أن أتعلم الموسيقى".

ضحك "جوشو"، وقال:

"موسيقى؟ أنت كل ما تعرفه من الغناء أن تُغرِّد وتقول 'صو، صو، صو'. أليس كذلك؟".

وحينئذ قال الوقواق بطريقة جادَّة جدًّا:

"نعم، هذا صحيح، ولكن ذلك التغريد صعب".

"جوشو": "صعب! التغريد بكثرة شيء مُتعِب جدًّا، ولكن التغريد في حدِّ ذاته شيء يسير جدًّا لدرجة التفاهة".

الوقواق: "لا، إنه على عكس ذلك، إنه صعب جدًّا، إن صو التي يقولها وقواق، غير صو التي يقولها وقواق آخر، ألا تتَّفق معي؟".

"جوشو": "لا أتفق معك. إنهما لا يختلفان، إنهما الشيء نفسه".

الوقواق: "حسنًا، هذا يعني أنك لا تستطيع التمييز بينهما، حتى عندما أكون وسط عشرة آلاف وقواق، فإنني أسمع عشرة آلاف 'صو' تختلف عن بعضها".

"جوشو": "ما تقوله هراء، لو كنتَ تستطيع فعل ذلك، لم تَكُن تأتي لي لتعليمك، أليس كذلك؟".

الوقواق: "للعلم، لقد أتيت إليك لأنني أريد أتقن معرفتي بالسُّلَّم الموسيقي (دو ري ما فا صو لا سي)".

"جوشو": "ماذا تفعل بإتقانك السُّلَّم الموسيقى، إنه ليس مفيدًا لك في شيء، أليس كذلك".

الوقواق: "لا، بل مفيد، أحتاج أن أتقنه قبل أن أذهب إلى البلاد الأجنبية".

"جوشو": "بلاد أجنبية! لا أفهم ما تقول".

الوقواق: "المهم يا أستاذ أن تعلِّمني السُّلَّم الموسيقي، أنت تعزف وأنا وسوف أغرِّد على عزفك".

"جوشو": "أنتَ مزعج! سوف أعزفه لك ثلاثة مرات فقط، وبعد ذلك ترجع على الفور إلى منزلك".

أحضر جوش التشيللو وضبط المفاتيح وعزف السلم الموسيقي، وحينئذ ضرب الوقواق بجناحيه عدة مرات، وقال:

"هذا خطأ، هذا خطأ، هذا ليس عزفًا صحيحًا للسُّلَّم الموسيقي".

"جوشو": "أنت مزعج، حسنًا فلتعزفه أنت".

الوقواق: "هكذا".

أحنى الوقواق جسمه إلى الأمام، وظلَّ هكذا لبرهة، ثم عزف مرة.

"جوشو": "ماذا! هل هذا هو السُّلَّم الموسيقي؟ هذا يعني أنه بالنسبة لكم أن السُّلَّم الموسيقي والسمفونية السادسة لبتهوفن الشيء نفسه!".

الوقواق: "لا، ليسا الشيء نفسه".

"جوشو": "إذًا ما المختلف بينهما؟".

الوقواق: "المشكلة في ذلك أن تغريد 'صو' كثيرًا، مع تغيير النغمة، شيء صعب".

"جوشو": "أليس السلم الموسيقي هكذا؟".

ثم أمسك "جوشو" بالتشيللو وعزف السلم الموسيقي.

فشعر الوقواق بسعادة غامرة هذه المرة من عزف "جوشو"، ودخل فغرَّد بصوت عالٍ على عزف "جوشو"، فأحنى جسمه إلى الأمام، واجتهد بكل ما يستطيع، وغرَّد بعلو صوته.

وبعد مدة شعر "جوشو" بألم في يده من كثرة العزف، فقال:

"أنت، كفى إلى هنا، أليس كذلك؟".

ثم توقَّف عن العزف، نظر الوقواق إلى أعلى حزنًا لما سمع، ولكنه استمر فترةً في التغريد، ثم توقَّف.

غضب "جوشو" غضبًا شديدًا، وقال:

"يا أيها الطائر، لقد حصلت على ما أتيت من أجله، فانصرِفْ".

الوقواق: "أنت تعتقد أن عزفك جيد، ولكن في الحقيقة، ما زالت عندك بعض الأخطاء".

"جوشو": "ماذا تقول! أنتَ لست أستاذي كي تعلِّمني كيف أعزف، ألا تريد أن تنصرف؟".

الوقواق: "أتوسَّل إليك أن تعزف مرة أخرى".

ثم أحنى رأسه لـ"جوشو" عدَّة مرَّات مُستَعطِفًا.

"جوشو": "حسنًا، مرة واحدة فقط".

ثم استبدل "جوشو" القوس، ثم أخذ الوقواق نَفَسًا عميقًا، وقال:

"حسنًا، لو سمحت سيادتكم، التطويل في العزف على قدر ما تستطيع...".

ثم انحنى مرة أخرى إلى "جوشو" تَوسُّلًا.

قال "جوشو": "شيء مُمِلٌّ ومُتعِب".

ثم ضحك ضحكة تدلُّ على الغضب، وبدأ في العزف، وحينئذ أخذ الوقواق الأمر بجدية تامة، وانحنى وبدأ في التغريد بكل ما يملك من قوة، وكان "جوشو" يعزف في البداية دون اهتمام، ولكن أثناء ما كان يعزف، لاحظ أن تغريد الوقواق مع السُّلَّم الموسيقي متطابق معه تمامًا، وكلما عزف تنبَّه إلى أن الوقواق أفضل منه في معرفة السُّلَّم الموسيقي.

وفجأة توقَّف "جوشو" عن العزف، وقال:

"لو ظللت أفعل الحماقة التي أفعلها الآن، لتحوَّلتُ إلى طائر الوقواق أيضًا".

وإذا بالوقواق يُصاب بالدوار وكأنه ضُرِب على رأسه، ثم يغرِّد قليلًا مثلما كان يفعل منذ قليل، ثم يتوقف عن التغريد، ثم قال:

"لماذا توقَّفتَ عن العزف يا جوشو؟ نحن ـ حتى لو بيننا مريض ـ لا نتوقَّف عن الغناء بأعلى صوت إلى أن ننزف دماء من الحلق".

"جوشو": "ما هذه الوقاحة! هل تعتقد أنني سوف أتحمَّل حماقاتك هذه إلى ما لا نهاية؟ هيا، انصَرِفْ من هنا، انظر، لقد أوشك الفجر على الطلوع، ألا ترى ذلك؟".

ثم أشار بإصبعه تجاه النافذة.

تحوَّل لون الناحية الشرقية من السماء إلى لونٍ ذهبيٍّ باهت، وجرى من ناحيتها متَّجهًا إلى الشمال سحاب أسود.

قال الوقواق: "من فضلك تعزف إلى أن تطلع الشمس، اعزِفْ مرَّةً أخرى، لم يَبقَ على طلوع الشمس إلا قليل من الوقت".

ثم أحنى الوقواق رأسه إلى "جوشو" تَوسُّلًا.

داس "جوشو" على الأرض بعنف، وقال: "اخرس، أنتَ تَمادَيتَ. أيها الطائر، اخرُجْ وإلا أمسكت بكَ ونزعت ريشك وتناولتك كطعام للإفطار".

فشعر الوقواق فجأةً بالذُّعر، وطار كي يخرج من النافذة، فصدم زجاج النافذة رأسه بعنف، فسقط واصطدم بالأرض بقوة.

"جوشو": "ماذا! صدمتَ زجاج النافذة! ما هذه الحماقة!".

وقف "جوشو" بسرعة وحاول فتح النافذة، ولكنه لم يكن يفتح تلك النافذة باستمرار؛ ولذلك لم تُفتَح، وبينما كان "جوشو" يهزُّ إطار النافذة كي تنفتح، إذا بالوقواق يطير ويصطدم مرة أخرى بزجاج النافذة ويسقط على الأرض، وعندما نظر "جوشو" إلى الوقواق بإمعانٍ وجد دمًا ينزف من مؤخرة منقاره.

"جوشو": "انتظر، سوف أفتح النافذة لك الآن".

ثم فتحها قليلًا، فوقف الوقواق وظلَّ ينظر شرق السماء من النافذة، وعزم على الخروج هذه المرة منها بسلام، فاستجمع قوته وضرب الهواء بأجنحته، ثم طار، ولكنه اصطدم هذه المرة أيضًا

بزجاج النافذة وسقط سقطةً فظيعة، لم يتحرك على إثرها لمدة، فحاول "جوشو" مسكه وإخراجه من الباب كي يطير، ولكن عندما مدَّ يده إلى الوقواق، فتح الوقواق عينيه فجأة ثم طار، ولكنه كان على وشك الاصطدام بزجاج النافذة مرة أخرى، فرفع "جوشو" قدمه لأعلى وضرب بها النافذة، فتحطَّمَت النافذة وانكسر الزجاج منقسمًا إلى عدة ألواح، مُحدِثًا صوت انكسار هائلًا، ثم سقطت النافذة بكاملها خارج المنزل، وبعد سقوط النافذة، انطلق الوقواق كالسهم إلى الخارج، وظلَّ يطير في خطٍّ مستقيم دون انحراف أو توقُّف، إلى أن أصبح خارج مرمى البصر، وظلَّ "جوشو" لفترة ينظر إلى الخارج وهو في ذهول، ولكنه تَحامَل وذهب إلى أحد أركان الحجرة وألقى بنفسه على الأرض فنام نومًا عميقًا.

وفي الليلة التالية، عزف "جوشو" إلى ما بعد منتصف الليل على التشيللو، فشعر بالتعب، فتناول كوب ماء، وحينئذ سمع صوت طَرْق متواصل على الباب.

فقال في سريرته، إذا جاء زائر مثل الوقواق، سوف أخيفه وأطرده من البداية، واستعدَّ لفعل ذلك وهو ممسك بالكوب، وإذا بالباب يُفتَح قليلًا ويدخل حيوان راكون صغير، ففتح "جوشو" الباب أكثر وطرق الأرض بقوَّةٍ بقدمه، وصاح بغضب:

"أنت، يا راكون، هل تعرف حساء الراكون؟".

وكانت ملامح وجه الراكون تدلُّ على أنه شارد الذهن، وقد جلس على الأرض باحترام، وأمال رأسه بما يدل على عدم معرفته بذلك الحساء تمامًا، ثم أخذ يفكر لمدة، ثم قال:

"لا أعرف حساءً اسمه حساء الراكون".

نظـر "جوشـو" إلى وجـه الراكـون، ودون أن يـدري، شـعر برغبـة في الضحـك، ولكنـه تحامـل عـلى نفسـه وتماسـك ولم يضحـك، بـل تصنَّـع أن يبـدو وجهـه مرعبًـا، ثـم قـال:

"سـوف أخـبرك، حسـاء الراكـون هـو خليـط مـن لحـم الراكـون وكرنـب وملـح، ويُسـلَق جيـدًا، وبعـد ذلـك نأكلـه نحـن".

فقال الراكون:

"ولكـن أبي قـال لي إن السـيد جوشـو إنسـان جيـد جـدًّا، ولا يجـب أن تشـعر بالخـوف منـه، اذهـب إليـه وتعلَّـمْ منـه".

وسمع "جوشو" ذلك، وبعد برهة ضحك، وقال:

"قـال لـك مـاذا تتعلَّـم منـي؟ أنـا مشـغول، ألا يبـدو ذلـك؟ وفـوق ذلـك أنـا أشـعر برغبـة في النـوم".

فتقـدَّم الراكـون خطـوة إلى الأمـام بسرعـة، وكأنـه شـعر بالثقـة في ذاتـه، وقال:

"أنـا المسـؤول عـن العـزف عـلى الطبـول الصغـيرة المسـمَّاة 'درامـز'، ولقـد قـال لي اذهـب فتعلـم كيـف توفِّـق العـزف عـلى الدرامـز عندمـا يعـزف السـيد جوشـو عـلى التشـيللو".

"جوشو": "ولكن أين الدرامز؟ أنا لا أراها معك!".

الراكون: "انظر، إنها هنا".

ثم أخرج عصوين كان قد ربطهما على ظهره".

فقال "جوشو":

"ماذا سوف تفعل بهاتين العصوين؟".

الراكـون: "حسـنًا، مـن فضلـك اعـزِفْ مقطوعـة (سـائق عربـة الخيـل السـعيد) لبتهوفـن".

"جوشو": "ماذا! إنها موسيقى چاز، أليس كذلك؟".

الراكون: "نعم، النوتة الموسيقية لتلك المقطوعة هنا".

ثم أخرج الراكون النوتة موسيقية من على ظهره، فأخذها "جوشو" ونظر إليها وضحك، ثم قال: "مقطوعة غريبة، حسنًا، هيا نعزفها، طبعًا أنت سوف تعزف على الدرامز".

وبدأ "جوشو" يعزف على التشيللو، وهو ينظر بطرف عينه ويختلس النظر إلى الراكون كي يعرف ماذا سوف يفعل.

وحينئذ أمسك الراكون بالعصا، وجلس أسفل قوس التشيللو، وبدأ في الضرب على الجزء لأسفل من التشيللو وكأنها طبلة درامز، وقد فعل ذلك بمهارة، فشعر "جوشو" تدريجيًّا بأن عزف الراكون ممتع، واستمرَّا في العزف معًا إلى النهاية، وحينها أمال الراكون رأسه على جانب وفكَّر.

وبعد التفكير بدا عليه أنه توصَّل إلى شيء ما، فقال:

"أنت يا سيد جوشو تتأخَّر في العزف على الوتر رقم 2، وهذا يُسبِّب لي مشكلة؛ لأنه يجعلني أتأخر أيضًا عن العزف".

شعر "جوشو" بقلبه ينقبض، لأن ما قاله الراكون صحيح. فقد لاحظ "جوشو" منذ أمس أنه مهما حاول بكل سرعته أن يجذب ذلك الوتر، فإن الصوت لا يخرج في الحال، بل يخرج بعد برهة.

فقال "جوشو" بحزن:

"نعم هذا صحيح، فهذا التشيللو سيئ".

وحينذاك شعر الراكون بالشفقة على "جوشو"، وأخذ يفكِّر لبعض الوقت، ثم قال:

"ما السيئ في هذا التشيللو؟ من فضلك اعزِفْ مرَّةً أخرى".

"جوشو": "حسنًا، سوف أعزف".

بدأ "جوشو" في العزف، والراكون يضرب على الدرامز، وأحيانًا يميل رأسه ويسمع بإنصات إلى التشيللو، وعندما انتهيا من العزف، كان ضوء الصباح يضيء شرق السماء إضاءة باهتة.

فقال الراكون: "لقد طلع الفجر، شكرًا جزيلًا".

ثم أسرع بوضع النوتة والعصوين على ظهره وثبَّتهما بشريط لاصق، ثم انحنى تحية للسيد "جوشو" عدَّة مرات، ثم خرج مسرعًا.

شرد "جوشو" بذهنه فيما حدث ليلة أمس، حيث تحطَّمَت النافذة، واستنشق الهواء الذي يدخل منها، ثم دخل فِراشه بسرعة كي ينام ليستردَّ عافيته، حتى يأتي الوقت الذي يذهب فيه إلى المدينة.

وفي الليلة التالية، ظلَّ "جوشو" طوال الليل يعزف على التشيللو، إلى أن أوشك الفجر على الطلوع، وشعر بالتعب والنعاس وهو ممسك بالنوتة الموسيقية، وحينئذ سمع صوت طَرْقًا مستمرًّا على الباب، وكان صوتًا خفيفًا لدرجة أن "جوشو" لم يكن متأكِّدًا إذا كان هناك صوت طَرْق أم لا، ولكن بما أن طرق الباب شيء يحدث كل ليلة، فقد أجاب فورًا بقوله:

"تفضَّل ادخل"

وإذا بفأرة من الغابة تدخل من الباب المفتوح قليلًا، وكانت تصطحب ابنها الصغير جدًّا، وسارا رويدًا رويدًا، وقد ضحك "جوشو" على الفأر الصغير، لأنه كان صغيرًا لدرجة أنه كان في حجم المحاة، فقالت الفأرة لنفسها: "لماذا يضحك 'جوشو' علينا"، وذلك جعلها تشعر بارتباك، ولكنها جاءت أمام "جوشو" وأخرجت ثمرة كستناء خضراء، ووضعتها أمام "جوشو"، وانحنَت له احترامًا، وقالت:

"يا أستاذ، صحة هذا الطفل سيئة، وعلى وشك الموت، من فضلك عالِجْه برفق".

قال "جوشو" بغضب: "أنا لست طبيبًا".

نظرت أم الفأر إلى أسفل، وانتظرت فترة، ثم استجمعت قوتها، وقالت:

"أنت كاذب يا أستاذ، أنت كل يوم تعالج الجميع بمهارة، فتعود إليهم صحتهم، أليس كذلك؟".

"جوشو": "أنا لا أفهم، عمَّ تتحدثين؟".

فقالت "بفضلك شُفِيت جدَّة الأرنب، وأبو الراكون، لدرجة أنكَ عالجت البومة الشريرة، ولكنك ترفض أن تساعد ابني، هذا ظلم وافتراء وتصرُّفٌ لا يدلُّ على رحمة".

فقال "جوشو":

"ما هذا الذين تقولينه؟! أكيد هناك سوء فهم ما عندك، أنا لم يسبق لي أن عالجت في الحال أذن أحد كما تقولين، كل ما حدث أمس أن راكون صغيرًا جاء وشارك في العزف الموسيقي فقط".

ثم نظر إلى الفأر الصغير بدهشة وضحك.

فبكت أم الفأر، ثم قالت:

"إذا كان المفروض أن يمرض ابني، لو مرض منذ قليل لكان أفضل له، لأنك كنت تعزف منذ قليل، ولكنه مرِض في الوقت الذي توقَّفتَ فيه أنت عن العزف، وأنا الآن أتوسَّل إليك أن تعزف ولكنك ترفض، ابني حظه سيئ".

فاندهش "جوشو"، وصاح: "هل تريدين أن تقولي إنني بعزفي على التشيللو قد عالَجتُ البومة وعالَجتُ مرض جدَّة الأرنب! هذا شيء لم أكن أعلمه".

فقالت وهي تدعك عينيها بإحدى يديها:

"نعم، نحن الذين نعيش في هذه المنطقة، عندما نمرض، نأتي هنا وندخل في القبو الذي تحت منزلك فنُعالَج".

"جوشو": "وهل بعد ذلك تستعيدون صحتكم؟".

الفأرة: "نعم، تصبح دورة الدم في الجسد كله أفضل بكثير، ونشعر براحة شديدة، البعض تعود إليه صحته فورًا، والبعض تعود إليه صحته بعد أن يرجع إلى منزله".

"جوشو": "نعم، فهمت، استماعكم عزفي على التشيللو يكون بديلًا للعلاج بالتدليك؛ ولذلك عندما تسمعون عزفي على التشيلو، تعود إليكم صحتكم، حسنًا، فهمت جيدًا، سوف أعزف لابنك".

فضبط "جوشو" أوتار التشيللو، وفجأة أمسك بالفأر الصغير ووضعه من فتحة التشيللو إلى داخل التشيللو.

الفأرة الأم: "سوف أذهب مع ابني، في أي مشفى الأم تدخل مع ابنها".

قفَزَت الفأرة الأم كالمجنونة على التشيللو.

"جوشو": "يبدو عليك أنك تريدين الدخول معه دخل التشيللو".

حاول "جوشو" أن يُمرِّر الفأرة الأم من فتحة التشيللو، ولكن لم يدخل إلا نصف رأسها.

فضربت الفأرة الأم بأقدامها على التشيللو وصرخت في ابنها قائلة:

"هل أنت بخير في الداخل، لقد علَّمتُكَ عندما تدخل مكانًا أن تضع أقدامك الأمامية بجانب بعضها والخلفية كذلك".

ردَّ الفأر الابن على أمه من داخل التشيللو قائلًا:

"نعم. دخلت دون مشكلات، وأنا بخير".

"جوشو": "هو بخيرٍ، لا تقلقي عليه، ولا داعي للبكاء".

ثم حمل الفأرة الأم إلى أسفل التشيللو، وأمسك بالقوس وعزف بقوة مقطوعةً حماسية، وقد استمعت الفأرة الأم إلى تلك المقطوعة، ومنذ البداية كان يبدو عليها القلق، تدريجيًّا لم تستطيع التَّحمُّل أكثر من ذلك، فقالت:

"هذا يكفي، من فضلك أخرِجْ ابني من التشيللو".

"جوشو": "ماذا! حسنًا، سوف أتوقف إذا كانت هذه هي رغبتك".

ثم أمال "جوشو" التشيللو ووضع يده على فتحته، فخرج الفأر الابن في الحال على يد "جوشو"، فوضعه "جوشو" على الأرض في صمت، وكان الفأر مغلق العينين ويرتعش بشدة.

"جوشو": "كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ هل تشعر بتحسُّن؟".

لم يُجِب الفأر الابن، وظل فترةً بعينين مغلقتين، ويرتعش بشدَّة، ثم فجأة عاد إلى وعيه وقام وجرى.

الفأرة الأم: "لقد تحسَّنَت صحته، شكرًا جزيلًا".

وجرت الأم مع ابنها، ثم جاءا أمام "جوشو" وانحنيا طويلًا؛ شكرًا وامتنانًا، وقالا كثيرًا، حوالي عشر مرَّات:

"شكرًا جزيلًا".

وشعر "جوشو" بأنهما مسكينان، فسألهما:

"هل تأكلان الخبز".

شعرت الفأرة الأم بالمفاجأة من هذا السؤال التي لم تتوقَّعه، فنظرت حولها في دهشة، وارتبكت، وقالت:

"لا، الخبز يُصنع من دقيق القمح وذلك بعجنه وتحميره وتسخينه، فينتفخ ويصبح لذيذ الطعم، ولكنه لم يدخل منزلي إلى الآن، ونحن لم نأتِ من أجل الحصول على خبز، يكفيني ما فعلتَه من أجل ابني".

"جوشو": "لم أقصد أن أقول إنَّكِ جئت من أجل الحصول على خبز، أنا أسأل إذا كانت الفئران تأكل الخبز أم لا، واضحٌ من خلال كلامك أنكم يمكن أن تأكلوا الخبز، انتظري قليلًا، سوف أحضر خبز للطفل كي يأكله، إنه مفيد لصحته".

وضع "جوشو" التشيللو على الأرض، ثم أخرج رغيف خبز من خزينة حفظ الطعام، ووضعه أمام الفأرة الأم.

بَكَت الأم، ثم ضحكت، وكأن الجنون قد أصابها، ثم أحنت رأسها إلى "جوشو" شكرًا، ثم أمسكت رغيف الخبز بأسنانها، ثم جعَلَت ابنها يقف ويخرج أوَّلًا، ثم خرجت هي خلفه.

فقال "جوشو" لنفسه: "آه! كنت أعتقد أن المحادثة مع الفئران سهلة، ولكنها على العكس، متعبة".

ثم ألقى بنفسه في أحد الأماكن ونام بعمق شديد.

وبعد ذلك بستِّ ليالٍ، التقى أعضاء فرقة ڤينوس الموسيقية في حجرة الانتظار الملحقة بمسرح مبنى احتفالات المدينة، وكانت وجوههم حمراء من فرط الإجهاد، وكان كلٌّ يحمل آلته الموسيقية، وكانوا قد انتهوا حالًا من عزف السمفونية السادسة لبتهوڤن كاملة، وكانت أصوات التصفيق الحار التي مثل الرياح العاصفة ما زالت تدوِّي في المكان، وكان المايسترو يضع يديه في جيبيه وكان يسير هنا وهناك بين أعضاء فرقته، ويبدو عليه أنه غير عابئ بذلك التصفيق الحار، ولكنه كان سعيدًا سعادة لا حصر لها.

وما زال التصفيق الحاد مستمرًّا في القاعة، ولكن ليست هذه هي المشكلة، بل إن المشكلة كانت في ارتفاع صوت التصفيق أكثر وأكثر؛ ممَّا جعل أعضاء الفرقة يشعرون بالقلق، لأنهم لا يعرفون كيف يوقفون هذا التصفيق الحاد والذي لا ينتهي، وحينئذ دخل مقدِّمُ

الحفل، والذي يضع شريطًا على شكل وردة بيضاء كبيرة على صدره، وقال:

"الجمهور يصفِّق مُطالِبًا بعزف المزيد، هل يمكن أن تتفضَّلوا بعزف أي مقطوعة قصيرة لهم؟".

أكيد يقول أي مايسترو في تلك الحالة: "موافق"، ولكن قال مايسترو الفرقة:

"لا يمكن، لا أستطيع أبدًا تخيُّل شيء آخر نعزفه، بعد عزف تلك السمفونية الرائعة".

المقدِّم: "حسنًا، اخرج وحيِّهْم من فضلك يا مايسترو".

فقال المايسترو: "لا يمكن أن أفعل ذلك، أنت يا جوشو، اخرُجْ واعزف لهم بعضًا مما عندك".

شعر "جوشو" بالذهول، وقال: "ماذا! أنا!".

وفجأة قال العازف الأول على الڤيولين: "نعم، أنتَ، أنت".

المايسترو: "هيا، اذهب من فضلك يا جوشو".

فقام جميع بإعطاء "جوشو" التشيللو رغم أنفه، وعندما فُتحَت الستارة، دفعوه إلى خشبة المسرح دفعًا، فشعر "جوشو"، وهو يحمل ذلك التشيللو، الذي له فتحة في وسطه، بأنه في ورطة، ولكن عندما دخل على خشبة المسرح صفَّق الجميع معًا تصفيقًا حادًّا، وصاح البعض صيحات إعجاب.

قال "جوشو" لنفسه: "لن أجعلكم تسخرون مني، شاهدوا ماذا سوف أفعل، سوف أعزف لكم صيد النمور في الهند".

وعزف تلك المقطوعة بغضب شديد، وبقوة، كما فعل عندما جاءت القطة منزله، ولكنَّ المستمعين كانوا ينصتون بشدة وفي صمت

تـام، واسـتمر "جوشـو" في العـزف، وانتهـى مـن الجـزء الـذي فيـه تُخـرِج القطـةُ شرر نـارٍ تعبـيرًا عـمَّا في داخلهـا مـن معانـاة، وانتهـى مـن الجـزء الـذي فيـه تصـدم القطـة البـاب عـدة مـرات.

وبعـد أن انتهـى مـن عـزف المقطوعـة، لم ينظـر تجـاه المسـتمعين، بـل فعـل مثلـما فعـل عندمـا كانـت القطـة في منزله، حمل التشـيللو وانسـحب في هـدوء إلى حجـرة الموسـيقيين، وحينئـذ جلـس جميـع العازفـين وعـلى رأسـهم المايسـترو في هـدوء تـام، لدرجـة أن رمـوش أعينهـم لم تتحـرك، وأمـا "جوشـو" فبـدا عليـه أنـه لا يعبـأ بمـا يحـدث، وقـال "جوشـو" لنفسـه: "فليحـدث مـا يحـدث"، ثـم سـار بـين الجميـع في هـدوء، إلى أن وصـل إلى المقعـد الطويـل فألقـى بجسـمه فوقـه، وجلـس، وعقـد سـاقيه عـلى بعضهـما في صمـت.

وحينئـذ وجَّـه الجميـع نظرهـم تجـاه "جوشـو"، بنظـرات جـادَّة، لا تـدلُّ عـلى ضحـك أو سـخرية.

فقال "جوشو" لنفسه:

"هذه الليلة ليلة غريبة".

ولكن المايسترو وقف، وقال:

"أحسـنتَ يـا جوشـو، لقـد عزفـتَ مقطوعـة صعبـة، كنَّـا نسـتمع إليـك جميعًـا بتركيـز وتفاعُـل تـام، لقـد حقَّقـتَ تقدُّمًـا مُذهـلًا في مـدة عـشرة أيـام، لـو قارنَّـا مسـتواك في العـزف منـذ عـشرة أيـام ومسـتواك الآن، لقلنـا إنـك منـذ عـشرة أيـام كنـتَ طفـلًا رضيعًـا، والآن صرت جنديًّـا محاربًـا، لقـد أثبـتَّ أن الإنسـان يسـتطيع أن يغـيِّر نفسـه، إذا عـزم وعمـل مـن أجـل ذلـك يـا جوشـو".

ووقف جميع زملائه وجاؤوا إليه وقالوا: "أحسنتَ".

وقال المايسترو: "بما أن صحتك جيدة فقد استطعت أن تفعل ذلك، ولكن الشخص العادي إذا حاول أن يفعل ما فعلت لمات".

وفي تلك الليلة رجع "جوشو" منزله متأخرًا.

ثم شرب كثيرًا من ماء، وفتح النافذة ونظر إلى السماء البعيدة التي طار إليها الوقواق، وقال:

"أيها الوقواق، أنا أعتذر لك عمَّا بدر مني من سوء معاملة حين كنتَ في منزلي، لقد غضبت دون سبب منطقي".

# نبذة عن المؤلف

مؤلف هذه المجموعة القصصية هو "ميازاوا كنجي "-MIYAZA WA Kenji"، وُلد في اليابان، في محافظة إيواتيه "IWATE"، عام 1896م، وكان أبوه يعمل في بيع الملابس المستعملة، وكان كنجي أكبر إخوته، فكان له أخ وأختان أصغر منه، وقبل مولده بشهرين حدث زلزال كبير في المحافظة التي وُلِد فيها، وأدَّى إلى أضرار كبيرة بها، وبعد مولده بخمسة أيام حدث زلزال في المحافظة المجاورة لمحافظته، وأدَّى ذلك الزلزال أيضًا إلى أضرار كبيرة في محافظته.

وتعد مؤلَّفاته انعكاسٌ للبيئة المحيطة به، ومن أهم سِماته التي ظهرت في مؤلفاته، حبُّه الشديد للطبيعة، الحزن الدفين، العُزلة، الهروب الى الطبيعة والخيال، كراهية القوة وحب الضعيف، النزعة الدينية، كما تميزت أعماله بالنهايات المفتوحة.

كما أن قصصه الخيالية، سواء كانت للأطفال أو الكبار، تطرح تساؤلًا مهمًّا جدًّا، له علاقة كبيرة بالعالم العربي والإسلامي، ألا وهو:

هل هناك حدود لحرية التعبير أم لا؟ هل من حقِّنا أن نعبِّر عن جميع أفكارنا، سواء بالكتابة أو بأي وسيلة أخرى، أم لا؟ وإذا كانت هناك حدود لذلك؛ فما هي تلك الحدود؟ وبطريقة مباشرة، يكون السؤال كالآتي: ما موقف الإسلام من التعبير عن الخيال؟

وأخيرًا، رغم أن المؤلف توفي في مرحلة الشباب، إلَّا أنه ترك الكثير من القصص القصيرة، وكثيرًا من الأشعار، وبعض القصص المتوسطة الطول، بجانب أنه أصبح مشهورًا جدًّا، وتُرجِمَت أعماله إلى لغات مختلفة، ولو كان عاش إلى أن وصل إلى سنِّ الموت الطبيعي، لصار لديه مزيد من المؤلفات، ولصار من أعظم أدباء وشعراء اليابان، وحصل على جوائز عالمية، لكنه، للأسف، عاش فقيرًا مريضًا حزينًا، ولم يستفد من كتاباته ماديًّا، حيث إنه عندما بدأ يشتهر وحان وقت جَنْيِ ثمار أعماله أدبيًّا وماديًّا توفِّي.

*******

مكتبة
t.me/soramnqraa

# نبذة عن المترجم

ماهـر أحمـد محمـد الشربيني. مواليـد 1959. أسـتاذ متفـرغ بجامعـة القاهـرة، كليـة الآداب، قسـم اللغـة اليابانيـة وآدابهـا، وخبـير ترجمـة لغـة يابانيـة.

تخصـص في نحـو اللغـة اليابانيـة المعـاصرة. كـما تخصـص أيضًـا في الدراسـات اليابانيـة (علـوم اللغـة اليابانيـة، علـم الترجمـة، علـم تعليـم اللغـة اليابانيـة، علـم اللغـة العـام، علـم التعليـم، ثقافـة وأدب اليابـان، علـم السـلام).

التاريـخ الأكاديمـي: التخـرج في جامعـة القاهـرة، كليـة الآداب، قسـم اللغـة اليابانيـة وآدابهـا، القاهـرة، مـصر، 1981. طالـب باحـث في جامعـة تسـوكوبا، قسـم دراسـة المنطقـة، تخصُّـص لغـة يابانيـة مـن عـام 1985إلى عـام 1987. حاصـل عـلى درجـة الماچسـتير في جامعـة هيروشـيما، كليـة الآداب، قسـم علـم لغـة، تخصُّـص لغـة يابانيـة، عـام 1989. ودرجـة الدكتـواره مـن نفـس القسـم، عـام 1992.

أهـم الكتـب المترجمـة عـن اليابانيـة: قـوة أمـي، الانطـلاق مـن الصفـر، لقـد خُلـق جميـع البـشر متسـاوون، الغبـي ينجـح، مذكّـرات مصـابي قنبلـة هيروشـيما، قصـة حيـاة البطـل اليابـاني طوكـودا طـوراؤو، الفتـى الطائـش، قلـب الأسـتاذ، قطـار المجـرة، جـن الحـافي (عـشرة أجـزاء)، أنـا قـط (ثلاثـة أجـزاء)، أجـراس ناجـازاكي، كـم عـدد الحيوانـات، مـا هـذا الحيـوان، شـموع الجثـة، الشـمس، زهـور الأقحـوان البريـة. بجانـب كثـير مـن البحـوث عـن اللغـة اليابانيـة ومشـكلات الترجمـة عـن اللغـة اليابانيـة، والقيـام بالترجمـة الفوريـة لكبـار الشـخصيات، ونشـاط ثقـافي وإعلامـي إلـخ...

# عناوين القصص باليابانية
# ونُطقها باللاتينية وترجمتها إلى العربية

| | | |
|---|---|---|
| 山男の四月 | yamaotoko no shigatsu | شهر إبريل ورجل الجبل |
| 風の又三郎 | kaze no matasaburou | أمير الرياح |
| 店理料い多の文注 | chuumon no ooi ryouriten | مطعم الطلبات الكثيرة |
| 銀河鉄道の夜 | ginga tetsudou no yoru | ليلة قطار مجرة درب التبانة |
| どんぐりと山猫 | donguri to yamaneko | الكستناء والقط البري |
| セロ弾きのゴーシュ | serobiki no gooshu | عازف التشيللو |

# الفهرس


| | |
|---|---|
| شهر أبريل ورجل الجبل | 7 |
| أمير الرياح | 19 |
| مطعم الطلبات الكثيرة | 87 |
| ليلة قطار مجرة درب التبانة | 99 |
| الكستناء والقط البري | 167 |
| عازف التشيلّللو | 179 |
| نبذة عن المؤلف | 203 |
| نبذة عن المترجم | 205 |
| عناوين القصص باليابانية ونُطقها باللاتينية وترجمتها إلى العربية | 207 |

# عازف التشيللو

عازف التشيللو وقصص أخرى، هي مجموعة قصص مؤثرة وخيالية أسرت القراء لأجيال. وهي من روائع أديب العزلة الياباني مِيَازَاوَا كِنْجِي، وتدور أحداث القصص حول موضوعات الحب والخسارة والحالة الإنسانية الخالدة، والفضاء الكوني، والنقاء، والتضحية بالنفس، والإيمان، والصداقة، والسعادة، ومعنى الحياة. ويقدم مزيج الكاتب مِيَازَاوَا كِنْجِي الفريد من الخيال والفلسفة منظورًا جديدًا للأسئلة العميقة في الحياة. يُدخل القراء من جميع الأعمار في حالة تساؤل وتأمل حول معنى وجوهر وطبيعة العالم. وتضم المجموعة قصص (شهر أبريل - رَجُل الجبل - أمير الرياح - مطعم الطلبات الكثيرة - ليلة قطار مجرَّة درب التبانة - الكستناء والقط البري - عازف التشيللو).

مكتبة
t.me/soramnqraa

تصميم الغلاف: سيمون سمير

ISBN 978-977-894-117-3

المحروسة